

SHIKH MOUHAMAD HASSAN

The Charm

# الفتنة

بين الصحابة

قراءة جديدة لاستخراج الحق من بين ركام الباطل

فضيلة الشيخ  
محمد حسن



مكتبة فياض

مكتبة فياض  
للتجارة والنوزيع

# الْفِتْنَةُ

بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

قِرَاءَةٌ جَدِيدَةٌ لاسْتِخْرَاجِ الْحَقِّ مِنْ بَيْنِ رُكَّامِ الْبَاطِلِ

تأليف

فضيلة الشيخ

محمد حسان

مكتبة فياض

للتجارة والتوزيع



الْفِتْنَةُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ﷺ

## إهداء

\* أهدي هذه الكلمات إلى من ذقت قلوبهم حلاوة الحب  
لأصحاب رسول الله ﷺ ، ليزدادوا حُبًّا .

\* وإلى من هَبَّتْ رِيحُ التشكيك على قلوبهم وعقولهم  
فعصفت بمكانة الصحب الكرام في نفوسهم ، ليقفوا  
على الحق من بين ركام الباطل .

\* وإلى من نزلوا ميدان الكتابة عن الصحابة ، ليعلموا أن  
الحديث عن الأبطال يتطلب صفاءً في العقيدة ، وإخلاصاً في  
النِّيَّة ، وأمانةً في النقل ، ودِقَّةً في الفهم ، ونظرةً فاحصةً  
لأراجيف المغرضين والكذابين والوضّاعين .

\* وإلى كل من تناول على هذه القمم ليلزم حدّه ويعرف  
قدره وإلا فليقص قلمه ، وليكف لسانه ، فإن أبى إلا  
النيل ممن زكّاهم الله وعدّهم رسول الله ﷺ ، فليعلم أن  
ذبابة سقطت على نخلة تمر عملاقة . فقالت الذبابة :  
تماسكي أيتها النخلة ، فإني راحلةٌ عنك !!! فقالت نخلة  
التمر العملاقة : انصري أيتها الذبابة ، فهل شَعُرْتُ بك  
حين سقطت عليّ لأستعد لكِ وأنت راحلةٌ عني ؟ !!!  
\* وأخيراً أسأل الله أن يجمعنا بهم بحبنا لهم - وإن  
قصرت أعمالنا - في جنات النعيم .

محمد حسان



## مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

• ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

• ﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

• ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

○ أما بعد ..

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ ،  
وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل  
ضلالة في النار .

◦◦ ثم أما بعد ..

فلقد كثر الطَّعْنُ هذه الأيام في أشرف وأطهر الخلق بعد الرسل والأنبياء ، في أصحاب رسول الله ﷺ ووظَّفَ كثيرٌ من الجُهَلَاءِ الفتنَةَ التي وقعت بينهم في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه ، توظيفًا خبيثًا لليل من مكائدهم والخطِّ من قدرهم للطَّعْنِ في الدِّينِ ؛ لأنَّهم هم الَّذِينَ نَقَلُوا إلينا القرآن والسنة .

ونزل الميدانَ من لا يُجيد فنَّ النِّزال !! وخاض السِّباحة وسط هذه الأمواج من لا يُحسن السِّباحة !!

وانبرى للحديث عن الصَّحْبِ الكرام من لا يعرف أصول معتقد أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ .

إذ إن الحديث عنهم ﷺ يتطلب صفاءً في العقيدة ، وإخلاصًا في النية ، وأمانةً في النقل ، ودِقَّةً في الفهم ، ونظرةً فاحصةً مدققةً لأراجيف المغرضين والكذابين والوضّاعين . فآلمتني كلماتٌ سمعتها هنا ، وأوجعتني سطورٌ قرأتها هناك ، وجرحتني مواقف ومشاهدُ أعلمها هنالك !!!

فسألتُ الله جل وعلا أن يجبر كسري ، وأن يمدني بمددٍ من عنده ، وأن يشرفني ويرفع من قَدْرِي بالزُّودِ عن أصحاب الرّسول ﷺ لأستخرج الحقَّ من بين ركام الباطل ، وسط هذه الفتنة الصَّماء البكماء

العمياء ، لأزيل الغبش الذي ران على القلوب ، والظلام الذي حجب الأبصار عن رؤية النور ، والباطل الذي خيم على العقول طيلة عقود وعقود ، فحال بينها وبين معرفة الحق !!

ووالله كنت في رُعبٍ وفزعٍ - لا يعلمه إلا من بيده القلوب - لأنني كنت أهرب من الخوض في هذه الفتنة ، وأبتعد عن الحديث عن هذه الحِقبة ؛ خشية أن أزلَّ بقلمبي فيها ، وخوفًا من أن أفسد من حيث أريد الإصلاح ، أو أضّر من حيث أريد النفع .

وأخشى ما كنت أخشاه أن تترك كلمةً مني - عن غير قصد - أثرًا سيئًا في قلب مسلم أو مسلمة ، فاجتهدتُ قدر استطاعتي وعلى قدر حُبِّي للصحابة رضي الله عنهم ، وتضرَّعتُ إلى الله - جلَّ وعلا - أن يستخرج منِّي الحقَّ الذي يرضيه عني ، والذي يليقُ بمكانةٍ وقدرِ أصحابِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم .

وأسألُ الله تعالى أن يحشرنا معهم بحبِّنا لهم ، وإن لم نعمل بمثل أعمالهم ، وأن يُجنِّبنا الزَّيغَ والزَّلَلَ ، وأن يردِّدنا إلى الحقِّ ردًّا جميلًا ، وأن يُقرَّ أعيننا جميعًا بنصرة الإسلام وعزِّ المسلمين .

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله الطيبين ، وأصحابه الغرِّ الميامين ،

وسلم تسليمًا كثيرًا .

وكتبه

أبو أحمد محمد بن حسان

القاهرة

المحرم ١٤٢٨ هـ





# فضائل الصحابة

رضي الله عنهم



## فضائل الصحابة ﷺ

الحمد لله الذي شَرَّفَ نوع الإنسان بالأصغرين : القلب واللسان ،  
وفَضَّلَه على سائر خلقه بنعمتي المنطق والبيان ، ورجَّحه بالعقل الذي  
وزن به قضايا القياس في أحسن ميزان ، فأقام على وحدانيته البرهان ،  
أحمدُهُ حمدًا يمدُّنا بمواد الإحسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا  
شريك له ، الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما العزيز الرحمن ،  
فهو الواحد الأحد ، الماجد الصَّمَد ، مُوَقَّت الآجال ، ومُقَدِّر الأعمال ،  
وسامع الأقوال ، وعالم الأحوال . مثبت الآثار ، ووارث الأعمار ، رافع  
الأخيار ، وواضع الأشرار . مادِح الأبرار . وقاصِم الفجَّار . العليم ،  
البصير ، السَّميع ، الذي من رَفَعَ فهو الرَّفِيعُ ، ومن وَضَعَ فهو  
الوَضِيعُ ، بَيَّن وأنار ، واصطفى واختار ، اصطفى الرسل والأنبياء  
على سائر البرية ، واختار أتباعهم على جميع الورى والخلقة ، فجعل  
لكلِّ نبي أُمَّة ووزراء وأصحابًا ، ولكلِّ رسولٍ أنصارًا وأعوانًا ، رَفَعَ  
بهم المنازل ، وشَرَّفَ بهم القبائل ، فجعل نبينا محمدًا ﷺ سيِّدَ الأنبياء  
 والمرسلين ، وجعل أمته سيِّدة الأمم والماضين ، وفَضَّلَ أصحابه ﷺ  
على جميع أتباع المرسلين والنبِيِّين .

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المخصوص بالآيات البيِّنات كل

البيان ، ﷺ وعلى آله وصحبه ، صلاةً وسلاماً يبقيان في كلِّ زمانٍ وأوانٍ ، ورضي الله سبحانه عن أصحابه الطيبين الطاهرين ﷺ الذين تخلَّقوا بأخلاقه ، وتربَّوا بأدابه ﷺ ، وكانوا معه على كلِّ أمرٍ جامعٍ ؛ فلا أحدَ كان أطيبَ منهم ، ولا أحدَ جاء أخلصَ دينه لله ولرسوله مثلهم ؛ فهاجروا وآووا ، ونصروا الله ورسوله ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؛ فكان الله وليُّهم ، ورسولُه قائدهم ؛ فرضي الله عنهم وعمَّن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

○ أما بعد :

فو الله ما كان حديثاً يُفتَرى ولا فُتُوناً يتردد . ذلكم الحديث الذي يروي أنباء أظهر ثلَّة عرفتها الأرض بعد الرُّسل والأنبياء ، ولم لا ؟! وهو قرآنٌ وسُنَّةٌ .

• قال الله - جلَّ ذكره ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

• وقال تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ

فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ [التوبة: ١١٧].

• وقال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٥﴾ [الواقعة: ١٠-١٤].

• وقال تباركت أسماؤه : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨].

• وقال سبحانه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿٤﴾ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

• وقال عز من قائل : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٨﴾ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ [الحشر: ٨، ٩].

فهذه الآيات اشتملت على أبلغ ثناء وتعطير من العليم الخبير ؛  
 حيث أخبر تعالى أنه قد تاب عليهم ، ورضي عنهم ورضوا عنه ،  
 وأكرمهم بجنّات النّعيم ، وذلك لسبقهم وفضلهم ، فالصحابيّ هو من  
 لقي رسول الله ﷺ وآمن به ومات على الإسلام وَيَالَهُ مِنْ شَرَفٍ !!!  
 ولقد نال أصحاب النبي ﷺ من الفضل والكرامة ما لم ينلّه أحد ؛  
 فهم الذين رأوا النبي ﷺ وآمنوا به وبرسالته وصدقوه وآزروه وآووه  
 ونصروه ، وهم الذين عَظَّمُوا أمره وتفانوا في طاعته ﷺ ، وهم الذين  
 أَحَبَّهُم النَّبِيُّ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَزَكَاهُمْ ، وأوصى بهم ، ودعاهم  
 بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وبَشَّرَهُم بِالْجَنَّةِ ، وهم الذين نزل القرآن بموافقتهم ،  
 وهم الذين أجرى الله تعالى الحق على ألسنتهم وقلوبهم .

○ يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « تفسيره » <sup>(١)</sup> : « يخبر  
 تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم  
 بإحسان ، ورضاهم عنه بما أعدّ لهم من جنّات النّعيم ، والنّعيم المقيم ...  
 إلى أن قال : فإيا ويل من أبغضهم أو سبّهم أو أبغض أو سبّ بعضهم  
 ولا سيما سيّد الصحابة بعد الرّسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم - أعني :  
 الصديق الأكبر ، والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ﷺ ؛ فإنّ  
 الطّائفة المخذولة من الرافضة يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصّحابة وَيُبْغِضُونَهُمْ ،

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٣٧٠) .

ويسبونهم - عياداً بالله من ذلك - وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ؛ فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ؟! إذ يسبون من رضي الله عنهم ، وأما أهل السنة ؛ فإنهم يترضون عمّن رضي الله عنه ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ، ويعادون من يعادي الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يتبدون ، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون .

○ وقال القرطبي في « تفسيره » <sup>(١)</sup> عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّتْلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] :

« لا يجوز أن يُنسب إلى أحدٍ من الصحابة خطأً مقطوعٌ به ؛ إذ كانوا كلُّهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله ﷻ ، وهم كلُّهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا بالكفِّ عما شجر بينهم ، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر ؛ حرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبِّهم ، وأنَّ الله غفر لهم ، وأخبر بالرضا عنهم » ا.هـ .

ولقد زكَّى الله تبارك وتعالى أصحاب النَّبي ﷺ من فوق سبع سموات في مواضع عديدة من كتابه العزيز ؛ فقال سبحانه : ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) « تفسير القرطبي » (١٦ / ٣٢١) .

بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

■ وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢].

والآيات في فضائلهم ومناقبهم كثيرة جليلة ، وقد مدحهم وزكاهم وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة جليلة ، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (١) .

قَالَ عِمْرَانُ : لَا أَدْرِي أَذْكَرَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ... الحديث .

وفي رواية له عنه ﷺ : « خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... » الحديث .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٠ ، ٣٦٥١) وانظر أطرافه في (٢٦٥١) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة (٢٥٣٥) .

وفي رواية عن عبد الله رضي الله عنه : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... » الحديث (١).

○ وفي رواية الإمام مسلم عن عبد الله رضي الله عنه قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟

قَالَ : « قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... » (٢) الحديث .

○ قال النووي (٣) : « اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ : قَرْنُهُ ﷺ وَالْمُرَادُ : أَصْحَابُهُ » .

○ وقال الحسن البصري - رحمه الله تعالى - وهو تابعي كبير زاهد مجمع على جلالته وإمامته : « لقد أدركنا أقوامًا - أي : الصحابة - أهل القرن الأول كنا في جنبهم لصوصًا » .

وقال : « ذهبت المعارف ، وبقيت المناكير ، ومن بقي اليوم من المسلمين فهو مغموم ! وكان كثيرًا ما يُنشد :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَخْيَاءِ »

○ وقال الربيع بن خثيم : « لو رأنا أصحاب محمد ﷺ لقالوا :

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٢٦٥٢) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٣٣ / ٢١١) .

(٣) « شرح النووي على مسلم » (٨ / ٣١٤) .

هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب<sup>(١)</sup> ! » .

■ وقال الطبري في « تهذيب الآثار »<sup>(٢)</sup> : حدثني أبو حميد الحمصي

أحمد بن المغيرة ، حدثنا عثمان بن سعيد ■ عن محمد بن مهاجر ،

حدثني الزبيدي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله

تعالى عنها - أنها قالت : يا ويح لبيد ، حيث يقول :

ذهب الذين يُعَاش في أَكْنافهم وبقيت في خَلْف كجلد الأجر

قالت عائشة : فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

○ قال عروة : رَحِمَ اللهُ عائشة ؛ فكيف لو أدركت زماننا هذا ؟!

○ ثم قال الزهري : رَحِمَ اللهُ عروة ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

○ ثم قال الزبيدي : رَحِمَ اللهُ الزهري ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

قال محمد : وأنا أقول : رَحِمَ اللهُ الزبيدي ؛ فكيف لو أدرك زماننا

هذا ؟!

قال أبو حميد : قال عثمان : ونحن نقول : رَحِمَ اللهُ محمدًا ؛ فكيف

لو أدرك زماننا هذا ؟!

(١) راجع : « فيض القدير » للعلامة المُنَاوي (٣/ ٤٧٩) ط المكتبة التجارية ، و« الحلية »

(٢) (١٠٩، ١٠٨/ ٢) .

(٢) (١٢٤/ ١) .

قال أبو جعفر : قال لنا أبو حميد : رَحِمَ اللهُ عثمان ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

قال أبو جعفر : رَحِمَ اللهُ أحمد بن المغيرة ؛ كيف لو أدرك زماننا هذا ؟!

قال الشيخ : رَحِمَ اللهُ أبا جعفر ؛ فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟! .  
 قلت : رَحِمَ اللهُ هؤلاء جميعاً ؛ فكيف لو أدركوا زماننا ورأوا أقوامنا ؟! .  
 • وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :  
 « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ! فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » <sup>(١)</sup> .

○ وفي رواية الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه :  
 « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ! فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » <sup>(٢)</sup> .  
 ■ وعن عطاء بن أبي رباح - بسند مرسلٍ صحيح وهو حسن

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » (٣٦٧٣) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ (٢٥٤١) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ (٢٥٤٠) .

بشواهدہ۔ قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي ؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ » <sup>(١)</sup> .

وَالْمُرَادُ بِهِ الْفَضْلُ وَالطُّوْلُ <sup>(٢)</sup> ، ومراد النبي ﷺ فيه تقرير أَفْضَلِيَّةِ الصَّحَابَةِ ﷺ عَمَّنْ بَعْدَهُمْ ؛ فَإِنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ لَا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ ، وَذَلِكَ لِأَثَرِهِمْ فِي الدِّينِ ، وَانتِشَارِ الْإِسْلَامِ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَمَنْفَعَةِ الْمُسْلِمِينَ .

○ قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في « فتح الباري » <sup>(٣)</sup> :  
« قَالَ الْبَيْضاوِيُّ : مَعْنَى الْحَدِيثِ : لَا يَنَالُ أَحَدُكُمْ بِإِنْفَاقٍ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مِنَ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ مَا يَنَالُ أَحَدُهُمْ بِإِنْفَاقٍ مُدَّ طَعَامٍ أَوْ نَصِيفِهِ ، وَسَبَبُ التَّفَاوُتِ مَا يُقَارِنُ الْأَفْضَلَ مِنْ مَزِيدِ الْإِحْلَاصِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ » . اهـ .

○ وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي « شَرْحِهِ عَلَى مُسْلِمٍ » <sup>(٤)</sup> : قَالَ الْقَاضِي : وَسَبَبُ تَفْضِيلِ نَفَقَتِهِمْ أَنَّهَا كَانَتْ فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ وَضِيقِ الْحَالِ ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ ؛ وَلَئِنْ إِنْفَاقَهُمْ كَانَ فِي نُصْرَتِهِ ﷺ وَحِمَايَتِهِ ، وَذَلِكَ مَعْدُومٌ بَعْدَهُ ، وَكَذَا جِهَادَهُمْ وَسَائِرَ طَاعَتِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤١٩) ط . الرشد ، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠١)

ظلال) ، قال العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٤٠) : « صحيح بشواهد » .

(٢) قاله الخطابي : كما في فتح الباري (٤٢/٧) .

(٣) (٤٢/٧) ط . الريان .

(٤) « شرح النووي » (٩٣/١٦) ط . الريان .

يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴿١٠﴾  
الآية [الحديد: ١٠] .

هَذَا كُلُّهُ مَعَ مَا كَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْخُشُوعِ  
وَالْتَوَاضُعِ وَالْإِيثَارِ وَالْجِهَادِ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَفَضِيلَةِ الصُّحْبَةِ ، وَلَوْ  
لَحْظَةً لَا يُوزَانُ بِهَا عَمَلٌ ، وَلَا تُنَالُ دَرَجَتُهَا بِشَيْءٍ ، وَالْفَضَائِلُ لَا تُؤْخَذُ  
بِقِيَاسٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ . اهـ .

وهذا يؤكد تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم .

• وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ رضي الله عنه قَالَ : صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْنَا :  
لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ - قَالَ - فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ :  
« مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا ؟ » .

قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى  
نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ .

قَالَ : « أَحْسَنْتُمْ » أَوْ « أَصَبْتُمْ » .

قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ؛ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ؛  
فَقَالَ :

« النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا  
أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ

لَأُتَمِّي ؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ » <sup>(١)</sup> .

• وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ » <sup>(٢)</sup> .

وَالْفِتْنَامُ : الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ .

• وَعَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى وَصَاحِبِي ، وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى وَصَاحِبَ مَنْ صَاحِبِي » <sup>(٣)</sup> .

• وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً » .

(١) أخرجه مسلم « كتاب فضائل الصحابة » باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه ، وبقاء أصحابه أمان للأمة (٢٥٣١) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٤٩) ، وانظر أطرافه في (٢٨٩٧) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٢) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧٨ / ١٢) ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٨٥ / ٢٢) ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٠ / ١٠) وقال : « رواه الطبراني من طرق ، ورجال أحدها رجال « الصحيح » ، وقال الحافظ في « الفتح » (٧ / ٧) : « إسناده حسن » .

- قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ !  
 قَالَ : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » <sup>(١)</sup> .
- أَي : هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَّةُ ، وَهُمْ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ النَّقِيَّةِ وَالسُّنَّةِ الْبَيَضَاءِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَأَصْلُهَا : أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
- وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
 « اللَّهُمَّ ! أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ » <sup>(٢)</sup> .
- أَي : أَتَمِّمْهَا وَلَا تُبْطِلْهَا وَلَا تُنْقِصْهَا ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ بِتَرْكِ هِجْرَتِهِمْ وَرُجُوعِهِمْ عَنْ مُسْتَقِيمِ حَالِهِمُ الْمَرْضِيَّةِ .
- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ :  
 إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِي مِثْلِ مَقَامِي هَذَا فَقَالَ : « أَحْسِنُوا إِلَيَّ أَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ... » <sup>(٣)</sup> الْحَدِيثُ .
- وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ : قَامَ  
 فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَقِيَامِي فَيْكُمْ فَقَالَ :

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١) وقال : هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَحَسَنُهُ لَغَيْرِهِ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٣٤ / ٢) « وَالصَّحِيحَةُ (١٣٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة (١٢٩٥) ، ومسلم ، كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث (١٦٢٨) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٦ / ١) ، وابن ماجه كتاب الأحكام ، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد (٢٣٦٣) ، والترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٥) ، والحاكم (١١٤ ، ١١٥) ، والحميدي (٣٢) « وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (٤٣٠) .

« أَكْرِمُوا أَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... » (١)

الحديث .

● وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ :

« أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (٢) الحديث .

● وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا مِثْلَ مُقَامِي فِيكُمْ فَقَالَ :

« اخْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... » (٣)

الحديث .

● وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ،

فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وَزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ ؛ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ » (٤) .

(١) هذا لفظ الحميدي ، وقد مرَّ .

(٢) هذا لفظ الترمذي ، وقد مرَّ .

(٣) هذا لفظ ابن ماجه والحاكم « وقد مرَّ آنفاً .

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٩/١) ، والبزار (كشف ١٣٠) ، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٣، ٨٥٨٢) ،

قال الهيثمي في «المجمع» (١٧٧/١) : « رجاله موثقون » ، وحسنه الألباني ؛ كما في

«الضعيفة» (٥٣٣، ٥٣٢) وضعفه مرفوعاً .

أي : أنهم أرباب النفوس والمجاهدات ، وأصحاب المعاملات والمكابدات ؛ فالبرُّ : هو صدق المعاملة لله تعالى . والتقوى : حسن المجاهدة في الله تعالى بفعل الطاعات واجتناب المعاصي .

وما نال الصحابة ﷺ هذه المنزلة الرفيعة إلا بإيمانهم بالله ، واتباعهم الرشيد ، وحبهم الشديد لرسول الله ﷺ .

• فعن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ ﷺ قَالَ : « قَالَ فَتَى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبَتُمُوهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي . قَالَ : فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ . قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا » <sup>(١)</sup> .

• ولما جاء عروة بن مسعود ليفاوض النبي ﷺ بالحديبية ورأى صحابة الحبب التي ظلل بها الصحابة رسول الله ﷺ عاد إلى قومه من قريش ؛ فقال : أَيُّ قَوْمٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى

(١) أخرجه أحمد (٣٩٢/٥) ، والطبري (تفسير الأحزاب : ٩) (٢٦٢/١٠) ، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٣٣/١) من طريق ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (١٥٧/٣) عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي به . قال ابن كثير (البداية ٤/١١٤) : « وهذا منقطع من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه قال : كنا عند حذيفة ... » وهو في « صحيح مسلم » (١٧٨٨) .

قَيَّصَرَ وَكَسَّرَى وَالنَّجَاشِيَّ ، وَاللَّهُ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظَّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظَّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا ، وَاللَّهُ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ (\*) ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ <sup>(١)</sup> !

وهذا بابٌ عظيمٌ واسع ، وبستان يافعٌ مائعٌ ، لا يتسع الوقت للتطواف فيه ، واقتطاف ثمره ، والتمتع بعبيره ، وقد تزيَّنتُ كتبُ السننِ الصحيحة بفضائلهم ومناقبهم وثناء النبي ﷺ عليهم وحبهم له ، وبيان أنهم كانوا - رضوان الله عليهم أجمعين - خيرة الناس .



(\*) قَلَّبْتُ صفحات السيرة العطرة فلم أقف على هذه الصورة المتألقة في سماء الحبِّ الصادق لرسول الله ﷺ إِلَّا فِي يَوْمِ الْحُدَيْيَةِ ، وَأَدْبَنَ اللَّهُ بَأْنَ الصَّحَابَةِ ﷺ بِالْغَوَا فِي إِظْهَارِ مَحَبَّتِهِمُ الصَّادِقَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُرْسِلُوا رِسَالَةَ وَاضِحَةٍ ، كَالشَّمْسِ فِي ضَحَاها ، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا لِرَسُولِ قُرَيْشٍ « عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ » لِيَنْقُلَهَا بِدَوْرِهِ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قُرَيْشٍ ، لَا سِوَاها بَعْدَ قَوْلِهِ الشَّدِيدَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّ مُحَمَّدٍ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ ؟ وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهَهَا ، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا - أَيُّ أَخْلَاطًا - مِنَ النَّاسِ - يَقْصِدُ الصَّحَابَةَ - خَلِيقًا أَنْ يَقْرَؤُوا وَيَدْعَوْكَ... » !!! فَأَرَادَ الصَّحَابَةُ الْأَطْهَارُ أَنْ يَلْقَنُوا عُرْوَةَ وَمَنْ وَرَاءَهُ دَرْسًا عَمَلِيًّا فِي الْحَبِّ « وَأَنْ يَبِينُوا لَهُ أَنَّ مِنْ ذَلِكَ وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ بِنُخَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْتَعِدٌّ لِحَايَتِهِ وَنَصْرَتِهِ بِرُوحِهِ وَدَمِهِ وَمَالِهِ وَوَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ، وَبِالْفِعْلِ وَصَلَّتِ الرِّسَالَةُ كَمَا أَرَادُوا الْعُرْوَةَ وَمَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ !!!

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، كِتَابُ الشُّرُوطِ ، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمَصَالِحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةُ الشُّرُوطِ (٢٧٣١ و ٢٧٣٢) .

○ وهذه فضائل ومناقب بعضهم - رضي الله عنهم أجمعين:

● عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

« إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ : أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ ، لَا تُبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ » <sup>(١)</sup> .

○ الخوخة : الباب الصغير . وفي ذلك فِصْلَةٌ بينة ، وَمِزْيَةٌ واضحة ، وَخَصِيصَةٌ ظَاهِرَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وحده ، وهذا يوضح منزلته ومدى قربه من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبين كذلك حُبَّ النبي صلى الله عليه وسلم له .

● وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :

« أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلٍّ مِنْ خَلِّهِ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ » <sup>(٢)</sup> .

● وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ : كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ مُحَاوَرَةً ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا ، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر »

(٣٦٥٤) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٢) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٧/٢٣٨٣) .

الله ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ!» أي: خاسم.

قَالَ: وَنِدَمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحَبَرَ. قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوِي صَاحِبِي؟! هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوِي صَاحِبِي؟! إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتُ»<sup>(١)</sup>.

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ».

قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! <sup>(٢)</sup>

• وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا بِيَّ بَكْرٍ وَعُمَرَ:

«هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ»

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (٣) من سورة الأعراف (٤٦٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٥٣، ٣٦٦)، وابن ماجه، كتاب المقدمة، أبواب في فضائل أصحاب

رسول الله ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٩٤)، وصححه الشيخ الألباني في:

«صحيح الجامع» (٥٨٠٨).

وَالْمُرْسَلِينَ» (١).

• وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أَحَدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ :

« اثْبُتْ أَحَدٌ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » (٢).

• وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ عُمَرُ ﷺ :

وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، فَتَزَلْتُ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] وَآيَةُ الْحِجَابِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ؛ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ! فَتَزَلْتُ آيَةَ الْحِجَابِ ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ هُنَّ : عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ، فَتَزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ (٣).

• وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب (٣٦٦٤) وله شاهدٌ بسندٍ ضعيف ، عن علي ﷺ ، أخرجه الترمذي أيضًا (٣٦٦٥) ، وابن ماجه في المقدمة (٩٥) وله شواهد أخرى ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٨٢٤) و« صحيح الجامع » (٥١) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « لو كنت متخذاً خليلاً » (٣٦٧٥) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة « باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصل إلى غير القبلة (٤٠٢) ، ومسلم « كتاب فضائل الصحابة » باب من فضائل عمر (٢٣٩٩) .

« إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ » <sup>(١)</sup> .

• وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

« إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ » <sup>(٢)</sup> .

• وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي حَقِّ عُمَرَ :

« أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ » <sup>(٣)</sup> .

• وَعَنْ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه :

« أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » <sup>(٤)</sup> .

• وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ - أَوْ لِيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ - غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ - أَوْ

قَالَ : يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ - يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ » فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ ،

(١) أخرجه أبو داود « كتاب الخراج والإمارة والفیء » باب في تدوين العطاء (٢٩٦٢) ، وابن ماجه في المقدمة « باب فضائل الصحابة (١٠٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٣٤) .

(٢) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر رضي الله عنه (٣٦٨٢) وقال : « حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » ، وأحمد (٢/٥٣ ، ٩٥) ، وصححه الشيخ الألباني في المشكاة (٦٠٣٣) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة « باب من فضائل عثمان بن عفان » (٢٤٠١) .

(٤) أخرجه البخاري « كتاب المغازي » باب غزوة تبوك (٤٤١٦) « ومسلم « كتاب الفضائل » باب من فضائل علي بن أبي طالب (٢٤٠٤) .

فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ! فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ (١).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ» (٢).

• وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ هُمَا رِجَائَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا» (٣).

• وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٤).

• وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبْوِيَهُ لِأَحَدٍ غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» (٥).

- (١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه (٢٩٤٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٤٠٦).
- (٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (٢١٢٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢٤٢١).
- (٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٤).
- (٤) أخرجه أحمد (٣/٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٣٧٦٨) وقال: «حديث حسن صحيح» والنسائي، في فضائل الصحابة (رقم: ٦٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٦).
- (٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه (٢٩٠٥) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص (٢٤١١).

• وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ . فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاَنْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ، وَحَوَارِيُّ الزُّبَيْرِ » <sup>(١)</sup> .

• وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيْتُهَا الْأُمَّةُ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ » <sup>(٢)</sup> .

• وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ .

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :

« إِنَّ تَطْعُنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُتِمَ تَطْعُنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَإَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ ، وَإِنَّ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ بَعْدَهُ ! » <sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه البخاري « كتاب المغازي » باب غزوة الخندق (٤١١٣) ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنه (٢٤١٥) .

(٢) أخرجه البخاري « كتاب فضائل الصحابة » باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح (٣٧٤٤) ، ومسلم « كتاب فضائل الصحابة » باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (٢٤١٩) .

(٣) أخرجه البخاري « كتاب فضائل الصحابة » ، باب مناقب زيد بن حارثة (٣٧٣٠) ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب زيد بن حارثة « وأسامة بن زيد (٢٤٢٦) .

• وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

« اهْتَرَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » <sup>(١)</sup>.

• وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ » <sup>(٢)</sup>.

أَيُّ : لِحُسْنِ سِيرَتِهِمَا وَصِدْقِ سَرِيرَتِهِمَا ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ لِأَمْرِ الْخِلَافَةِ ، وَاسْتَرَشَدُوا بِإِرْشَادِ عَمَّارٍ ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا يُوصِيكُمْ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ ، وَمَا كَانَ هَذَا إِلَّا لَعَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفِطَتِهِمْ ، وَرَشَدَ أَمْرَهُمْ ، وَصَلَّاحَ عَقُولِهِمْ ، وَنَقَاءَ قُلُوبِهِمْ .

• وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُودَّعٍ ؛ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا

(١) أخرجه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٨٠٣) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٤٦٦) .

(٢) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب عبد الله بن مسعود (٣٨٠٥) وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل ، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث » ، وله شواهد عن حذيفة وعن غيره ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٢٣٣) وانظر « المشكاة » (٦٢٢١) و« صحيح الجامع » (١١٤٣) .

رَسُولُ اللَّهِ ؟! قَالَ :

« أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبِشِيٌّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بُسْتِي وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ » <sup>(١)</sup> .

أَيُّ : بِطَرِيقَتِي الثَّابِتَةِ عَنِّي ؛ وَاجِبًا كَانَ أَوْ مَنُذُوبًا ، وَالْمُرَادُ بِسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ : طَرِيقَتُهُمُ الْمُوَافَقَةَ لَطَرِيقَتِهِ ﷺ . وَفِيهِ أَنَّ فِعْلَ الصَّحَابِيِّ سُنَّةٌ يُعْمَلُ بِهَا .

فهذه الفضائل الجمّة لم تكن لأحد غيرهم ﷺ ، ولن تكون لأحد من بعدهم ؛ لذا فإن محبتهم واجبة ، وهي من الإيمان ، فلا يبغضهم إلا منافق ، ولا يتقصهم إلا شقيّ هالك .

وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّبْقِ فِي الْإِسْلَامِ كَالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَهُوَ أَعْظَمُ حَقًّا ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنْ حُبَّاهُمْ مِنْ فَرَائِضِ الدِّينِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ يَرْجَى عَلَى حُبِّهِمْ مَا يَرْجَى عَلَى التَّوْحِيدِ مِنَ الْأَجْرِ .

هذا قليلٌ من كثيرٍ ، وَنَبْعٌ مِنْ فَيْضٍ مَعِينٍ فَضَائِلُهُمْ وَمَنَاقِبُهُمْ .

(١) أخرجه أحمد (١٢٦/٤) وأبو داود . كتاب السنة . باب في لزوم السنة (٤٦٠٧) والترمذي .

في كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة (٢٦٧٦) وقال : « حديث حسن صحيح » .

وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٥٤٩) و « الصحيحة » (٢٧٣٥) .

○ وبالجملة ؛ فالصَّحابة ﷺ شهداءُ الله في الأرض ، ومن أغضبَهُمْ فقد أغضبَ الله - عزَّ وجلَّ !!!

● ففي الحديث الذي رواه مسلم <sup>(١)</sup> : « أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ ؟ فَأَتَى أَبُو بَكْرٍ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَعَلَّكَ أَغَضَبْتَهُمْ ، لَئِنْ كُنْتَ أَغَضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغَضَبْتَ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ » .

فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهُ أَغَضَبْتُكُمْ ؟ قَالُوا : لَا ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي » .

ووالله إنِّي لأعجب - بعد هذا الفضل - لأقوام يتناولون على هؤلاء الفضلاء الأجلاء الذين حَطَّوْا رِحَالَهُمْ فِي جَنَّةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ !!! نعوذ بالله من الخُذْلَانِ ، ونسأله سبحانه أن يجمعنا بهم مع نبينا في أعلى الجنان .



(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال ﷺ (٢٥٠٤) .



# ظهور الفتن



## ظهور الفتن

• قال ابن منظور في « لسان العرب » <sup>(١)</sup> :

الْفِتْنُ : قال الأزهري وغيره : جماعٌ معنى الفِتْنَةِ : الابتلاءُ والامتحانُ والاختبارُ .

وأصلها مأخوذٌ من قولك : فَتَنْتُ الفِضَّةَ والذَّهَبَ إذا أذبتهما بالنَّارِ لِتُمَيِّزَ الرَّدِيِّ من الجيِّدِ .

وقال ابن الأعرابي : الفتنة : الاختبار، والفتنة : المحنة، والفتنة : المال، والفتنة : الأولاد، والفتنة : الكفر، والفتنة : اختلاف الناس بالآراء، والفتنة : الإحراق بالنَّارِ، وقيل ؛ الفتنة : الظُّلم، والفتنة : الضُّلال والإثم، والفتنة : الإضلال، وقوله ﷺ : ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴾ [الصافات: ١٦٢] . يقول : ما أنتم بمضلين إلا من أضله الله .

والفتنة : الفضيحة . وقوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ [المائدة: ٤١] .

قيل : معناه : فضيحته . وقيل : كفره ، قال أبو إسحاق : ويجوز أن يكون اختباره بما يَظْهَرُ به أمره .

(١) انظر : « لسان العرب » (١٠/١٧٨ مادة فتن) ط إحياء التراث العربي ، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٤٧٢) ، والصاحح للجوهري (٦/٢١٧٦) ، والنهاية لابن الأثير (٣/٤١٠) ، (٤١١) .

والفتنة : العذاب ، نحو تعذيب الكفار ضُعَفَاء المؤمنين في أول الإسلام ؛ ليصدُّوهم عن الإيمان .

والفتنة : ما يقع بين النَّاس من القتال ، والفتنة : القتل ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ خِفَتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء: ١٠١] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس: ٨٣] . أي : يقتلهم .

○ وأما قول النبي ﷺ : « ... إني لأرى الفتنَ تقعُ خلالَ يُّوتِكُمْ مَوَاقِعَ القطْرِ » <sup>(١)</sup> .

فإنَّه يكون القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزَّبوا ، ويكون ما يُبْلَوْنَ به من زينة الدنيا وشهواتها ، فيُفْتَنُونَ بذلك عن الآخرة والعمل لها .

○ وقوله - عليه الصلاة والسلام : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » <sup>(٢)</sup> .

أي : أخاف أن يُعْجَبُوا بهنَّ ، فيشتغلوا عن الآخرة والعمل لها ، أو

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل المدينة ، باب آطام المدينة (١٨٧٨) ، ومسلم ، كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٥) من حديث أسامة بن زيد .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب «النكاح» ، باب ما يتقى من شؤم المرأة (٥٠٩٦) ، ومسلم ، كتاب «الرقاق» باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٢٧٤٠) وكلاهما من حديث أسامة بن زيد ﷺ .

يزلُّوا في الوقوع في المعصية .

● والفتنة : الاختبار . وَفْتَنَهُ يَفْتِنُهُ : اِخْتَبَرَهُ . وقوله ﷺ : ﴿ أَوَّلًا

يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٢٦] .

○ قيل : معناه : يُخْتَبَرُونَ بالدُّعَاءِ إلى الجهاد ، وقيل : يُفْتَنُونَ بإنزال

العذاب والمكروه .

ولا زلنا نرى من هذه الفتن كلَّ يوم أنواعًا وأشكالًا ؛ نسأل الله أن

يحفظنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن ؛ إنَّه على كل شيء قدير .

● وقد أخبر النبي ﷺ <sup>(١)</sup> أن من أشراط السَّاعة : ظهور الفتن

العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل ، فتزلزل هذه الفتنُ الإيمان في

القلوب ، حتى يصبح الرجل مؤمنًا ، ويمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا

ويصبح كافرًا . كلِّما ظهرت فتنة من الفتن ، قال المؤمن : هذه مهلكتي ،

ثم تنكشف ، فيظهر غير هذه الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ،

هذه مهلكتي ، ثم تنكشف فتظهر فتنة أخرى ، وهكذا لا تزال الفتن

تظهر إلى قيام الساعة ؛ كما أخبر الصادق ﷺ .

● ففي الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أن النبي ﷺ قال :

(١) سيأتي قريبًا .

« بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا ، وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » <sup>(١)</sup> .

ها نحن الآن نرى مصداق كلام النبي ﷺ ؛ فكم من أناس يبيعون دينهم بعرض من الدنيا حقير ، من أجل كرسي زائل ، أو منصب فانٍ ، أو وظيفة من الوظائف ، أو شهوة رخيصة ، أو شبهة حقيرة .

وربما لا يتورع الرجل أن يكذب ، أو يُنافق ، أو يُجَادِعَ للوصول لهذه الغاية ؛ فإذا ما وصل إلى الغاية التي أراد تَنَكَّرَ جُلًّا وَعُودِهِ وَعُهُودِهِ .

○ ولذا ؛ حذَّرَ النبي ﷺ من فتنة الدنيا ؛ كما في « الصحيحين » من حديث عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أنه ﷺ قال :

« وَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ » <sup>(٢)</sup> .

● وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في « مسنده » ، وأبو داود في

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٦٤٢٥) .

وفي (٣١٥٨) ومسلم في كتاب الزهد والرقاق باب (٥٣) (٢٩٦١) .

« سننه » وابن ماجه في السنن ، والحاكم في المستدرک وصححه على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي والألباني ، من حديث أبي موسى الأشعري ، أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« إِنْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ، وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ، وَيُضْبِحُ كَافِرًا ، الْقَاعِدُ فِيهَا - أي في هذه الفتن - خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّامِي ، وَالسَّامِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، فَكَسِّرُوا قِسِيَكُمْ ، وَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ » <sup>(١)</sup> . أي الذي قُتِلَ .

• وفي الحديث الذي رواه البخاري من حديث أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةً فَرَعَا - يعني : استيقظ ليلة من لياليها فرعا - وَهُوَ يَقُولُ :

« سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ ؟ ! أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُبْرِ - أي : من يوقظ زوجات

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٠٨/٤) ، وأبو داود في كتاب « الفتن » والملاحم ، باب : في النهي عن السعي في الفتنة (٤٢٥٩) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب : التثبت في الفتنة (٣٩٦١) ، والترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة (٢٢٠٤) وقال : « حديث حسن غريب صحيح » ، والحاكم في « المستدرک » (٥٣١، ٥٢٥/٣) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٠٤٩) ، و « الصحيحة » (١٦٨٢) .

النبي الطاهرات ؛ لكي يصلين - فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي  
الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup> .

استيقظ النبي ﷺ وهو يقول : « سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ  
الْفِتَنِ ؟ » .

رأى النبي ﷺ في هذه الليلة الفتن الكثيرة التي وصفها ، كأنها  
كقطع الليل الأسود المظلم ؛ لذا ؛ أراد ﷺ أن يوقظ نساءه - رضوان  
الله عليهن - ليصلين لله - جلَّ وعلا - ثم قال :  
« فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ » .

○ وذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - أقوالاً كثيرة في  
تفسير هذه الكلمة الأخيرة : « فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ » .  
فقال : رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا وهي عارية أي : تلبس لباساً ضيقاً أو ثياباً  
شفافة ، تُظهِر هذه الثياب عورتها ؛ إما لضيقها وإما لشفافيتها . يُظهر  
الله - جلَّ وعلا - عورتها في الآخرة جزاءً وفاقاً لإظهارها عورتها في  
الدنيا إن لم تتب إلى الله ﷻ .

■ وأنتم تعلمون الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب : العلم والعظة بالليل (١١٥) وأطرافه  
(٧٠٦٩، ٦٢١٨، ٥٨٤٤، ٣٥٩٩، ١١٢٦) .

(٢) «فتح الباري» (٢٦/١٣) تحت حديث (٧٠٦٩) بتصرف .

أبي هريرة رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال :

« صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ؛ قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » <sup>(١)</sup> .

○ وهناك قول آخر : رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا بِالنِّعَمِ ، وَهِيَ عَارِيَةٌ عَنْ شُكْرِ الْمُنْعَمِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

○ وهناك من يقول : رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا بِالثِّيَابِ لَغْنَاهَا ، وَلَكِنَّهَا عَارِيَةٌ مِنَ الثِّيَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ لِتَجْرِدَهَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي تَكْسِي بِفَضْلِهِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ .

نسأل الله أن يستر نساءنا في الدنيا والآخرة ؛ إنه ولي ذلك ومولاه .

● وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الصَّلَاةَ جَامِعَةً (وإذا نادى المنادي بهذا النداء ؛ يعلم أصحاب النبي ﷺ أَنَّ أَمْرًا قَدْ وَقَعَ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَرِيدُ أَنْ يُخْبَرَ بِشَيْءٍ قَدْ تَمَّ ، أَوْ بِتَشْرِيعٍ قَدْ نَزَلَ) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب : النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٢١٢٨) ، وفي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء .

يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فاجتمعنا لرسول الله ﷺ ؛ فقال -  
بأبي هو وأمي :

« إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرِ مَا  
يَعْلَمُهُ هُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا  
فِي أَوَّلِهَا - فخير القرون قرن النبي ﷺ ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه -  
وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقَّقُ بَعْضُهَا  
بَعْضًا » .

معنى ذلك أنه قد تقع الفتنة العظيمة التي تخلع القلوب ، وتصيب  
المؤمن بالذهول ، ثم سرعان ما تقع فتنة أخرى أعصف فتنبئ الفتنة  
الثانية الفتنة الأولى « فَيُرَقَّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا » فينظر المسلم إلى الفتنة  
الجديدة إلى هَوْلِهَا وَفَظَاعَتِهَا وَبَشَاعَتِهَا ، فيرى أن الفتنة الأولى التي  
سبقت لا شيء إلى جوار الفتنة الجديدة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

تدبر كلام النبي ﷺ :

« وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ ،  
وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقَّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ  
فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ مُهْلِكَتِي . ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ ، فَيَقُولُ  
الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ هَذِهِ - أَي : هَذِهِ مُهْلِكَتِي هَذِهِ مُهْلِكَتِي - فَمَنْ أَحَبَّ

أَنْ يُزْخَرْ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَأْتِيهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُوتَى إِلَيْهِ» (١).

يقول الله جلّ وعلا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ  
وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أي: في ظل هذه الفتن يجب عليك أن تُجدد الإيمان، فإن الإيمان  
يَخْلُقُ ويضعف، ويزيد وينقص.

■ كما في الحديث الذي رواه الطبراني في «معجمه الكبير» والحاكم  
في «المستدرک» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:  
«إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ، كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ. أَيُّ كَمَا يَبْلَى  
الثَّوْبُ - فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ» (٢).

فالأمر يحتاج في ظل هذه الفتن - كما سنبين إن شاء الله تعالى - إلى  
أن يجدد الإنسان المسلم إيمانه بالله - جلّ وعلا - وباليوم الآخر، وأن  
يتعوذ بالله من شر هذه الفتن ما ظهر منها وما بطن.

■ وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه  
أن النبي ﷺ قال: «وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (١٨٤٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤/١)، وقال الحاكم: رواه مصريون ثقات، ووافقه

الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥٢/١): «رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن».

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٩٠) و«الصحيحة» (١٥٨٥).

ﷺ - وَهُوَ يُعَدُّ الْفِتْنَةَ :

« مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدُنَ يَذْرُنَّ شَيْئًا - أَي : لَا يَتْرُكُنَّ شَيْئًا - وَمِنْهُنَّ  
فِتْنٌ كَرِيَّاحِ الصَّيْفِ ، وَمِنْهَا صِغَارٌ ، وَمِنْهَا كِبَارٌ » <sup>(١)</sup> .

يعني : أن الفتن متفاوتة في قوتها كرياح الصيف ؛ فمنها ما هو  
شديد ، ومنها ما هو صغير ؛ ولذلك أخبر النبي ﷺ أن الفتن قد  
تشتد ، وأن البلاء قد يزيد ، لدرجة أن يتمنى العبد المسلم إذا مر على  
قبر الرجل أن لو كان مكانه .

• ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :  
« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ  
مَكَانَهُ » <sup>(٢)</sup> .

ألم نسمع هذه الكلمة مرارًا وتكرارًا من كثير من الناس ؟ يتمنى  
كثير من الناس من شدة الفتن والبلاء الموت ؛ مع أن النبي ﷺ قد نهى  
أن يتمنى العبد الموت لضرر وقع به !! نسأل الله ﷻ أن يختم لنا ولكم  
بالصالحات .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١) .  
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يغط أهل القبور (٧١١٥) ،  
ومسلم في كتاب الفتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن  
يكون مكان الميت من البلاء (١٥٧) .

● فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضْرَّ نَزْلُ بِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيَا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي » <sup>(١)</sup> .

ولا تعارض بين الروایتين - إن شاء الله تعالى - فإن النبي ﷺ نهى أن يتمنى العبد الموت من باب القنوط أو اليأس من الحياة ، لكن لا حرج أن يقول العبد : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي . وأسأل الله - جلَّ وعلا - أن يختم لنا جميعًا بالإيمان ، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يشبنا على الحق حتى نلقاه ، إنه وليُّ ذلك ومولاه .



(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى ، باب : تمنى المريض الموت (٥٦٧١) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب : كراهة تمنى الموت لضر نزل به (٢٦٨٠) .



# مصدر الفتن ومنبعها



## ﴿مصدر الفتن ومنبعها﴾

يَبَيِّنُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ أَنْ مَعْظَمَ الْفِتَنِ الَّتِي سَتَقَعُ سَتُخْرِجُ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ :  
 « أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا - وَيُشِيرُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ - مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » <sup>(١)</sup> .

• ويقول - عليه الصلاة والسلام - كما في حديث صحيح مسلم :  
 « رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَا هُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » <sup>(٢)</sup> .

يعني : من المشرق .

• وفي «الصحيحين» <sup>(٣)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
 « مِنْ هَا هُنَا جَاءَتِ الْفِتْنُ ، نَحْوَ الْمَشْرِقِ » .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ : «الفتنة من قبل المشرق» (٧٠٩٣) ، ومسلم في كتاب الفتن ، باب الفتنة من المشرق ، من حيث يطلع قرن الشيطان (٢٩٠٥) .  
 (٢) أخرجه مسلم ، في كتاب الفتن ، باب : الفتن من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب قول الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنْأَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ (٤٣٩٨) واللفظ له ، وانظر : (٣٣٠٢) ، ومسلم كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه ، ورجحان أهل اليمن فيه (٥١) .

• وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا فقال :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمِّنَا »

- في الشام واليمن - فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا نَبِيَّنَا ! ، وفي عراقنا ؟

فقال النبي - عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ بِهَا قَرْنَ الشَّيْطَانِ وَتَهْجُ الْفِتْنُ ، وَإِنَّ الْجَفَاءَ بِالْمَشْرِقِ » <sup>(١)</sup> .

وهذا الحديث رواه الطبراني . ورواته ثقات .

• وأخرج البخاري <sup>(٢)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِّنَا » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَفِي نَجْدِنَا ؟

قال : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِّنَا » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَفِي نَجْدِنَا ؟ فَأُظِنَهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ : « هُنَاكَ

الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » والمعنى واحد .

• قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » <sup>(٣)</sup> : « قال الخطابي : نَجْدُ

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢/١٢٥٥٣) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد »

(٣/٣٠٥) : « رجاله ثقات » وصحح الألباني سند رواية الطبراني وقال : وقد شرحت

ذلك في كتابي « تخرج أحاديث فضائل الشام » للربيعي (رقم ٨١) .

(٢) « صحيح البخاري » كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ : « الفتن من قبل المشرق » رقم

(٧٠٩٤) .

(٣) « فتح الباري » (١٣/٥٨) ط الحديث .

من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده : بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهل المدينة .

○ قال ابن حجر : وأول الفتن كان من قبل المشرق - تدبر لتقف على صدق من لا ينطق عن الهوى ﷺ - فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به ، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة اهـ .

«فمن العراق ظهر الخوارج والشَّيعة ، والروافض ، الباطنية ، والقدرية ، وكان أول من قال بالقدر في البصرة : معبد الجهني ، والمعتزلة وغيرها .

وأكثر الفتن ، وأبشع مقالات الكفر التي خرجت ، خرجت من جهة المشرق ؛ كما قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

فمن جهة الفرس المجوس ، خرجت كل فرق الكفر والضلال ، كالزردشتية ، والقاديانية ، والبهائية ، والهندوسية ، والبوذية .

وأيضاً ظهر التَّار في القرن السَّابع الهجري ، وكان ظهور التَّار من قبل المشرق ، وقد حدث على أيديهم من الدَّمار والقتل ما الله تعالى به عليم ، حتى وصلت برك الدماء وأكوام الأشلء في بلاد العراق - وفي بغداد على وجه التَّحديد - إلى منتصف ساق الخيول ، من كثرة

القتل والدّم ، ومُنِعَتْ صلاة الجماعة في بلاد العراق أربعين يومًا ، لا يستطيع أحد أن يخرج من بيته !

وإلى يومنا هذا لا يزال المشرق منبع كل فتنة ، ولنعلم أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى .

فالشيوعية الملحدة والصين الشيوعية والفايكان ، وكل فرق الضلال لا زالت إلى يومنا هذا تخرج ابتداءً من المشرق <sup>(١)</sup> ، وهذا ما نبأنا به معلّم البشرية جميعًا ﷺ .

وليس هناك عاصم من كل هذه الفتن - كما سأفرد لهذا بابًا مستقلًا بإذن الله تعالى - إلا الإيمان بالله جلّ وعلا ، وباليوم الآخر ، ولزوم جماعة المسلمين من أهل السُّنة - ولو كانوا قلة - والابتعاد عن الفتن ، والتعوذ منها ؛ فقد قال النبي ﷺ :

« تَعُوذُوا بِاللّٰهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » .

قَالُوا : نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ <sup>(٢)</sup> . والحديث رواه مسلم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

وكان النبي ﷺ يتعوذ في صلاته من فتنة المحيا ، وفتنة الممات ، ومن

(١) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (٩٣-٩٥) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٨٦٧) .

فتنة المسيح الدجال ، وهي أعصف وأخطر فتنة سيتعرض لها من يعيش في الأرض في هذه اللحظات التي يخرج فيها الدجال ، والعياذ بالله .

هذا بالنسبة لفتنة المشرق ؛ أما فتنة المغرب فأعظم وأطم .

● ففي « معجم الطبراني » من حديث عصمة بن قيس السلمى رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أَنَّهُ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَشْرِقِ ، فَقِيلَ لَهُ : فَكَيْفَ فِتْنَةُ الْمَغْرِبِ ؟

قال : « تِلْكَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ » .

○ وفي لفظ : « تِلْكَ أَعْظَمُ وَأَطَمَ ، تِلْكَ أَعْظَمُ وَأَطَمَ » <sup>(١)</sup> .

وأظنكم ترون الآن صدق كلام النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى .

● وروى ابن أبي شيبة في « المصنف » - بسند فيه موسى بن عبيدة - عن أبي الرباب وصاحب له : أنهما سمعا أبا ذر رضي الله عنه يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها ، أطال قيامها وركوعها وسجودها . قال : فسألناه : مم تعوذت ؟ وفيهم دعوت ؟ فقال : تعوذتُ بالله من يوم البلاء ويوم العورة . فقلنا : وما ذاك ؟! قال : أمّا يوم البلاء : فتلتقي فئتان من

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ١٧ / ٥٠١ ، ٥٠٢ ) ، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ( ١٣٨٨ ) ط الراجية ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٧ / ٢٢٠ ) : ورجاله ثقات ، ونعيم ابن حماد في الفتن ( ٧٤٨ ، ٧٤٩ ) .

المسلمين ، فيقتل بعضهم بعضًا ، وأما يوم العورة : فإن نساء من  
المسلمات ليسين ؛ فيُكشف عن سُوقِهِنَّ فأيتهن كانت أعظم ساقًا  
اشترت على عِظَمِ ساقها ، فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان ،  
ولعلكما تدركانه ! قال : فقتل عثمان ، ثم أرسل معاوية بُسرَ بن أرطاة  
إلى اليمن ، فسبى نساءً مسلمات ، فأقمن في السُّوق <sup>(١)</sup> .

فهل وقعت أم لا ؟ نعم ، وقعت فتنة عليٍّ ومعاوية - رضي الله  
عنهما - وعن جميع أصحاب النبي ﷺ ، وغفر الله لنا ولهم ، وجمعنا  
معهم في جنة النعيم وتجاوز عنا وعنهم ، إِنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

ولقد سأل رجلٌ حَبِيبُ عَالَمٍ من العلماء يومًا عن الفتنة بين علي  
ومعاوية رضي الله عنهما فقال له : يا أخي ، إن أخطأ معاوية ؛ فإن عليًا كريم ،  
وإن ربَّ عليٍّ ومعاوية لغفور رحيم .

ولله دُرُّ القائل : <sup>(٢)</sup> « تلك فتنة - نعم فتنة بكل المقاييس - سلمت  
منها أيدينا فلتسلم منها ألسنتنا » وعند الله تجتمع الخصوم . نسأل الله  
ﷻ أن يغفر لنا ولهم ، وأن يجمعنا بهم في جنة النعيم .

(١) رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » ( ٦٧٢ / ٨ ) رقم ( ١٦٢ ) ، ومن طريقه ابن عبد البر في  
الاستيعاب ( ٤٩ / ١ ) .

(٢) في شرح الطحاوية ( ٧٢٤ ، ٧٢٥ ) وهو يتحدث عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : والفتن التي  
كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا « فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا » بمَنه وكرمه .

فأبو ذر يقول : أمّا يوم البلاء ، فتلتقي فئتان من المسلمين ، فيقتل بعضهم بعضاً ، وأمّا يوم العورة : فإنّ نساء من المسلمات ليسين ، فيُكشف عن سوقهن ، فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشترت على عِظَم ساقها ، فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان ، ولعلكما تدركانه - هكذا يقول أبو ذر لصاحبيه - رضوان الله عليهم جميعاً .

○ وأقول : لقد وقع ما خشيهِ أبو ذر ﷺ من يوم العورة ؛ فلقد كُشِفَت الآن عورات المسلمات - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وأنتم ترون المسلمات قد انطلقن في الشوارع هائئات ، وقد كشفت المرأة عن صدرها وشعرها وساقها وذراعيها ، كشفت عن فتنها وعورتها .

بل وكما قال أبو ذر : « فَأَيُّهُنَّ أَعْظَمُ ساقاً اشْتَرَيْتَ عَلَى عِظَمِ ساقها » .

ولقد وقع - ورب الكعبة - ما قاله أبو ذر ﷺ ! كيف وأين ؟! ألم نقرأ ونسمع عن حفلات اختيار ملكات جمال العالم ؟! حيث تختار تلك الملكات بمثل هذه المواصفات التي ذُكِرَ ، يُنظر إلى كل تفاصيل جسدها ، ثم تُقدم من تنال النصيب الأوفر من هذه المواصفات .

وكذلك في حفلات عروض الأزياء ؛ بل إننا نرى ذلك في شوارعنا

وطرقاتنا ؛ بل تظهر العورات المغلظة على الشواطيء العارية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ نسأل الله أن يستر نساء المسلمين .

• ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي زَمَانٌ - أَوْ لَا أُدْرِكُ زَمَانٌ - قَوْمٌ لَا يَتَّبِعُونَ الْعَلِيمَ ، وَلَا - يُسْتَحْيُونَ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمُ الْأَعَاجِمُ ، وَالسِّنْتُهُمُ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ» <sup>(١)</sup> .

• وفي رواية لأحمد <sup>(٢)</sup> عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول

الله ﷺ قال :

«اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي زَمَانٌ ، وَلَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يُتَّبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ ، وَلَا يُسْتَحْيَى فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ ، وَالسِّنْتُهُمُ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ» .

وهذا وصف عجيب قد وُصِفَ بِهِ أَهْلُ آخِرِ هَذَا الزَّمَانِ !

وإن كثيراً من أفراد الأمة الآن لا يتبعون العلماء ؛ بل يتبعون

<sup>(١)</sup> رواه الحاكم في « المستدرک » ( ٤ / ٥١٠ ) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في « الجامع لشعب الإيمان » ( ٧٧٤٠ ) وقال عثمان بن صالح - أحد رواة الحديث : الأعاجم : الدواب ، وتفسير ذلك قول رسول ﷺ : « الْعَجَمَاءُ جَرَحُهَا جَبَارٌ » .

<sup>(٢)</sup> « مسند الإمام أحمد » ( ٥ / ٣٤٠ ) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع ( ١٢١٨ ) ، والضعيفة ( ١٣٧١ ) .

السُّفهاء والرُّويضات ، الذين أخبر عنهم النبي ﷺ .

• كما في الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه في « سننه » ، وأحمد في « مسنده » ، والحاكم في « مستدركه » عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ :

« سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّويِضَةُ » .  
قِيلَ : وَمَا الرُّويِضَةُ ؟

قَالَ : « الرَّجُلُ التَّافَهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » <sup>(١)</sup> .

• وفي رواية للحاكم وأحمد : « السَّفِيهُ » بدل « التَّافَهُ » .

وفي رواية للطبراني : « مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ » .

وفي رواية لأنس بن مالك ؓ : « الْفَاسِقُ » .

وفي رواية له ؓ : « الْفُويِصُّ » <sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب شدة الزمان (٤٠٣٦) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩١ ، ٣٣٨) ، والحاكم في المستدرک (٤/ ٤٦٥ ، ٤٦٦) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، ونعيم بن حماد في الفتن (١٤٠٧) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٥٠) وفي الصحيحة (١٨٨٧) .

(٢) «معجم الطبراني الكبير» (١٢/ ٤٣٨ رقم ١٤٥٥١) أخرجه من طريق أنس ؓ ، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٢٠) ، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٥٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٧١٥) =

هذا هو الذي يتكلم الآن «الرَّوَيْبُضَةُ» والناس لا يتبعون العلماء؛ بل يتبعون السفهاء، ويكرمونهم، ولو أقاموا شرعاً لأقاموا عليهم الحد ولا يستحيون من أهل الحلم أبداً، قلوبهم قلوب الأعاجم، قلوب الغرب، وألسنتهم ألسنة العرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويزداد الأمر خطراً إذا علمنا أن النبي ﷺ قد أخبر أن الفتن تُعرض على القلوب - وهذا مكمّن الخطر - كما في «صحيح مسلم» من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال :

كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟  
فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ.

فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟  
قَالُوا: أَجَلٌ.

قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟

---

= روي عن عوف ابن مالك رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في الكبير (٦٧/١٨) وفي مسند الشاميين (٤٨)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٥٣).

قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمَ ، فَقُلْتُ : أَنَا .

قَالَ : أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ ! قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

« تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ ، حَتَّى نَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخَّيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ » <sup>(١)</sup> .

اللهم اجعلنا من أصحاب هذه القلوب البيضاء التقيّة النقيّة ، التي لا تضرها الفتن ما دامت السموات والأرض ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

« أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِتْنًا كَأَنَّهَا اللَّيْلُ يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ » <sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب (١٤٤) ، وانظر البخاري (٥٢٥) .

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٢١) عن ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه أحمد (٤٥٣/٣) عن الضحاك بن قيس بسند ضعيف مرفوعاً ، والحاكم (٦٢٣٤) ، والطبراني في الكبير (٢٩٨/٨) ، وابن سعد في الطبقات (٤١٠/٧) ، وأخرجه نعيم بن حماد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (١١٣) ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٤٦٥٤) .

يا الله !! كم من قلوب ماتت الآن في الصدور كما تموت الأبدان وأصحابها لا يشعرون ، تحجبُ الفتنُ القلوبَ عن أنوار الإيمان ؛ قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿ [المطففين: ١٤، ١٥] .

يقول : أخاف عليكم فتناً كأنها الليل من سوادها وظلامها ، يموت فيها قلبُ الرجل ، كما يموت بدنه ، والعياذ بالله ، تنكت الفتنة في القلب - إن أشربها نكتة سوداء - فإن لم يتب العبد إلى الله وأشرب قلبه فتنة أخرى ، تزيد بقعة السواد في القلب ، فإن لم يرجع إلى الله - جلَّ وعلا - بالتوبة والأوبة وعُرِضت على قلبه فتنة ثالثة ، تزيد بقعة السواد ، وهكذا حتى يحجب سوادُ الفتن نورَ الإيمان في القلوب .

■ وفي الحديث الذي رواه أبو نعيم والديلمي ، وحسنه الألباني من حديث عليٍّ رضي الله عنه أن الحبيب النبي ﷺ قال :

« مَا مِنْ قُلُوبٍ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ ، بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيٌّ إِذْ عَلَتْهُ سَحَابَةٌ فَأَظْلَمَ ، إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ » (١) .

فالقمر في كبد السماء منير ؛ فإذا تحركت سحابة كثيفة وحالت بين

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٢٢٠) ط الحرمين ، وأبو نعيم في الحلية (١٩٦/٢) ، والديلمي في مسند الفردوس (٦٥٥٢/٤) ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٦٨٢) ، و« الصحيحة » (٢٢٦٨) .

القمر وبين الأرض حجبت السحابة نور القمر عن الأرض .

كذلك القلب إذا علاه الرآن ، وتكاثفت سحب المعاصي والذنوب عليه حَجَبَتْ هذه السُّحُبُ الكثيفة المظلمة نور الإيمان في القلوب ؛ فإن تاب العبد إلى علام الغيوب ، وعاد إلى الله - جلَّ وعلا - ورجع انقشعت تلك السحب ، وعاد نور الإيمان في قلب العبد المؤمن مرة أخرى .

■ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] <sup>(١)</sup> .

● والسؤال الآن : كيف يعرف المرء هل أصابته الفتنة أم لا ؟

○ والجواب : من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول :

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب من سورة المطففين (٣٣٣٤) وقال : « حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الذنوب (٤٢٤٤) ، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٨) ، والحاكم في المستدرک (٣٩٠٨، ٦) ، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب (٧٢٠٣) ، والكبرى (١٨٨ / ١٠) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٤١، ٢٤٦٩) .

« إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْلَمَ هَلْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا ، فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ رَأَى حَلَالًا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ » .

○ وفي لفظ أبي نعيم : « إِنَّ الْفِتْنَةَ تُعَرِّضُ عَلَى الْقُلُوبِ ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِنْ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ ، أَنْ يَعْلَمَ هَلْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا ؛ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ يَرَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا ، أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا ، فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ » <sup>(١)</sup>

نسأل الله تعالى أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يجدد الإيمان في قلوبنا ، وأن يزيقنا طعمه وحلاوته ، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ؛ إنه ولي ذلك ومولاه .



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب الفتن والملاحم (٨٤٤٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٧٢) .  
 (٢٧٣) ، ونعيم بن حماد في الفتن (١١٠، ١١٣) ، وابن أبي شيبة في المصنف كتاب الفتن (٨/ ٦٢٨) ، والداني في السنن الواردة في الفتن (٢٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٨/ ٣٤) .

# بداية الفتنة



## بداية الفتنة

○ متى بدأت الفتنة؟

● والجواب من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ؛ كما في « الصحيحين » <sup>(١)</sup> من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ فقال حذيفة بن اليمان : أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - هذه خصوصية لحذيفة ؛ فقال عمر : هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ - وفي لفظ : لله أَبُوكَ .

فقال حذيفة : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ ، وَالصَّدَقَةُ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ » .

فقال عمر : لَيْسَتْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ .

فقال حذيفة بن اليمان : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا .

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٥٨٦) وانظر رقم (٥٢٥) ، ومسلم كتاب الإيمان باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب ، وعرض الفتن على القلوب (١٤٤) وكتاب الفتن ، باب : في الفتنة التي تموج كموج البحر (٢٦/٤) .

قال عمر : يُفْتَحُ الْبَابُ أَمْ يُكْسَرُ ؟ - انظر إلى فقهه عمر ! .

فقال حذيفة : لَا ، بَلْ يُكْسَرُ .

فقال عمر - الفقيه الملهم : ذَلِكَ آخَرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ .

قلنا : أَعْلِمَ الْبَابَ ؟ هل علم من سيكون هذا الباب الذي سيظل

حاجزًا لهذه الفتنة التي تموج كموج البحر حتى يكسر هذا الباب ؟

فقال حذيفة : نَعَمْ - إنه علمه - كَمَا أَنَّ دُونَ غَدِ اللَّيْلَةِ ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ

حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ - أي : إني حدثت عمر الليلة حديثًا صادقًا

صحيحًا ، ليس بالأغاليط والأكاذيب - إنما هو حديث عن النَّبِيِّ

ﷺ الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

قُلْنَا : فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ - أي : تَهَيَّبُوا أَنْ يَسْأَلُوا حذيفة بن اليمان ﷺ

- وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا <sup>(١)</sup> فسأله فقال مسروق لحذيفة ﷺ : مَنِ الْبَابُ ؟

فقال له حذيفة : إِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

فكَأَنَّهُ مَثَلُ الْفَتَنِ بَدَارٍ ، ومثل حياة عمر ﷺ بابًا مغلقًا لهذه الدَّارِ ؛

فإن فتح الباب أو كسر ؛ خرج من هذه الدار ما فيها من الفتن .

○ وقد روي عن عثمان بن مظعون ﷺ ، أنه قال لعمر بن الخطاب

(١) هو مسروق بن الأجدع وهو من أتباع التابعين - وكان من أقرب المقربين لحذيفة بن اليمان ،

ولعبد الله بن مسعود .

ﷺ يوماً : يا غُلَقُ الفتنة - أي : يا من جعلك الله باباً مغلقاً للفتن - فسأله عمر بن الخطاب ﷺ عن ذلك ؛ فقال عثمان بن مظعون ﷺ : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ مررت - أي مرَّ عمر ﷺ - فقال النبي ﷺ وهو يشير إلى عمر :

« هَذَا غُلَقُ الْفِتْنَةِ ، لَا يَزَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْفِتْنَةِ بَابٌ شَدِيدُ الْغُلُقِ مَا عَاشَ هَذَا يَبْنَ ظَهْرَانِيكُمْ » <sup>(١)</sup> وأشار إلى عمر .

■ وروى الطبراني أيضاً بسندٍ رجاله ثقات كما قال الحافظ أن أبا ذرٍّ ﷺ لقي عمر بن الخطاب يوماً ، فأخذه عمر بن الخطاب من يده فغمزه ، فقال له أبو ذرٍّ ﷺ : أرسل يدي يا قَفَلَ الْفِتْنَةِ ، فقال عمر : وَمَا قَفَلَ الْفِتْنَةِ ؟ قَالَ : جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَجَلَسْتُ فِي آخِرِهِمْ فَقَالَ : « لَا تُصِيبُكُمْ فِتْنَةٌ مَا دَامَ هَذَا فِيكُمْ » وأشار إلى عمر بن الخطاب ﷺ <sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٢٣٣ زوائد البزار) ، والطبراني في « الكبير » (٨٣٢١ / ٩) ، وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (١٩٢٥) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣٤ / ٤٤) ■ وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧٢ / ٩) : « رواه الطبراني والبزار » وفيه جماعة لم أعرفهم ، ويحيى بن المتوكل ضعيف .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (ح ١٩٦٦) ، وابن عساكر في تاريخه (٣٣٤ / ٤٤) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧٣ / ٩) : « ورجاله رجال الصحيح غير السري بن يحيى ، وهو ثقة ثبت ، ولكن الحسن البصري لم يسمع من أبي ذر فمما أظن » ، وقال الحافظ في « الفتحة » (٣٩١ / ١٠) تحت حديث (٣٣٢١) : « بإسناد رجاله ثقات » .

لله درُّ عمر ؛ فعمر بن الخطاب ﷺ كان بابًا مغلقًا لدار الفتن – أو لنار الفتن – التي استشرت ، فما استشرت الفتن إلا بعد عمر ﷺ .

وفيما يلي من فصول هذا الكتاب – بإذن الله تعالى – سأعرض لأعصف فتنة بدأت في حياة هذه الأمة بعد موت عمر ، ألا وهي قتل الخليفة الراشد عثمان ﷺ .

وسأضع النقط على الحروف ؛ لأننا نرى الآن كثيرًا من المنافقين ممن لا يجيدون الصَّيد إلا في المياه العكرة ، ويحسنون النِّيل من أصحاب النبي ﷺ ولا يعرفون إلا التَّناول على هذه القمم الشَّماء ، أسأل الله تعالى أن يرضى عنهم ، وأن يجمعنا معهم في جنَّة النِّعيم ، بحبِّنا لهم . وإن لم نعمل بمثل أعمالهم ؛ إنه على كل شيء قدير .

فعمر بن الخطاب بشهادة النبي ﷺ كان بابًا مغلقًا على الفتن ، فلما كسر هذا الباب بقتل عمر خرجت الفتن . وأطلت الفتن برأسها الظلوم ، وبوجهها الكالح الغشوم !!

ومن « الفتن » : أن يَسْبَّ الأقرامُ الأنجاسُ عُمَرُ بن الخطاب ﷺ الذي قال النبي ﷺ في حقِّه الكثير والكثير :

● فأخرج أبو داود وابن ماجه في « سننهما » عن أبي ذرٍّ ﷺ قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ » <sup>(١)</sup>.

• وفي رواية الترمذي بسند حسن من حديث عبد الله بن عمر أن

النبي ﷺ قال :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ » <sup>(٢)</sup>.

• وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » من

حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال :

« لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدِّثُونَ أَي : ملهمون من غير أن يكونوا أنبياء - فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » <sup>(٣)</sup>.

• وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » من

حديث أبي سعيد الخدري أنه ﷺ قال :

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦٥/٥)، وأبو داود كتاب الخراج والإمارة والفناء باب في تدوين العطاء (٢٩٦٢)، وابن ماجه في المقدمة باب فضل عمر ؓ (١٠٨) « وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٣٤) والمشكاة (٦٠٣٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٩٥،٥٣/٢)، والترمذي كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٢) وقال : « حديث حسن صحيح غريب هذا الوجه »، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣٦) .

(٣) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة ؓ، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر بن الخطاب (٢٣٩٨) من حديث عائشة ؓ .

« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ - جمع قميص - مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ » أي: قميص يجره على الأرض ، قَالُوا: فَمَا أَوَّلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « الدِّينَ » <sup>(١)</sup> يعني : عمر مسربل بسربال الدين .

● وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

« بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَيْتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي » يقول :

« ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » .

قَالُوا: فَمَا أَوَّلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ : « الْعِلْمَ » <sup>(٢)</sup> .

فعمر يتسربل بسربال الدين والعلم .

(١) أخرجه البخاري في كتاب لإيمان ، باب : تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (٢٣) ، ومسلم في

كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر رضي الله عنه (٢٣٩٠) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب : في فضل العلم (٨٢) ، ومسلم في كتاب فضائل

الصحابة باب : من فضائل عمر - رضي الله تعالى عنه (٢٣٩١) .

■ بل وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال : استأذن عمرُ على رسولِ الله ﷺ ، وعنده نساءٌ من قريشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ !

فَقَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي ، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ » .

قَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهْبَنَنِي وَلَا تَهْبَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ ! قلن : نَعَمْ ، أَنْتَ أَفْظُ وَأَعْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَابِ ؟ وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » . أي : مشى في طريق غير طريقك <sup>(١)</sup> .

أَيُّ طَبِيعَةٍ هَذِهِ ؟ ! وهل عند بلغاء الأرض وأدباء الدنيا من الكلمات ما يستطيعون أن يعبروا به عن هذه الطبيعة العمرية ، التي لا

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٦٨٣) ، وانظر : رقم (٣٢٩٤) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر رضي الله عنه (٢٣٩٦) .

مثيل لها البتة على وجه الأرض بعد عمر رضي الله عنه؟!

الشیطان يهاب عمر، إذا لا تعجب إن كان عمر رضي الله عنه هو الباب المغلق الذي إن كُسر لخرجت الفتن بوجهها الكالح الغشوم الظلوم - كما سأبين ذلك - إن شاء الله تعالى .

ومن « الفتن » أيضاً ۞ أن يجهل كثير من أفراد الأمة قَدْرَ وَعِلْمِ الصَّحَابِيِّ الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي يروي لنا جُلَّ أحاديث الفتن، ذلك الرجل الذي قال - كما في « صحيح مسلم » :

« وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ » <sup>(١)</sup>  
سبحان الله !! .

• وهو الذي قال كما في « الصحيحين » : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا ، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهِ مَنْ نَسِيَهِ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتُهُ فَأَرَاهُ ، فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ <sup>(٢)</sup> .

• وفي « صحيح مسلم » عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : أَخْبَرَنِي

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر ، باب : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴾ (٦٦٠٤) « ومسلم

في كتاب الفتن ، باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١) واللفظ له .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ ، مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ؟ <sup>(١)</sup> .

• وفي الحديث الذي رواه أبو داود في « سننه » عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : « وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَنَسِي أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْا ؟ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدٍ فَتَنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ الدُّنْيَا ، يَبْلُغُ مِنْ مَعَهُ ثَلَاثِائَةِ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا رضي الله عنه بِاسْمِهِ ، وَاسْمِ أَبِيهِ ، وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ » <sup>(٢)</sup> .

■ وقال حذيفة رضي الله عنه أيضًا - كما عند نعيم بن حماد في « الفتن » : « مَا مِنْ صَاحِبِ فَتْنَةٍ يَبْلُغُونَ ثَلَاثِائَةٍ ، إِلَّا وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَسْمِيَهُ بِاسْمِهِ ، وَاسْمِ أَبِيهِ ، وَمَسْكَنِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » .

ثم قال حذيفة : « إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ، وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، وَتَسْأَلُونَهُ عَمَّا كَانَ ، وَأَسْأَلُهُ عَمَّا يَكُونُ » <sup>(٣)</sup> .

■ وعن حذيفة رضي الله عنه قال : « مَا أَنَا إِلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِكُمْ بِأَهْدَى مِنِّي » .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن « باب : إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩١) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن « باب : ذكر « الفتن » ودلائلها (٤٢٤٣) » وضعفه الألباني

في « ضعيف سنن أبي داود » (٩١٣) ، « والمشكاة » (٥٣٩٣) ، والمعنى له شواهد .

(٣) أخرجه نعيم في « الفتن » (١٦) (٣١ / ١) ط التوحيد / القاهرة ، من طريق مكحول عن حذيفة .

بُكِّلَ فِتْنَةٌ هِيَ كَائِنَةٌ وَسَائِقُهَا وَقَائِدُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ « (١) .

• وعن حذيفة رضي الله عنه قال : « وَاللَّهِ مَا أَنَا بِالطَّرِيقِ إِلَى قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى ، وَلَا إِلَى مَضْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ بِأَعْلَمَ مِنِّي مِمَّا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ » (٢) .

• وعن حذيفة رضي الله عنه أيضًا أنه قال : « لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ مَا رَقَدْتُمْ فِي اللَّيْلِ » (٣) .

فحذيفة بحق كان صاحب سر النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قال ، وكما روى ذلك الإمام البخاري ومسلم .

وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه من نجباء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسم اليمان : حَسَل - ويقال (٤) : حُسَيْل - بن جابر العبسي ، كان والده قد أصاب دماً في قومه ، فهرب إلى المدينة وخالف بني عبد الأشهل ، فسماه قومه : اليمان ؛ لحلفه لليمانية ، وهم الأنصار (٥) ، قتل والده في غزوة أحد . وأسلم حذيفة وأخوه صفوان وأبوه في يوم واحد لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) أخرجه نعيم في « الفتن » (٢٦) (١/ ٣٤) .

(٢) أخرجه نعيم في « الفتن » (٢٧) . (١/ ٣٤) .

(٣) أخرجه نعيم في الفتن (١٨) (١/ ٣٢) .

(٤) وراجع « التقريب » لابن حجر (ترجمة حذيفة ١١٥٦) .

(٥) « سير أعلام النبلاء » (٢/ ١٦٣) للذهبي .

وسمعوا منه .

○ له في «الصحيحين» اثنا عشر حديثاً عن النبيّ - صلى الله عليه - وعلى آله وسلم - انفرد البخاري له بثمانية أحاديث ، وانفرد مسلم له بسبعة عشر حديثاً ؛ قاله الذهبيُّ رحمه الله في « سير أعلام النبلاء »<sup>(١)</sup> .

وبعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وبدأ يتربى على يد النبيّ - عليه الصلاة والسلام - نمت موهبته في جانبٍ فذّ عظيم ، وكأن هذا الرَّجل المبارك قد تَخَصَّصَ في السُّؤال عن معرفة الفتن ، ومعرفة الشرِّ واجتنابه .

وبدأ يبحث عن الأمور التي ستكون بين يدي السَّاعة ، فهو يرى أصحابَ النبيّ ﷺ يسألون عما كان ، وحذيفة - في موهبة فذة عجيبة - يسأل النبيّ - عليه الصلاة والسلام - عما سيكون .

ولقد بلغ من موهبة وفطنة وذكاء حذيفة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وهو الملهم الفطن العاقل الذكي الأريب - كان يستأنس دومًا ويستدل برأيه .

حتى ذهب إليه عمر في يوم وسأله<sup>(٢)</sup> : أنشدك الله يا حذيفة ، هل

(١) المصدر السابق .

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧٦/١٢) عن حذيفة قال: «مرّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال : ....» .

سَمَّاني لك رسول الله ﷺ في المنافقين؟! لأنَّ النبي ﷺ قد اتَّخَذَ حذيفة أمينًا وحافظًا لسرِّه ، فأطلعه بأخبار الفتن ، وأخبره أيضًا بأسماء المنافقين ، والعياذ بالله .

لقد أوتي حذيفة بن اليمان من الحصافة والفتنة ما جعله يدرك أن الخير في هذه الحياة واضح بيِّن لمن يريده ، وإنما الشرُّ هو الذي يتنكر ويتخفى .

ومن ثم فإنه من الواجب على العاقل الأريب أن يعتني وأن يهتم بدراسة الشرِّ حتى لا يقع فيه ، والخير واضح بيِّن جليٌّ - إن شاء الله تعالى . وهكذا عكف حذيفة بن اليمان على دراسة الشرِّ والأشرار ، والنفاق والمنافقين ، والفتن حتى ما بطن منها ، فتراه يسأل رسول الله ﷺ عنها ، ورسول الله ﷺ يجبره .

■ تدبر معي هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : يقول حذيفة رضي الله عنه : « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُذَكِّرَنِي » .

○ وفي رواية : « وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَا يَسْبِقُنِي » أي . لا يفوتني . يقول : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ - أي : قبل الإسلام - فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ - أي : بهذا الإسلام العظيم - فَهَلْ

بَعْدَ هَذَا الْحَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قال النبي ﷺ: «نَعَمْ» .

فقال حذيفة: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

قال النبي ﷺ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ» - خير ليس صافياً مكرر

بشوائب الفتن .

قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال ﷺ: «قَوْمٌ يَسْتَنُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هُدْيِي، تَعْرِفُ

مِنْهُمْ وَتُنَكِّرُ» .

قال حذيفة: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْحَيْرِ - أي: الذي يشوبه الدخن - مِنْ

شَرٍّ؟

قال النبي ﷺ: «نَعَمْ» دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مِنْ أَجَابِهِمْ إِلَيْهَا

قَذَفُوهُ فِيهَا» .

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! صِفْهُمْ لَنَا؟

قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» .

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ - هذا هو الجواب

الذي يريد أن يصل إليه .

فقال النبي ﷺ : « تَلَزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » .

قال حذيفة : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ - سؤال عجيب أي :  
ماذا أصنع ؟ - فقال النبي ﷺ :

« فَاعْتَرِزْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصَ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى  
يُذَرِّكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » <sup>(١)</sup> .

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن .

هكذا يبين لنا هذا الحديث وأحاديث الفتن ، شخصية حذيفة بن  
اليمان رضي الله عنه بجلاء ووضوح .

ذلكم الرجل الذي عاش مفتوح البصر والبصيرة على بؤر الفتن ،  
وتواريخ الفتن ، وأسباب الشر حتى لا يقع فيه ، وليحذر الناس منه .

• ولذلك يقول حذيفة رضي الله عنه : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ فِدَعَا  
النَّاسَ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى ، وَمَنِ الْكَفَرِ إِلَى الْإِيمَانِ ؛ فَاسْتَجَابَ لَهُ  
مَنْ اسْتَجَابَ ، فَحِيا بِالْحَقِّ مَنْ كَانَ مَيِّتًا ، وَمَاتَ بِالْبَاطِلِ مَنْ كَانَ حَيًّا ،  
ثُمَّ ذَهَبَتِ النَّبُوَّةُ فَكَانَتِ الْخِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِهَا ، ثُمَّ يَكُونُ مَلَكًا عَاضًا ،  
فَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَنْكِرُ بَقْلَهُ وَيَدُهُ وَلِسَانَهُ ، أَوْلَئِكَ اسْتَجَابُوا لِلْحَقِّ ، وَمَنِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن ، باب : كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٧٠٨٤) ، انظر : رقم

(٣٦٠٦) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب : وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور

الفتن (١٨٤٧) .

الناس من ينكر بقلبه ولسانه ، كافيًا يده ؛ فهذا ترك شعبةً من الحق ، ومنهم من ينكر بقلبه كافيًا يده ولسانه ، فهذا ترك شعبتين من الحق ، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا بيده ولا بلسانه ؛ فذلك ميت الأحياء » <sup>(١)</sup>.

■ ويتحدث حذيفة الخبير بأحوال القلوب فيقول : «القلوبُ أربعة : قلبٌ أجردٌ فيه سراجٌ يزهرُ ؛ فذلك قلبُ المؤمن ، وقلبٌ أغلف - أي : غلف في أغلفة الكفر والعياذ بالله - فذلك قلبُ الكافر ، وقلبٌ منكوسٌ : عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمي ؛ فذلك قلبُ المنافق ، وقلبٌ تمدُّه مادَّتَان : مادةٌ إيمان ومادةٌ نفاق ، وهو لما غلب عليه منها» <sup>(٢)</sup>.

وإيمان حذيفة - رضوان الله عليه - وولاءه لله ورسوله وللمؤمنين ، لا يعترفان بالعجز أبدًا ولا بالضعف ؛ بل ولا بالمستحيل .

فها هو حذيفة بن اليمان - رضوان الله عليه - نتعرف على شخصيته القوية حتى في جوانب المعارك والأزمات المهلكة الطَّاحنة ، التي لا

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٣٦) عن أبي البخري عن حذيفة ، قال أبو نعيم الحلية (٤/ ٣٨٥) : «.. وأرسله» ، وقد روي مرفوعًا ؛ أخرجه أحمد (٣/ ١٧) ، وأبو نعيم (٤/ ٣٨٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ؛ وفيه علتان : ضعف ليث والانتقطاع بين أبي البخري وأبي سعيد ؛ وضعفه الشيخ شعيب في «تحقيق المسند» (١١٢٩) ، وانظر : «مجمع الزوائد» (١/ ٦٣).

يقف إليها الأقوياء ولا يتعرض لها إلا الأبطال الصناديد .

ففي غزوة الخندق ؛ «غزوة الأحزاب» ، وبعد أن دبّ الفشل في صفوف كفّار قريش وحلفائهم من اليهود .

أراد الرسول ﷺ في ليلة حالكة السواد ، شديدة الريح ، عظيمة البرد ، بصورة قاتلة ، أن يقف على آخر تطورات الموقف في معسكر الأحزاب - معسكر المشركين .

وكانت العواصف رهيبة ، والرياح تزجر وسط الصحراء ، وكان الليل مظلمًا شديد السواد ، وأراد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يرسل واحدًا من أصحابه - رضوان الله عليهم - إلى معسكر العدو ؛ ليتسلل إلى داخل المعسكر ، ليسمع بأذنيه ، ويرى بعينه ، وليقف على آخر تطورات معسكر أهل الشرك بشرط أن يرجع إلى النبي ﷺ ليخبره .

يعني : حذر النبي ﷺ أن يتعامل مع الأعداء ، وحذر من أن يراه الأعداء .

بل البطولة والرجولة أن يرى ويسمع ويرجع بالخبر إلى النبي ﷺ .

فمن في مثل هذا الجو القاتل المهلك ، في هذا الليل الحالك السواد ،

وفي هذه العواصف التي تكاد أن تقتلع الجبال، وفي هذه اللحظات القاسية البرودة، يقدم على هذه المهمة الصعبة خلف خطوط العدو؟! نادى النبي ﷺ على رجل من أصحابه ليقف وليقوم بهذه المهمة العظيمة؛ فمن هو؟ إنه حذيفة بن اليمان ؓ.

دَعُونَا نَسْمَعُ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانَ وَهُوَ يَحْكِي لَنَا هَذَا الْمَوْقِفَ الْجَمِيلَ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» - وَاللَّفْظُ لَهُ:

○ يقول حذيفة - رضوان الله عليه: قَالَ فَتَى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبُهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا ابْنَ أَخِي. قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ - أَي: نَتَعَرَّضُ لِلشَّدَّةِ وَالضَّيْقِ وَالْجُهْدِ وَالْبَلَاءِ. فَأَجَابَ الْفَتَى عَلَى جَوَابِ حَذِيفَةَ بِجَوَابٍ بَدِيعٍ -، قَالَ الْفَتَى لِحَذِيفَةَ ؓ: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَوْ أَدْرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا <sup>(١)</sup>.

سبحان الله! اللهم إنا نشهدك أننا نردد الآن بقلوبنا وألستنا وجوارحنا ما قاله هذا الشاب المبارك: والله لو كنا مع رسول الله ﷺ لحملناه على أعناقنا.

(١) سبق تخريجه (ص ٢٧)، وهو في «المسند» (٣٩٢/٥)، ومسلم (١٧٨٨).

لكن أرجو ألا يفهم شاب أن من يأتي بعد أصحاب النبي ﷺ هم أشد حبا، وأكثر اتباعا، وأكثر حرصا على النبي ﷺ منهم .

كلّا - وألف كلّا - فما شهدت الأرض ولا عرفت البشرية نموذجا فريدا للحب كما عرفت من حب الصحابة للحبيب النبي ﷺ.

كما قال عروة بن مسعود: « والله لقد قدمت على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يُعظمُهُ أصحابه كما رأيت أصحاب محمد يعظمون محمدا ﷺ » (١).

لكن انظر إلى هذه الفطرة، وإلى هذا الحب الجياش الفياض في قلب هذا الشاب .

• يَقُولُ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحَنْدَقِ وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا - أي حينًا طويلاً من الزمان - ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا - أي إلى الصحابة - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ؟ يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ » أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ .

يعني: مَنْ مِنَ الْقَوْمِ؛ يَقُومُ إِلَى مَعْسَكَرِ الْأَعْدَاءِ لِيَتَعَرَفَ لَنَا عَلَى أَخْبَارِهِمْ بِشَرِّطٍ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْنَا « أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » أي: إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ.

(١) سبق تخريجه (ص ٢٧).

ثم قال النبي ﷺ - مرة ثانية: « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ - أَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ » .

يقول حذيفة : فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُمْ يَا حُذَيْفَةُ » ويا لها من كرامة !  
يقول : فَلَمَّا دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحذيفة : « يَا حُذَيْفَةُ ، فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا » .

أوامر واضحة .. تعليمات صريحة من النبي ﷺ .

يقول حذيفة : فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرَّيْحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ لَا تَقْرَأُ لَهُمْ قَدْرٌ - القدر : الإناء الذي يوضع على النار - وَلَا نَارٌ وَلَا بِنَاءٌ - ذلك من شدة الريح وعصفها - فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مِنْ جَلِيسِهِ ؟ ! .

انظر إلى دهاء أبي سفيان رأى أن السواد حالك ، والظلام دامس ، والخيام تقتلع ، فخشى أن يتسلل رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ إلى معسكرهم .

فأمر كل أفراد الجيش أن يتعرف كل واحد على صاحبه إلى جواره ،

فيسأله عن اسمه واسم أبيه .

يقول حذيفة : فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟  
قَالَ : أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ . - ونجا حذيفة رضي الله عنه من هذه الخطة الخبيثة .

يقول حذيفة : ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصَبَحْتُمْ بِدَارٍ مُقَامٍ لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ - أي : الخيل - وَأَخْلَفْتَنَا بَنُو قُرَيْظَةَ - بنو قريظة أخلفت الوعد مع المشركين - وَبَلَّغْنَا مِنْهُمْ الَّذِي نَكَّرَهُ وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، وَاللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ .

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ - هذا يحكيه حذيفة بالتفصيل ؛ أي :  
مربوط - فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ عَلَى ثَلَاثٍ .

- انظر إلى دقة الوصف - فَوَثَبَ عَلَى ثَلَاثٍ - أي : على ثلاث  
مراحل . فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ .

يقول حذيفة : وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ : « لَا تُحَدِّثُ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي » ، ثُمَّ شِئْتُ لَقَتَلْتَهُ بِسَهْمٍ - يعني : لَقُتِلَ أَبُو سُفْيَانَ بِسَهْمِي .

يقول حذيفة : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي  
مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرْجَلٌ - يعني : كساء من صوف مخطط .

يقول : فَلَمَّا رَأَيْتَنِي أَذْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ، ثُمَّ

رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنِّي لَفِيهِ - أي : وحذيفة في مرط النبي ﷺ - فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، وَسَمِعْتُ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلْتُ قُرَيْشٌ وَانْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ . هذا لفظ أحمد .

● وفي صحيح مسلم زيادة رائعة جميلة يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : « فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ ﷺ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ » <sup>(١)</sup> .  
تدبر كيف كان حذيفة يقول قبل ذلك : فما قام رجل من القوم ... الحديث .

والآن يقول : فَلَمَّا أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ بِهذه المهمة وانطلقت . يقول : فمضيت كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ ، لا أشعر ببرد . سبحان الله !!

حتى أتيت القوم - فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ - يعني : يحتمي ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « وَلَا تَذْعَرُهُمْ عَلَيَّ » . وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ .

قال : فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَعْتُ فُرْتُ - يعني : أَصَابَنِي الْبَرْدُ حِينَ فَرَعْتُ .

وكأنما حين خرج من المهمة خرج من المعية ، شعر بالبرد ! .

وهذه - والله الذي لا إله غيره - يشعر بها كثير من الإخوة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب : غزوة الأحزاب (رقم ١٧٨٨) .

الصادقين . قد تكون مثلاً مريضاً مرضاً شديداً جداً ، وتخرج إلى زيارة مريض أو إلى جنازة أو مجلس علم ، وأنت لا تقوى البتة على أن تتلفظ بكلمة قبل أن تذهب إلى هذا الباب من أبواب الخير ، وهذا الطريق من طرق البر .

فإذا ما شرعت في العمل الذي خرجت من أجله طاعة لله لا تشعر البتة بشيء ؛ لأنك دخلت معية الله - جلَّ وعلا - التي لا تكون إلا للمحسنين ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .  
○ فالمعية نوعان :

معية عامة : وهي معية العلم والمراقبة والإحاطة .  
ومعية خاصة : وهي معية النصر ، والتأييد ، والحفظ ، والمدد ، والعون .

تدبر ما يقول حذيفة : فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَيْرِ الْقَوْمِ وَفَرَعْتُ قُرْرْتُ فَلَبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا ، فَلَمْ أَزَلْ نَائِماً حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ : « قُمْ يَا نَوْمَانُ ! » <sup>(١)</sup> أي : يا كثير النوم .

صلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد ، ورضي الله عن حذيفة بن اليان .

(١) هذه رواية مسلم ؛ انظر الحديث المتقدم .

وحسبنا أن نعلم أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان ثالث ثلاثة - أو خامس خمسة - كانوا أصحاب السبق العظيم في فتوح العراق كلها ، حتى لا يظن بعض شبابنا أنه كان عاكفاً عابداً فحسب .

فهؤلاء كانوا في محارب العبادَة عبّادًا زهّادًا ، وكانوا في المتاجر أمناء ، وكانوا في وقت الغزوات والمعارك أبطالًا أفذاذًا ينطلقون في صفوف الأعداء ، يبحثون عن الشّهادة في سبيل الله قبل أن يبحثوا عن النّصر .

فحذيفة بن اليمان هو قائد معركة نهاوند <sup>(١)</sup> ، حيث احتشد الفرس في مائة ألف فارس .

وفي هذا اليوم اختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقيادة الجيوش النُّعمان بن مقرن رضي الله عنه . وقُتِلَ النُّعمان ؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن قتل النُّعمان ؛ فليتولَّ القيادة حذيفةُ بن اليمان .

وأرسل عمر إلى المقاتلين كتابه يقول : إذا اجتمع المسلمون ؛ فليكن كلُّ أمير على جيشه ، وليكن أمير الجيوش جميعًا النُّعمان ؛ فإذا استشهد النُّعمان فليأخذ الرّاية حذيفةُ بن اليمان ؛ فإذا استشهد حذيفة فليأخذ الرّاية جرير بن عبد الله .

انظر إلى تخطيط القائد الأعلى ؛ عمر في المدينة ، يخطط للجيوش في

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٥ ، سنة إحدى وعشرين) ط. دار ابن رجب .

نهاوند أمام جحافل الفرس الجرارة .

يقول : ومضى أمير المؤمنين يختار قواد المعركة حتى سَمَّى منهم سبعة - اختار سبعة قواد ؛ إن قتل قائد يتولَّى فلانُ القيادة بعده .

والتقى المسلمون مع الفرس - المسلمون لا يزيدون عن ثلاثين ألف مقاتل ، والفرس يزيدون عن مائتي ألف مقاتل .

وبدأت المعركة وسقط قائد المسلمين الأول شهيداً ، سقط النُّعمان رضي الله عنه وقبل أن تهوي الراية إلى الأرض التقطها وانقضَّ عليها كالأسد أو كالصقر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

وانطلق حذيفة - رضوان الله عليه - ينادي بأعلى صوته يكبر في صفوف المعركة وهو يقول : الله أكبر ، صدق وعده ، الله أكبر ، نصر جنده .

ثم لوى زمام فرسه صوب المقاتلين في جيوشه ، وظلَّ ينادي على أصحاب النبي ﷺ ويقول : يا أتباع محمد ، ها هي جنان الله - عزَّ وجلَّ - تنهياً لاستقبالكم ؛ فلا تطيلوا عليها الانتظار ، هيا يا رجال بدر ، تقدّموا يا رجال الخندق ، تقدّموا يا أبطال أحد ، تقدّموا يا أبطال تبوك .

وهكذا ظلَّ حذيفة بن اليمان ينادي بهذه الكلمات التي تحركُ

الإيمان والشوق في القلوب إلى الشهادة ، وإلى الجنة في قلوب أصحاب النبي ﷺ حتى انقض أصحاب النبي ﷺ في هذا العدد القليل على هذا الجيش الجرار ، وأوقعوا بالفرس هزيمة ساحقة على يد هذا البطل القائد ، على يد حذيفة بن اليمان ؓ .

وهكذا شهد حذيفة كثيرًا من المشاهد والغزوات ؛ بل كان قائد معظم المعارك في أرض العراق كلها .

وفي يوم من أيام العام الهجري السادس والثلاثين ينام حذيفة بن اليمان ؓ على فراش الموت ويأتيه بعض إخوانه وأصحابه بأكفان فيلمسها حذيفة بن اليمان ، فيرى أنها غالية الثمن .

فيقول حذيفة : « ما هذا لي بكفن ، إنما يكفيني لفافتين بيضاوين ، ليس معهما قميص ، فإني لن أترك في القبر إلا قليلاً حتى أبدل خيراً منهما أو شراً منهما » <sup>(١)</sup> .

وتتم حذيفة - رضوان الله عليه - بكلمات استمع إليها بعض إخوانه سمعوه يقول <sup>(٢)</sup> : « مرحباً بالموت ، حبيبٌ جاء على شوق ، لا أفلح من ندم » وصعدت روحه إلى الله - جلَّ وعلا - إلى : ﴿ جَنَّتٍ وَنَهَرٍ ﴾ في

(١) «سير أعلام النبلاء» . (١٦٨/٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٥٨/٧) والحاكم (٥٤٧/٤) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٧٤٢) .

مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿ [القمر: ٥٤، ٥٥] . فرضي الله عن حذيفة ، وصلى الله وبارك على أستاذه ومعلمه .

فقد يزول عجبكم إذا علمتم أن هذا الشاب المبارك - أي : حذيفة بن اليمان ما وصل إلى ما وصل إليه إلا لأن الذي رباه هو المصطفى ﷺ وكفى!!

فإذا كان كل تلميذ في العادة يقتبس من أستاذه ومعلمه ؛ فكيف يكون اقتباس حذيفة إذا كان أستاذه ومعلمه هو المصطفى ﷺ ، وإذا كان كل منهج يترك بصماته وطابعه على مَنْ يتربون عليه ويتلمذون عليه ، فكيف تكون البصمات ؟ وكيف يكون الطابع إذا كان المنهج الذي تربى عليه حذيفة هو قرآن الله - جلّ وعلا - ومنهج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم ؟

وسأعاود الحديث - إن شاء الله تعالى - في الباب المقبل عن الفتن مع حذيفة بن اليمان ﷺ .

فما أردت فقط - في هذه العجالة - إلا أن أعرف الأمة بصحابي جليل قد لا يعرفه الكثيرون منها ؛ مع أنه روى معظم أحاديث الفتن كما بينت ، أسأل الله أن يجنبنا الفتن .



نبوءة المصطفى ﷺ

بمقتل عثمان رضي الله عنه





وكان ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى .  
فقد قُتل عمر ، وكسر الباب الذي كان مغلقاً على فتن كثيرة ،  
وظهرت الفتن ووقع البلاء .

فكانت الفتنة الأولى بلا نزاع ، والتي ظهرت هي : فتنة قتل عثمان  
ﷺ على يد طائفة من دعاة الشر ، الذين تألبوا عليه من العراق ،  
والكوفة ، والبصرة ، ومصر ، ودخلوا المدينة ، وقتلوا عثمان ﷺ وهو  
يقرأ القرآن الكريم - كما سأبين إن شاء الله تعالى .

وأسأل الله - عزَّ وجلَّ - أن يوفقني وأن يسدّني لأجَلِّي لكم  
الحديث في هذه الفتنة الحالكة ، التي بدأت بقتل عثمان ، وانتهت بقتل  
عليّ والحسن والحسين وجمع كبير من أصحاب النبي ﷺ - ورضي الله  
عنهم أجمعين .

لا سيما وأنا أعلم أنه قد خاض في بحر متلاطم الأمواج من لا يجيد  
السباحة ، ونازل في تاريخ الأصحاب ، وفي سيرة الأطهار من لا يجيد  
النزال ، وتكلم من لا يجيدون الكلام ممن يحملون قلوباً مريضة

مشوشة ، وعقيدة فاسدة كاسدة ملوثة.

فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ تَطَاوَلَ عَلَى هَذِهِ الْقِمَمِ السَّمَاءِ ۖ وَنَالَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَطْهَارِ ۖ وَنَقَلَ بَعْضُ الْأَثَارِ ۖ وَإِنْ كَانَتْ فِي كِتَابِ أَيْمَتِنَا أُمَّةِ السَّلَفِ ؛ كَابِنِ عَسَاكِرَ ، وَابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، وَابْنِ كَثِيرٍ وَغَيْرِهِمْ .

نقل هذه الآثار دونما علم البتة بأقوال أهل الجرح والتعديل في أسانيد هذه الآثار ؛ فَإِنْ عَلِمْنَا الَّذِينَ سَطَّرُوا كُلَّ هَذِهِ الْأَثَارِ ، رَوَوْا كُلَّ أَثَرٍ بِسَنَدِهِ ؛ لَيْسَ هَلْ عَلَى كُلِّ نَاقِلٍ أَنْ يَسْتَخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ بَيْنِ رِكَامِ الْبَاطِلِ .

وتبدأ الفتنة بمقتل عثمان بن عفان ؓ وقد أخبره النبي ﷺ الصادق الذي لا ينطق عن الهوى وخصه بقوله : « مَعَ بَلَوَى تُصِيبُهُ » (١) .

○ والسؤال الآن : لماذا خصَّ النبي ﷺ عثمانَ بذكر البلاء ، مع أنَّ عثمانَ قُتِلَ كما قُتِلَ عمر ؟

والجواب : أنَّ عمر بن الخطاب ؓ قد قتل ، وكانت الدولة فتيةً أَيْبَةً قَوِيَّةً ، وكان عمر مُهَابًا ، قَوِيًّا ، لكن عثمانَ ؓ قتل وامتحن بمثل ما لم يمتحن به عمر ؓ .

ولقد تسلَّطَ على قتل عثمانَ ؓ مجموعة من القوم ، ممن أرادوا أن

---

(١) سيأتي قريبًا .

يخلعوا عثمان من الإمامة ، أو يقتلوه بسبب ظلم وقع فيه عثمان كما زعم الكذّابون المبطلون .

فعثمان ابتلي بما لم يتبل به عمر ؛ فعمر قتله أبو لؤلؤة المجوسي <sup>(١)</sup> - عليه من الله ما يستحقه - بين الصّحب الكرام ، وهو حادث فردي .  
لكنّ عثمان ؓ ابتلي بحثالة من القوم ، ممن ادعوا ورعاً باهتاً ، وزهداً كاذباً ، وانطلقوا في زي الحُجّاج ، وقد خدعوا الناس - كما سألين الآن - وأنهم ما خرجوا إلا للحج ، وإلى لقاء عثمان ؓ لبيّنوا له بعض المظالم التي يشكو منها بعض الناس ، وهم ما خرجوا إلا بخطة مدبرة آثمة على يد هذا اليهودي الخبيث : عبد الله بن سبأ ؛ ليقتلوا عثمان ؓ أو ليخلعوه من الإمامة .

وهذه كانت أول فتنة يخرج فيها مجموعة من المجرمين ، من الشوار ؛ ليخلعوا خليفة المسلمين بالقوة أو يقتلوه !!

لم يتعرض لذلك عمر ؛ بل قتل في حادث فردي ، وعلى فراش الموت رشّح عمر ستة من أصحاب النبي ﷺ وكان على رأس هؤلاء : عثمان ؛ ليكون خليفة للمسلمين من بعده ، وبإيع المسلمون عثمان بالإجماع بيعة عظيمة جليلة .

(١) عند البخاري كتاب فضائل الصحابة « باب قصة المبايعة » والاتفاق على عثمان بن عفان (٣٧٠٠).

وتولى عثمان الخلافة ، وعاش الناس في رخاء إلى أن دبَّت وظهّرت هذه الفتنة الحالكة السواد ، وثار هؤلاء على خلع عثمان أو قتله ، وهذه هي المرة الأولى التي تقع فيها مثل هذه الفتنة ، في تاريخ أمة النبي ﷺ .

وبمقتل عثمان ﷺ انقسم المسلمون ، ووقع القتال بين الصحابة ، وانتشرت الفتن والأهواء ، وكثر الاختلاف ، وتشعبت الآراء ، وازدادت المعارك واشتعلت نارها .

وفي يوم علا النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - على جبل مرتفع من جبال المدينة ، وقال كلامًا عجيبًا ، قال - بأبي هو وأمي - لأصحابه :

« هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ » .

قالوا : لا يَا رَسُولَ اللَّهِ !

فَقَالَ - عليه الصلاة والسلام : « إِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ » <sup>(١)</sup> .

تدبر كلام النبي - عليه الصلاة والسلام !!

○ قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى <sup>(٢)</sup> : « فالنبي ﷺ يريد بذلك

(١) سبق تخرجه .

(٢) انظر « مسلم بشرح النووي » ( ج ١٨ ص ٨٠٧ ) .

الفتن التي وقعت بين الصحابة - رضوان الله عليهم - بعد مقتل عثمان ؓ.

وأصابت هذه الفتن الحالكة جُل بيوت أصحاب النبي ﷺ إن لم أقل كل بيوت أصحاب النبي ﷺ؛ فلقد اشترك في الفتنة من اشترك، ف وقعت الفتنة في كل بيت ودخلت الفتنة كل بيت، مصداقاً لقول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى :

« إِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَتَيْنِ تَقْعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ » <sup>(١)</sup>.

وذكر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن عثمان بن عفان ؓ، سيقتل مظلوماً، وسيصيبه بلاءٌ بعد أن بشره بالجنة .

○ تدبر معي هذا الحديث الجميل ، الذي رواه البخاري ومسلم <sup>(٢)</sup> من حديث أبي موسى الأشعري ؓ أنه تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ : لَا لَزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا كُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا . قَالَ : فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ - يعني : يتبع أثر النبي ﷺ وخطاه - حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ أَرِيْسٍ ، يَقُولُ : .. وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا - أي : فتحة البئر - وَكَشَفَ النَّبِيَّ ﷺ

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ «ولو كنت متخذاً خليلاً» (٣٦٧٤) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان ؓ (٢٤٠٣) .

عَنْ سَاقِيهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَيْتِ. يَقُولُ : فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ - سلم أبو موسى الأشعري ﷺ على النبي ﷺ - ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَقُلْتُ : لَا أَكُونَنَّ الْيَوْمَ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

يقول أبو موسى الأشعري ﷺ : فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ . فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ؟ - انتظر حتى أستاذن رسول الله ﷺ ، قال أبو موسى : ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ - عَلَيْكَ - فقال له النبي ﷺ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » .

يا لها من كرامة ! لقد سعد الصديق بهذه الكلمة سعادة لا شقاوة بعدها أبدًا ؛ إذ إن المبشّر هو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

يَقُولُ : فَقُلْتُ لَهُ : ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ ، يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقَفِّ ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ ؛ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقِيهِ .

يقول أبو موسى : ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ - يريد أخاه - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ .

هو يريد أن يأتي ليستاذن ، لعله أن يبشّر بمثل ما بشّر به النبي ﷺ .  
أبا بكر .

وهذه لفظة إيمانية تبين لنا معنى الأخوة - رضوان الله عليهم جميعاً .  
يَقُولُ : فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ . فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ : عُمَرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ؟ ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ،  
وَقُلْتُ : هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ .

فقال النبي ﷺ لأبي موسى : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » .

ما شاء الله ! لقد سعد هو الآخر سعادة لا شقاوة بعدها أبداً .  
قال أبو موسى : فَجِئْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ : أِذِنْ وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
بِالْجَنَّةِ .

يقول أبو موسى رضي الله عنه : فَدَخَلَ فَجَلَسَ عَنْ يَسَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقَفِّ  
وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبُرِّ ؛ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ - اتباع دون مناقشة -  
رضوان الله عليهم جميعاً .

يقول أبو موسى رضي الله عنه : فَرَجَعْتُ حَتَّى جَلَسْتُ - عَلَى الْبَابِ - ، فَقُلْتُ :  
إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ يَقُولُ : فَرَأَيْتُ إِنْسَانًا  
يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَقُلْتُ : عَلَى  
رِسْلِكَ؟ قال وجئت النبي ﷺ وأخبرته ، فقال لأبي موسى : « ائْذَنْ لَهُ  
وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ بُلُوَى نُصِيْبِهِ » .

قال : فَجِئْتُ فَقُلْتُ : ادْخُلْ وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ مَعَ بُلُوَى

قال : فدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجد القف قد ملئ فجلس وجأههم من الشق الآخر يعني : فجلس في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ودلى رجله في البئر ، كما فعل رسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه .

● في رواية مسلم <sup>(١)</sup> : حينما قال له أبو موسى : رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لك ويبشرك بالجنة مع بلوى تصيبك . قال عثمان : «اللَّهُمَّ ! صَبْرًا ، أو الله المُسْتَعَانُ» .

□ وقبل أن أشرع في الحديث عن الفتنة أرى من الجفاء جدًا ألا أبين في عجلة سريعة : مَنْ هو عثمان بن عفان رضي الله عنه ؟

تدبروا معي كلام النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الجميل الذي رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة من حديث عائشة رضي الله عنها .

قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَتَحَدَّثَ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ كَذَلِكَ ،

(١) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان (٢٤٠٣) ، وانظر : «صحيح البخاري» (٣٦٩٣) .

فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ ﷺ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَى ثِيَابَهُ ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ .

فلما خرج عثمان قالت - الزكية العبقريّة الفقيهة - عائشة أمنا ﷺ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ؟ فَقَالَ  
المُصْطَفَى ﷺ :

« أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ ؟ ! » (١) .

إنَّه رجلٌ بلغ هذه المكانة من شدّة حيائه من الله ، فاستحيت منه ملائكة الله - تبارك وتعالى - إنها فضيلة عظيمة ، ومنقبة جليّة .

○ وتدبروا هذه البشارة من رسول الله ﷺ لعثمان ؛ كما في الحديث الذي رواه البخاريُّ من حديث أنس بن مالك ؓ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أَحَدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْجَبَلِ :

« اثْبُتْ أَحَدٌ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » (٢) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عثمان بن عفان ؓ (٢٤٠١) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص

القرشي العدوي ؓ (٣٦٨٦) ، وانظر : رقم (٣٦٧٥) .

النبي هو محمد ﷺ، والصديق: هو أبو بكر، والشهيدان: عمر وعثمان، ولا زالا يقفان مع النبي ﷺ، وإذ بالنبي ﷺ يحكم لهما بالشهادة في سبيل الله.

وأنتم تعلمون فضل الشهادة عند الله؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].  
فالذي يحكم بالشهادة لعمر وعثمان ﷺ هو النبي ﷺ الصادق الذي لا ينطق عن الهوى.

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فاجأ النبي ﷺ والصحابة مشكلة خطيرة، ألا وهي مشكلة المياه، فشق على الصحابة هذا القحط، وكان يتحكم في المياه رجل يهودي خبيث، يبيع الماء بالمال وبالشعير والتَّمَر<sup>(١)</sup>.

وتمنى النبي ﷺ - صلى الله عليه وآله وسلم - أن لو وجد من بين

(١) واليهود، هذا ديدنهم في كل زمان ومكان، يتحكمون في المصادر الحقيقية في هذه الأرض: في المياه، في الذهب، في الإعلام، في التعليم، فالتحكم في المياه تحكم في آلاف؛ بل في ملايين البشر.

وكذلك في الإعلام توجه عقول البشر، وكذلك في التعليم؛ يقول خبيث منهم: «دعوا أولادهم يذهبون إلى المساجد، ويقرؤون القرآن، ولكننا سنغير هذا كله لأبنائهم في مدارسنا»، يخططون ويدبرون ويضعون المناهج التي تغير عقول أبنائنا وبناتنا في المدارس، ولا زالت منظمة اليونسكو إلى الآن هي التي تضع مناهج أولادنا وبناتنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فاشتكى الصحابة للنبي ﷺ قلة المياه في المدينة، وجشع هذا اليهودي الخبيث!

أصحابه من يشتري بئر رومة من هذا اليهودي الجشع ، الذي يبيع قربة الماء بمدٍّ من الصَّاع ، أو من الشَّعير .

ولم تجد هذه الأزمة إلا عثمانها المعطاء ﷺ الذي انطلق فوراً بعد ما سمع النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ ؛ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ ؟ » قال عثمان : فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي <sup>(١)</sup> .

وانطلق عثمان ﷺ ليشتري البئر من هذا اليهودي الخبيث ؛ فقال هذا اليهودي الغبي : لا أبيع لك البئر كاملة ؛ بل أبيع لك نصفها - كيف تباع نصف البئر - فقال : البئر لك يوم ولي يوم ، فوافق عثمان واشترى العين منه باثني عشر ألف درهم .

فكان المسلمون بفضل الله تعالى في يوم عثمان يأخذون الماء الذي يكفيهم ليومين ، ويجلس اليهودي في يومه ، ليرى مسلماً يشتري منه ، فلا يجد .

فذهب اليهوديُّ الغبيُّ إلى عثمان ﷺ ليعرض عليه نصف البئر الآخر .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب « باب مناقب عثمان بن عفان ؓ (٣٧٠٣) ، والنسائي (٦/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٤/ ١٢١) . وحسنه الألباني في « الإرواء » (٦/ ٣٨) ، وأخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الوصايا ، باب : إذا أوقف أرضاً أو بئراً أو اشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين (٢٧٧٨) عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بلفظ : « من حفر رومة فله الجنة فحفرتها » .

وضاق المسجد النبوي يوماً بأصحاب النبي ﷺ ودعا النبي ﷺ أصحابه أن لو تقدم أحد ليشتري الأرض المجاورة للمسجد ؛ ليزيد مسجد النبي ﷺ ، ولم تجد هذه المشكلة - أيضاً - إلا عثمان المعطاء .

فتقدم عثمان بن عفان ؓ واشترى الأرض المجاورة ، وزادت رقعة المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلوات وأزكى السلام <sup>(١)</sup> .

■ وفي العام السادس للهجرة خرج النبي ﷺ وأصحابه من المدينة إلى مكة وهم يريدون العمرة وعلمت قريش بذلك ؛ فأراد النبي ﷺ أن يخبر قريشاً أنه ما جاء مقاتلاً ولا محارباً ؛ بل جاء لزيارة البيت ، فخرج النبي ﷺ وهو يلبس ملابس الإحرام ، وساق الهدي أمامه ليؤكد لهم أنه ما جاء إلا معتمراً ، ولكن قريشاً أبت ورفضت رفضاً باتاً دخول النبي ﷺ مكة .

وأراد النبي ﷺ أن يرسل إلى قريش رجلاً من وجوه القوم ؛ ليؤكد لسادة قريش أنه ما جاء إلا للعمرة .

فأرسل النبي ﷺ - عليه الصلاة والسلام - خراش بن أمية الخزاعي <sup>(٢)</sup> ،

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : مناقب عثمان بن عفان ؓ (٣٧٠٣) ، والنسائي في كتاب الأحباس ، باب : وقف المساجد (٣٦٠٨) عن ثمامة بن حزن القشيري ، وقال الألباني في « ضعيف سنن النسائي » (٢٣٧) : صحيح دون قصة ثبير ولفظ الحديث : « من يشتري بقعة آل فلان ، فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة » وانظر الإرواء (٣٩ / ٦) .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » (٣٢٤ / ٤) من طريق : محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة =

وهو رجل شريف في قومه ، فكادت قريش أن تقتله بعدما عقروا ناقته لولا أن الله - عز وجل - نجّاه ، ولولا أن مجموعة من عقلاء قريش قالوا : لا تقتلوه؟ فإنَّ الرَّجل ما جاء إلا رسولاً ؛ والرسول عندهم لا تقتل ، فمنع الأحابيش قريشاً من قتل خراش بن أمية الخزاعي .

فدعا النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ليرسله بعد خراش ، فقال عمر : يا رسول الله ، ليس بمكة أحد يمنعني ، عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ، ولكنني سأدلك على رجل هو أعزُّ بها مني ، فقال له النبي ﷺ : « مَنْ هُوَ؟ » .

فقال عمر : إنه عثمان بن عفّان . واختار النبي ﷺ عثمان رضي الله عنه وانطلق عثمانُ بأمر النبي - عليه الصلاة والسلام - ليخبر قريشاً أنه ما

---

= عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : فذكراه . قال الشيخ شعيب في تعليقه على المسند: «إسناده حسن . محمد بن إسحاق وإن كان مدلساً ، وقد عنعن ، إلّا أنه قد صرح بالتحديث في بعض فقرات هذا الحديث فانتفت شبهة تدليس» انتهى . لكن ابن إسحاق في هذه اللفظة لم نقف له فيها على تصريح . وقد رواه ابن إسحاق (كما في السيرة لابن هشام ٣/ ٢٠٨) ومن طريقه الطبري في «التاريخ» (٢/ ١٢١) قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي ... القصة . والقصة لعلها مدرجة هنا ؛ لذا قال العلامة الألباني في تعليقه على ابن خزيمة (٢٩٠٦) : «إسناده ضعيف لعننة ابن إسحاق» . وراجع «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ٤١٣) (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

جاء إلا للعمرة ❦ وهو لا يفكر إلا في أن يبلغ رسالة النبي ﷺ حتى ولو قتل ، فهو يعلم يقيناً أن خراش بن أمية قد تعرض للموت والهلاك ، لولا أن الأحابيش منعتهم من القتل ، إذاً هو ذاهب وهو يعلم يقيناً أنه ربّما يعود أو لا يعود .

فانطلق عثمان ؓ وسط هذه المخاطر المرعدة المرعبة ، ولا يعنيه أن يرجع حياً أو ميّتاً ، وإنما كل الذي يعنيه أن يبلغ لقريش رسالة النبي ﷺ فاستقبلته قريش وأحسنوا استقباله ، وبالغوا في إكرامه ، فهو الوجيه في قومه ، الشّريف النّسب ، وبلّغهم رسالة النبي ﷺ — عليه الصلاة والسلام .

فقالوا له : يا عثمان ، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . سبحان الله ! وهل جاء عثمان مع رسول الله ﷺ إلا ليطوف بالبيت ؟! وهذه أمنية ، لكن انظروا إلى الفقه والفهم : قالوا : يا عثمان ، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ؛ فقال عثمان النّقي التّقي الحيي : والله ما كنت لأطوف به حتى يطوف به رسول الله ﷺ ؟ فحبسوه ، ووصل الخبر إلى النبي ﷺ أن عثمان قد قُتل .

فلما سمع الصحابة بأن عثمان قد قتل ، بايعوا النبي ﷺ على الموت ، بايعوا النبي ﷺ البيعة التي خلّد ذكرها القرآن ، إلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها ، والتي سُميت ببيعة الرضوان ، والتي زكاها من فوق سبع سموات الرحيم الرحمن ؛ فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨] .

• وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] .

قام النبي ﷺ يبايع الصَّحابة ، وتصور معي بقلبك وبكيانك كله ، هذا المشهد المهيّب الجليل وهو يقول : « إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ » <sup>(١)</sup> وقَدَّمَ النبي ﷺ يده اليمنى ، وضرب بيده اليمنى على يده اليسرى وقال : « هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ » .

يقول أنس - رضوان الله عليه : فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان ؓ خيراً من أيديهم لأنفسهم .

هل تدبرتم هذه العبارة ؟! فالذي يضرب بيد عثمان هو النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ، يا لها من كرامة ومنقبة .

والحديث أخرجه الترمذي وقال : «حديث حسن صحيح غريب»

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب عثمان بن عفان ؓ (٣٧٠٢) وقال : «هذا حديث حسن غريب» بسند فيه الحكم بن عبد الملك ؛ قال في التقريب : «ضعيف» لذا ؛ ضعف إسناده هذا الحديث الشيخ الألباني في «ضعيف الترمذي» (٧٦٥) و«المشكاة» (٦٠٦٥) وقوله : «هذه يد عثمان» لها شاهد في البخاري ، كتاب فضائل الصحابة (٣٦٩٩) عن ابن عمر ، وعند أحمد (٥٩/١) ، والنسائي (٣٦١٠) عن أبي سلمة عن عثمان ؓ .

من حديث أنس بسندضعفه الشيخ الألباني». وأصله في صحيح البخاري<sup>(١)</sup> من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ولم يمض على بيعة الرضوان ثلاثة أعوام ، إلا وقد ترامت الأنباء إلى رسول الله ﷺ أَنَّ هِرَقْلَ ملك الروم قد عزم على غزو المسلمين في المدينة ، وكان الصَّيف حارًّا ، يصهر الجبال ، وكانت البلاد تعاني من الجذب والعسر ، فإذا قاوم المسلمون بإيمانهم ، فأين ما يركبون عليه ؟ أين الطعام ؟ وأين الشراب ؟ وأين الظَّهْر ؟ أراد النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يَجِيْشَ جيشًا جرَّارًا ؛ لقتال الروم بقيادة هِرَقْلَ ، وهنا دعا النبيُّ ﷺ إلى تجهيز جيش العسرة ؛ فارتقى المنبر يحثُّ النَّاسَ على النَّفَقَةِ ؛ كما في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي بسند حسن من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : جَاءَ عُثْمَانُ إلى النبيِّ ﷺ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ في ثوبه حين جَهَّزَ النبيُّ ﷺ جَيْشَ العُسْرَةِ ، فَصَبَّهَا في حِجْرِ النبيِّ فجعلَ النبيُّ ﷺ يُقَلِّبُهَا بيده في حِجْرِهِ ويقولُ : « مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ »<sup>(٢)</sup> يرددها مرارًا .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفضائل ، باب : مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه (٣٦٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب عثمان بن عثمان رضي الله عنه (٣٧٠١) ، وأحمد في « مسنده » (٦٣/٥) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (ح ١٢٧٩) ، وقال الألباني في « المشكاة » (٦٠٦٤) : « إسناده حسن » .

■ وفي حديث أخرجه الترمذي بسندٍ ضعّفه الألباني من حديث عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال : شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُحْثُّ عَلَى - تجهيز - جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَيَّ مِائَةٌ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا - في سبيل الله ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ ، فَقَامَ عُثْمَانُ - مَرَّةً ثَانِيَةً - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ ؟ فَقَامَ عُثْمَانُ - لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَيَّ ثَلَاثُمِائَةٍ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

يقول عبد الرحمن : فنزل النبي ﷺ من على المنبر وهو يقول :  
« مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ » <sup>(١)</sup> ﷺ .

هذه شهادة من النبي ﷺ له بأن الملائكة تستحي منه ، وشهادة له بأنه شهيد ، وشهادة له بأنه لا يضره شيء سيعمله بعد يومه هذا .

مناقب وشهادات من النبي ﷺ لعثمان ، ولو تحدثنا عن الصّحابة

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب : في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٥٥) ، وأحمد في « مسنده » (٧٥ / ٤) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (ح ١٢٨٠) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥ / ٢١٥) ، وضعفه الألباني في « ضعيف سنن الترمذي » (٧٩٤) ، و« المشكاة » (٦٠٧٢) .

من منطلق تكريم الله وتكريم النبي ﷺ لوقفنا على قدرهم وفضلهم ،  
ولَما رَمِيتَ واحداً منهم بما لا يمكن أن يُرمى به مؤمن من آحاد  
المؤمنين الصادقين ، فضلاً عن أن يكون من أصحاب سيد النبيين -  
صلى الله عليه وآله وسلم .

ها هو عثمان بن عفان ؓ يصحب رسول الله ﷺ حتى يتوفى  
رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ ، ويصحب أبا بكر حتى يتوفى أبو بكر  
وهو راض عنه ، ويصحب عمر حتى يتوفى عمر وهو عنه راض ، بل  
ويختاره عمر من بين ستة من الصحابة ليكون الأمر لأحدهم <sup>(١)</sup> ،  
فاختارت الأمة كلها بالإجماع عثمان بن عفان ؓ .

○ وَبُعِيدَ تَوَلَّيْهِ الخِلافة اشتعلت نار الفتنة اشتعالاً ، وبدأت ثورات  
مسلّحة ، تنتفض على هذه الدولة العظيمة المترامية الأطراف من هنا  
وهناك .

انفضت دولة الرُّوم وغارت على حدود الدولة الإسلامية ؛ بل  
ووصلوا بأسطولهم فعلاً إلى الإسكندرية وفلسطين ، بعد موت عمر  
ؓ وتولى عثمان .

كانت كل الأرض تهاب عمر ؓ ، وأعتى الإمبراطوريات كُسِرَتْ

(١) كما عند البخاري في « صحيحه » كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة البيعة (٣٧٠٠) عن  
عمرو بن ميمون قال : فذكر قصة مقتل عمر ؓ .

أنوفها على يد عمر ؓ ، فما أن قتل عمر وتولّى الخلافة عثمانُ إلا وقامت كلّ دولة بثورة مسلّحة على الدّولة الإسلامية .

وتمردت كذلك قوى التّمرد في أرمينية وأذربيجان ، واشتعلت النّار لتطوق دولة الإسلام بأسرها .

حينئذٍ أصدر عثمان بن عفّان ؓ على الفور الأوامر ، وقام بنفسه ليختار قوّاد الجيوش ؛ لإطفاء هذه النّار<sup>(١)</sup> .

سبحان ربّي ! كأنّها تحرك داخل إهاب هذا الشّيخ الكبير شباب التاريخ بأسره ، فانطلق في كل حيويّة وشباب ؛ ليختار قوّاد الجيوش بنفسه ، وينطلق مع كل قائد ليوصيه ، وسرعان ما تحوّلت هذه الفتن إلى فتوحات ؛ بل ومُهدّت الأرض لزحف المسلمين الجسّور في عهد عثمان .

فانطلق الفتح الإسلامي في عهده كأنّه اللّيل والنّهار ، حتى بلغ المسلمون السودان والحبشة في الجنوب ، والهند والصين في الشّرق ، نعم ؛ رفرفت راية الإسلام على بلاد الصين في عهد عثمان ؓ .

لكنّ الفتنة لو اشتعلت نارها من الدّاخل ؛ فإنها أخطر بكثيرٍ من كلّ الفتن الخارجية ولو اجتمع أهلها .

(١) انظر : صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن (٤٩٨٧) .

يقول الأعداء في مقولة خبيثة : لابد أن يتسبب في قطع الشجرة أحد أغصانها !! لو كُسر فرع منها ، فمال هذا الفرع في طريق الناس ، وحال بين الناس وبين المرور ؛ يمكن أن يهيج الناس على قطع الشجرة من جذورها .

فنحن لا نخشى أبداً من الفتن الخارجية مهما كان أهلها أقوياء .  
ولكنَّ الفتنة كلّ الفتنة أن تشتعل نارها من داخل البيت الإسلامي ، من داخل الصّف المسلم .

وهذا هو الذي وقع ، سرعان ما تحولت هذه الرياح الباردة الهادئة إلى عاصفة مدمّرة ، أخذت تتجمع شيئاً فشيئاً وينادي بعضها بعضاً ، حتى تحولت إلى إعصار مزلزل مدمر ، كُتب على الخليفة الشيخ عثمان رضي الله عنه أن يواجهه وحده في محنة هبطت بها شراسة الثوار المجرمين إلى الحضيض ، وارتفع فيها تسامح الخليفة إلى القمة رضي الله عنه .

واشتعلت نار الفتنة التي قتل فيها عثمان مظلوماً بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم .

• وتدبر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن فتنة وأشار إلى

عثمان <sup>(١)</sup> : « يُقْتَلُ هَذَا فِيهَا مَظْلُومًا » .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٠٨) ، وأحمد في

« مسنده » (١١٥ / ٢) ، وحسنه الشيخ الألباني في « صحيح الترمذي » (٢٩٢٥) وله شاهد

عند ابن ماجه (١١١) .

٥ وفي رواية : ذكر رسول الله ﷺ فتنةً ، فمرَّ رجلٌ ، فقال : « يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا الْمُقَنَّعُ يَوْمَئِذٍ مَظْلُومًا » ، قَالَ : فنظرتُ فإذا هوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ .

والحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب وقال : « حديث حسن غريب من هذا الوجه » . وأورده الحافظ ابن حجر في « الفتح » <sup>(١)</sup> ، وقال : « إسناده صحيح » .

وتولى كبر هذه الفتنة المروعة : عبد الله بن سبأ - ابن السوداء - اليهودي الخبيث ، هذا الرجل الذي انتحل الإسلام ، وادّعى الغيرة الشديدة على قيمه .

ومضى الخبيث يَدْرُسُ في صمت ودهاء كل جوانب الحياة في مدينة النبي ﷺ من جوانب القوة والضعف على السواء ، حتى إذا ما رسم الخطة بإحكام بدأ يتحرك ، فلم يجد له أعوانًا ولا أنصارًا في المدينة ؛ فالمدينة عامرةٌ بأصحاب النبي ﷺ .

فتوجه الخبيثُ إلى العراق - إلى البصرة والكوفة - ثم نزل إلى مصر ، وأعد له أعوانًا ، وأنصار الفتن لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، ووجد هذا الخبيثُ أعوانًا له على فتنته ضد عثمان !

عثمان زوج ابنتي رسول الله ﷺ !

عثمان خليفة المسلمين !

عثمان الذي اشترى بئر رومة!

عثمان الذي جهز جيش العسرة !

ينطلق الخبيث - عبد الله بن سبا - ليجيش جيشاً من حثالة الخلق ،  
وأقذر الناس ضدّ هذا الحيّ الطاهر ﷺ .

والمصيبة الكبرى أنه نجح في أن يحرك هؤلاء الغوغاء ، والسّفلة  
بزعم أنهم لا يتحركون إلا لنصرة الإسلام !!

وأرجو أن تنتبهوا ؛ فإن الفتن كلّها في كلّ زمان ومكان ترفع رايتها  
باسم الإسلام .. باسم الإسلام يُنال من القادة الأطهار ، ومن العلماء  
الأخيار !! وتعلن الحرب دومًا لكسر أضلاع القيادة ، ولتخطيط  
رأسها باسم الإسلام !!

فكانت الحرب على النبي ﷺ والصحابة والعلماء - من السّلف  
والتّابعين لهم - إلى يومنا هذا ، باسم التحرر من عقدة القديم ،  
والتّخلّص من التّاريخ البالي ، والتّحرُّر والانفتاح ، والانطلاق ؛  
لنساير المدنية و... و... إلى آخره .

زخَمَ ضاغِطٌ على شباب الأمّة بحجة التّحرُّر من القيود والقديم ،  
وهم في الأصل يريدون أن يهدموا الثوابت والأصول الحقيقية لدين

الله وإسقاط رموز هذه الأمة ، والحرب تُعلن من أول مرحلة إلى آخر  
مرحلة بأنها حرب لصالح الإسلام !

انطلق ابن السّوداء عبد الله بن سبأ الخبيث ؛ ليشير حثالة من أقذر  
النّاس ضد الطاهر عثمان ؓ ، وراح يوغر صدورهم ؛ ويقول <sup>(١)</sup> :  
« إن لكلّ نبيٍّ وصيّاً ، وَعَلِيٌّ وصيُّ رسول الله ﷺ !!

ولقد وثب عثمان بن عفان على أمر هذه الأمّة ، وأخذ الحقّ من عليٍّ ،  
فَهَبُّوا وردُّوا الحقّ إلى صاحبه » !

انتبه ! فهذه بداية الفتنة ؟



(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٦٤٧/٢) عن يزيد القعسي قال : « كان عبد الله بن سبأ... » .





ابن سبأ يشعل  
نار الفتنة



## ابن سبأ يشعل نار الفتنة

لقد تظاهر عبد الله بن سبأ بالإسلام ، ودرس حياة المدينة دراسة جيدة ، وخطط لهذه الفتنة الخبيثة .

واستطاع أن يصطفي من المفتونين أنصارًا ، وهؤلاء كما ذكرت لا يخلو منهم زمان ولا مكان ممن مردوا على النفاق ، وهبَّت ريح الشك على قلوبهم .

ورسم لهم ابن سبأ منهجهم ، في هذه الكلمات الخطيرة ، التي أرجو أن تدبروها جيدًا ؛ لأنني ذكرت لكم قبل ذلك أن الحرب تُعلن في كل زمان ومكان على القيادة المسلمة في هذه الأمة باسم الإسلام ، ومن مظلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر !

قال ابن السوداء : انهضوا - ووضع لأتباعه من صفوته الخبيثة هذا المنهج الخبيث ، الذي يعتبر أصل المناهج التي خرج أهلها بعد ذلك على الإسلام ، وعلى المسلمين .

ثم قال : وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لتستميلوا الناس إليكم !! هذا أول أصل من أصول الضلال .

مَنْ مِنَّا ينكر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين ؟ لا ينكر ذلك أحدٌ ، فهو يستتر وراء هذا الأصل العظيم الذي ما شرفت

الأمّة إلا به ؛ فقد قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فقد يخرج على الأمّة الآن أو على الجماعة الآن رجلٌ يزعم أنّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويثير فتنةً تحت هذه المظلة ، وسرعان ما سينقسم الناس حتمًا إلى فريق يعي أبعاد هذه الفتنة ، وإلى فريق بسيط سرعان ما يخدع في كلّ فتنة ، ويقول : إن هذا الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر !

وينطلق ليدلّل على صحة فعل هذا الخير بأصول عامّة ثابتة ، وبأدلة صريحة من قرآن الله ومن سنة رسول الله ﷺ . وهذا هو الذي فعله ابن السّوداء .

الأصل الثاني : قال <sup>(١)</sup> : وابدؤوا في الطّعن في أمرائكم ، وقولوا للنّاس : إن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حقّ ، وإن عليًّا هو وصي رسول الله ﷺ ، فانفضوا وردّوا الحقّ إلى صاحبه !!

وهؤلاء الأمراء في هذه اللحظات هم أصحاب النبي ﷺ الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ .

واستجاب لابن السّوداء - كما ذكرت - حُثالةٌ من أصحاب القلوب

(١) في «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٤٧) .

المريضة من المفتونين : من البصرة ، ومن الكوفة ، ومن مصر ، ومن الشام .

وخرجوا جميعاً يتواعدون على أن يكون اللقاء في مدينة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهم يعلمون جيداً أن الناس لو علموا أنهم ما خرجوا إلا لعزل عثمان أو لقتله لذبحوهم وقتلوه .

فتظاهروا مرة أخرى بالخروج بملابس الإحرام في موسم الحج ، وكأنهم ما ذهبوا إلا لحج بيت الله الحرام ، ومن مكة إلى المدينة لزيارة مسجد النبي - عليه الصلاة والسلام - أمر لا يثير الشكوك أبداً ، ولا الشبهات .

قوم بلباس الإحرام خرجوا بنية الإحرام ، وقد تواعدوا ، وبيتوا الخطّة ، ودبروها بإحكام ، وانطلقوا على أنهم يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ؛ ومن ينكر هذا ؟!

ولكن عثمان رضي الله عنه علم بمجيء القوم ، وعلم مرادهم ، فأرسل إلى الناس رجلين من بني مخزوم ، ليندس الرجلان في صفوف القوم ، ليتأكدا من الخطّة الخبيثة التي من أجلها خرج هؤلاء الأوباش .

وتأكد عثمان رضي الله عنه بمقصد هؤلاء ، وبسبب مجيئهم إلى المدينة ، فماذا فعل عثمان ؟ .

ارتقى المنبر ﷺ وحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ،  
وأخبر الناس في مسجد النبي ﷺ بما خرج إليه هؤلاء القوم ؛ فقام  
الرجلان من بني مخزوم ، فأخبرا الناس بما سمعا من هؤلاء ، وأكّدا  
كلام عثمان ﷺ .

فردّ الناس في مسجد النبي ﷺ على لسان رجل واحد : اقتلهم يا  
أمير المؤمنين .

هذا حكمهم شرعاً ؛ فإن النبي ﷺ قال :  
« إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ،  
وَهِيَ جَمِيعٌ ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَأَنَّا مَنْ كَانَ » .  
وفي رواية : « فَاقْتُلُوهُ » .

وفي رواية : « مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ، يُرِيدُ أَنْ  
يَشُقَّ عَصَاكُمْ ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ ، فَاقْتُلُوهُ » <sup>(١)</sup> .

هذا حكم من خرج على إمام المسلمين الذي بايعه المسلمون ،  
وارتضوا خلافته .

والله الذي لا إله غيره ، لو كان عثمان ممن لا همّ لهم إلا أن يجلسوا  
على الكرسي بأي ثمن لَقَتَلَ هؤلاء ، ومعه الدليل من كلام النبي ﷺ ،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمامة « باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٨٥٢) .

بل والرّضا من أصحاب النّبي ﷺ .

لكنّ عثمان رضي الله عنه ليس من عبّاد الكراسي ، ولا من عبّاد المناصب ،  
وليس ممن يسفكون الدّماء ، ويمزّقون الأشلاء !

فالصّحابة في المسجد يقولون له : اقتلهم يا أمير المؤمنين ؟

فقال ﷺ - وهو الحيّ الكريم - : « بل نغفو ونقبل ، ونبين لهم الحق  
- إن شاء الله - أي : نقبل منهم ما جاؤوا من أجله - ونبصرهم جهدنا ،  
ولا نقيم الحدّ على أحد حتى يركب حدّا - أي : حتى يفعل ما يوجب  
عليه الحدّ - أو يبدي كفرًا » .

ثم أخذ عثمان بن عفّان رضي الله عنه يذكر الأمور التي نقمها القوم عليه ،  
وأخذ يجيب على كلّ مسألة بعد الأخرى .

فوقف ﷺ بيّن بكلّ تواضع - وهو القادر على أن يقتل هؤلاء فورًا -  
لكنه قال : « ماذا تنقمون عليّ ؟ » ما هي المسائل التي تعترضون عليّ  
بسببها ؟ فقالوا : « أتممت الصلاة في الحج - في المزدلفة - وقد قصرها  
من قبلك رسول الله ﷺ وصاحبه » ، فهذا ابتداع ، وأنت مبتدع أتيت  
بما لم يأت به النّبي ﷺ وصاحبه ؟

فقال عثمان : « ألا إنّني قدمت بلدًا وفيه أهلي فأتممت » <sup>(١)</sup> . هذا

(١) انظر : « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٦٥١ ) ، و « تاريخ دمشق » ( ٣٩ / ٣١٣ ) .

اجتهادٌ منه ﷺ .

وفي رواية البيهقي : أن عثمان ﷺ أتم الصلاة في مزدلفة ، ثم قام فخطب في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أيها الناس ، إنَّ القصر سنة نبيكم وصاحبه - أي : أبي بكر وعمر ؓ ، ولكن حدث طغام - أي : أعراب جهلاء ، لا يعلمون شيئاً عن الدين ولا عن السنة - فخفتُ أن يستنُّوا» <sup>(١)</sup> .

انظر إلى فقه عثمان ﷺ وإلى نظراته الثاقبة بأن الأعراب في هذا العام الهجري قد كثروا ، فأحبَّ عثمان ﷺ أن يعلمهم أن الصَّلَاة أربع <sup>(٢)</sup> ؛ لأنهم لم يعيشوا في المدينة النبوية ، ولم يعرفوا السُّنَّة ؛ فقال : «حدث طغام ، فخفتُ أن يستنُّوا» .

• وعن ابن جريج أن أعرابياً نادى على عثمان - لما رآه يصلي أربعاً - وقال : يا أمير المؤمنين ، ما زلت أصليها ركعتين منذ رأيتك عام أول صليتها ركعتين <sup>(٣)</sup> . يعني : أصلي الظهر ركعتين ، والعصر ركعتين ، والعشاء ركعتين ، فعثمان كان يقصر الصلاة في الحج في العام السابق .

(١) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٤٤ / ٣) .

(٢) أخرجه الطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٤٢٥ / ١) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٤٢٧٧) .

• وقد قال الحافظ في « الفتح » (٦٦٥ / ٢) بعد إيراده لهذه الروايات : «وهذه طرقٌ يقوي بعضها بعضاً» .

أرجو أن تدبروا هذا ؛ فإنَّ التَّاريخ مملوء بالكذب والروايات  
المصنوعة الموضوعة ، التي شككت كثيرًا من النَّاس ؛ بل من الصَّفوة ،  
فضلاً عن العامَّة في حياة أصحاب النَّبي ﷺ !!! فالتَّاريخُ يحتاجُ إلى  
تحقيقٍ وتمحيصٍ من ناحية ، وإلى فهمٍ دقيقٍ ووعي عميقٍ في نقل  
الرَّوايات من ناحية أخرى .

فقد تجد هذه الروايات الخطيرة في « تاريخ ابن عساكر » أو في « تاريخ الطبري » ، أو في « البداية والنهاية » لابن كثير في كتب أئمة السلف .

ولكن هؤلاء - لابد أن نعي هذه الحقيقة - قد سجّلوا كلّ الروايات بأسانيدھا - كما ذكرت - وجاء من بعدهم ممّن لا يُجيدون النّزال ؛ فنزلوا هذا الميدان الخطير ، وممّن لا يحسنون السّباحة ، فنزلوا هذا البحر المتلاطم الأمواج ، فنقلوا هذه الروايات ، وبنوا عليها أحكاماً دون أن يحققوا السّند ليقفوا على صحّة الرواية من عدمها !

● فالتاريخ لم يُدَوَّن إلا في عهد الدولة العباسية ، وقام على تدوينه ثلاث طوائف <sup>(١)</sup> :

○ الطَّائِفَةُ الأولى : هي طائفة المستفيعين ، التي لا يخلو منها زمان ولا

(١) راجع «العواصم من القواصم» (تعليق الشيخ محب الدين الخطيب ص ١٧٩).

مكان ممن يكتبون ؛ ليأكلوا بأقلامهم ، وهؤلاء شوّها تاريخ بني أمية ؛ ليرضوا بهذا التّشويه أمراء بني العباس !

○ الطّائفة الثانية : هي طائفة محترقة من الخوارج والروافض ؛ فالخوارج كفّروا عليّاً ﷺ ، ونسفوا تاريخه نسفاً ؛ بل واتّهموه بتحكيمة الرّجال في كتاب الله - عزّ وجلّ !

وجاءت طائفة أخرى في مقابل هذه الطائفة التي كفّرت عليّاً ﷺ ، ألا وهي : طائفة الروافض .

فكتبوا تاريخاً جديداً ، رفعوا فيه عليّاً ﷺ إلى مرتبة الألوهيّة ، ونسفوا تاريخ الخلفاء - رضوان الله عليهم - بل وأسأؤوا إساءة بالغة إلى بيوت النّبوة لاسيّما إلى بيت عائشة ؓ .

○ الطّائفة الثالثة : وهي الطّائفة الوسط من أهل السّنة ؛ كالأئمّة : الطّبري ، وابن كثير ، وابن الأثير ، وابن عساكر ، والدّهبي ، وابن هشام ، وغيرهم - رحمهم الله .

ونظراً للظروف الصّعبة التي كانت تمر بها الأئمّة في هذه المرحلة الحرجة نقل الأئمّة جميع الرّوايات بأسانيدھا ؛ ليتبيّن كلّ باحث صحة الرواية من عدمها بالوقوف على سندھا .

فجاء من لا يجيد هذا الفنّ فنقل من هذه التّركة الضخمة دون تمييز

بين الصحيح والخطأ ، لعدم تحقيقه للروايات ، ظناً منه أن مجرد وجود الرواية في كتب الأئمة دليل على صحتها . ولم ينتبهوا إلى أن الأئمة قد ذكروا سند كل رواية ؛ للتعرف على صحتها من بطلانها - كما ذكرت - وهذا سبب رئيس في تشويه تاريخ الصحابة رضي الله عنهم في حقبة تاريخية حرجية .

هذا تأصيل مهم لا بد من معرفته جيداً حتى لا نخوض في عرض أشرف وأطهر الخلق بعد الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام . قال عثمان رضي الله عنه : «أيها الناس ، إن القصر سنة نبيكم وصاحبيه ، ولكن حدث طغام - أعراب جهلاء لا يعلمون شيئاً عن السنة - فخشيت أن يستنوا» - أي لا يستنوا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم بإتمام الصلاة في الحضر ، وقصرها في السفر ، ثم زاد الأمر وضوحاً ؛ فقال رضي الله عنه : «ألا إني قدمت بلداً فيه أهلي فأتممت» <sup>(١)</sup> .

● ثم قال عثمان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد : «أو كذلك هو ؟»

(١) سبق ، وقد قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى : في «الفتح» (٢/ ٦٦٥) : «ولا مانع أن يكون هذا هو أصل الإتمام عند عثمان رضي الله عنه . ويقول ابن العربي - رحمه الله - في «العواصم من القواصم» (ص/ ١٩٠ ط الجيل) : «وأما ترك القصر فاجتهاد ؛ إذ سمع عثمان رضي الله عنه أن الناس افتتنوا بالقصر . وفعلوا ذلك في منازلهم . فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة ، فتركها مصلحة خوف الذريعة» . اهـ .  
ولا شك أن المسألة اجتهاد من عثمان رضي الله عنه .

فقال الصَّحابة : «اللَّهِمَّ نعم» .

إقرار من كلِّ أصحاب النبيِّ المختار ﷺ في المسجد لعثمان رضي الله عنه .

قالوا - أي الثُّوراء الخبثاء: أكثرت الحِمَى لنفسك ؟ أي : المرعى ، فاستثمرت أموالك ، وجمعتها لنفسك ولأولادك ؛ فماذا قال عثمان رضي الله عنه ؟

قال : إني قد وليت - أي : توليت الخلافة - وأنا أكثر العرب بعيراً وشاة ، وليس لي اليوم من الشاة والبعير غير بعيرين اثنين لحبي .  
أ كذلك هو ؟ قالوا : اللّهُمَّ نعم .

فلقد أنفق عثمان رضي الله عنه المال كله .

فيا أيُّها الثُّوراء الحاقدون المجرمون أنسيتم أن عثمان بن عفَّان هو الذي اشترى بئر رومة ؟

■ أنسيتم عثمان الذي جهَّز جيش العسرة ؟

■ أنسيتم عثمان الذي أنفق ليشتري أرضاً جديدة ؛ ليوَسَّع المسجد النبوي لأصحاب الحبيب ﷺ .

تَتَّهَمُونَ عثمان المنفق ؟! تَتَّهَمُونَ عثمان السخي ؟! تَتَّهَمُونَ عثمان الباذل ؟!  
لتعلموا يقيناً أن أهل الباطل يحاولون بكل السُّبل أن يُسقطوا أهل الحقِّ ، ويشوِّهوا صورتهم بالطَّعن في دينهم وشرفهم وأعراضهم ؛

للفصل بينهم وبين عامة المسلمين .

فها هو عثمان - رضوان الله عليه - يُتَّهَمُ في ذمته المالية .

ثُمَّ قال لهم : هاتوا الثالثة ؟ قالوا : كان القرآن كتباً ؛ فجعلتها كتاباً واحداً ؟ <sup>(١)</sup> أي : كان القرآنُ في صحف عدَّة ، فجمعتها في كتاب واحد .

ومعلوم أن الصُّحف كانت عند حفصة - رضوان الله عليها - ؛ ولما اختلف الصحابة بعد غزو أرمينية وأذربيجان ، وخشي عثمان أن تختلف الأُمَّة في كتاب الرَّحيم الرَّحمن ، كما اختلف أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى ، جمع الصُّحف كلَّها ، وجعلها في مصحفٍ إمام ؛ ألا وهو : مصحف عثمان الذي بين أيدينا الآن .

فكتبه زيدُ بن ثابت رضي الله عنه مع نفر من أصحاب النبي ﷺ بلغة قريش <sup>(٢)</sup> وهي اللغة التي نزل بها القرآن على لسان النبي ﷺ ، ثم أرسل إلى كلِّ مِصْرٍ مصحفاً ، وأمر بحرق بقية الصُّحف .

• ولا بد أن ننبه أيضاً إلى أن أول من جمع القرآن هو : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك بمشورة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه .

(١) انظر : «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٢) و«تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣١٣) و«تاريخ الإسلام» (١/ ٤٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن (٤٩٨٧) .

○ يقول أبو بكر رضي الله عنه : « فو الله ما زال عمر يُكَلِّمُنِي حتى شرح الله صدري لما شرح الله صدره له » ، فجمع القرآن ، وكان مفرقاً في صدور الصحابة ، وعلى الجلد ، والرقاع ، والأخشاب <sup>(١)</sup> .

فجمع الصديق القرآن في صحفٍ ، فجعل الصحف عنده ، ثم انتقلت إلى عمر ، ثم توفي عمر ، فانتقلت إلى حفصة .

ثم انتقلت من حفصة إلى عثمان بن عفان ، فأمر بجمع الصحف في مصحف واحدٍ إمام ، ثم ردّ الصحف إليها ، وأمر بجمع الصحف في الأمصار ، وأرسل إلى كلِّ مِصرٍ - أي : إلى كلِّ بلدٍ أو قطر - بمصحفٍ واحدٍ إمام ؛ لتجتمع كلمة الأمة على اللفظ والحرف الذي قرأ به القرآن نبينا صلوات الله وسلامه عليه .

وقال : أيها الناس ، إنَّ القرآن واحد ، جاء من عند الله - سبحانه وتعالى - وإنما أنا تابع لصاحبي أبي بكر وعمر ؛ ونظر عثمان لأصحابه . وقال : أكذاك هو ؟ قالوا : اللهم نعم .

هاتوا الرابعة : قالوا : إنَّك استعملت الأحداث ! تدبر الإفلاس ! أي : جعلت الولاية والقادة والأمراء من صغار السن !

أهذه حجة تنكر على خليفة المسلمين وعلى أمير المؤمنين ؟!

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤٦٧٩) .

أليس لأمر المؤمنين الحق في أن يختار من يشاء لما يشاء ؟

ألم تتفق الأمة بالإجماع علىبيعة عثمان ؓ ؟!

ما وُلّت الأمةُ عثمان إلا لدينه وزهده وورعه وخلقه وفضله ؛  
فكيف يُعاب عليه إن اختار واليًا ؟ كيف يُتهم إن اختار أميرًا ؟ كيف  
يُتهم إن اختار قائدًا ؟

• ثم ألم يختَر النبي ﷺ أسامةَ بنَ زيدٍ على أبي بكرٍ وعمر وعثمان  
وعلي - رضوان الله عليهم أجمعين ؟ <sup>(١)</sup>.

• ألم يكن أسامة - وهو الشاب الذي يبلغ العشرين من عمره -  
قائدًا لجيش كبير ، انطلق ليناطح الصُّخور الصمّاء في الرُّوم ؛ ليقلم  
أظفار هؤلاء الذين أغاروا على أطراف الدولة الإسلامية ، وتحت  
قيادة أسامة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وغير هؤلاء  
الكبار ؟!

ما كان السنُّ أبدًا عاملاً لتحية الأَكفَاء .

وهذا ابنُ عبّاس ؓ قد اختاره عمر بن الخطاب ؓ عضوًا من  
أعضاء مجلس الشورى المكوّن من أصحاب النبي ﷺ الكبار - مع  
أشياخ بدر - ، وهو شابٌّ في ريعان الشَّباب !

(١) انظر «صحيح البخاري» (٤٤٦٩) (مع الفتح ٧/٧٥٩) .

بل لما شعر عمر بشيء في نفس أصحابه ، من أنه يُدْخِلُ المجلس معهم هذا الشاب الذي لم يبلغ العشرين من عمره ، أراد أن يبين لهم لماذا اختار ابن عباس ؟ فسأل عمر المجلس كله سؤالاً قال لهم : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ [النصر: ١-٣] .

فقالوا : إنَّ الله - جلَّ وعلا - يأمر نبيه إذا فتح عليه أن يكثُر من الاستغفار والتوبة . فالتفت عمر إلى ابن عباس وقال : ماذا تقول يا ابن عباس ؟

قال : أقول بغير هذا يا أمير المؤمنين . قال : ماذا تقول ؟ فقال ابن عباس : هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له <sup>(١)</sup> . يعني : أن الله - جلَّ وعلا - قد نعى هذه السورة لرسول الله ﷺ أجله .

مسألة الفهم رزق ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فالقضية ليست بالسَّبق ، ولكن بالفضل والصدق .

● وفي « صحيح مسلم » أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ (٤٩٧٠) .

الخطاب بعُسفان وكان عُمرُ استعمله على أهل مكة ، فقال : مَنْ استعملت على أهل الوادي؟ فقال : ابنُ أُبزى ؛ فقال عُمرُ : وَمَنْ ابْنُ أُبزى؟ قَالَ : مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا . فقال عُمرُ : فاستخلفت عليهم مولى؟! فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ ، فقال عُمرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ :

« إِنْ اللَّهُ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ » <sup>(١)</sup> .

فهؤلاء قد رُفِعُوا بالقرآن والسُّنة ، وليس بالسنِّ إطلاقاً !!

فكم من عُمرٍ طالت آماده - أي : طالت سنواته - وقلَّتْ أمداده ،

وكم من عُمرٍ قلَّتْ آماده وطالت أمداده !!

■ يقول عثمان حينما قالوا له : لقد استعملت الأحداث - أي :

وليت صغار السن ؛ فقال ﷺ : « والله لم أستعمل إلا مَرْضِيًّا ، وقد وُلِّيَ

مَنْ قَبْلِي أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ في استعماله

لأسماء أشد مما قيل ؛ أكذاك هو؟ » قالوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، زالت الشُّبهة .

والله لو كان عندهم ذرة حياء لعادوا وكمَّموا أفواههم بعد أوَّل

حِجَّة ، ولكن هؤلاء ما خرجوا لله ، ما خرجوا إلا للباطل ، وإشعال

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب ، فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها (٨١٧) .

نار الفتنة ، وإلا فَمَنْ عَلَى الْحَقِّ كَعِثْمَانُ ؟ مَنْ فِي وَرْعِ عِثْمَانَ وَإِيْمَانِهِ ؟! وَمَنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَذَّابِينَ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ كَمَا شَهِدَ لِعِثْمَانَ ؟!

قالوا : الخامسة : إِنَّكَ أَعْطَيْتَ ابْنَ أَبِي السَّرْحِ أَكْثَرَ مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَنَفَلْتَهُ خُمْسَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْغَنَائِمِ .

فقال : ■ إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنَ أَبِي السَّرْحِ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَإِنِّي نَفَلْتُهُ خُمْسَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخُمْسِ . وَقَدْ نَفَلَ مِثْلَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَلَمَّا زَعَمَ الْجَنْدُ أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ ذَلِكَ رَدَدْتُهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَيْسَ لَهُمْ حَقٌّ فِي ذَلِكَ ، أَكْذَلِكُ هُوَ ؟ قالوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

هاتوا السادسة : قالوا : إِنَّكَ تَحُبُّ أَهْلَ بَيْتِكَ ، وَتَكْثُرُ لَهُمْ فِي الْعَطَاءِ ! فقال ﷺ : أَمَا حُبِّي لِأَهْلِ بَيْتِي ؛ فَإِنِّي لَمْ أَمِلْ مَعَهُمْ إِلَى جَوْرِ - يَعْنِي : لَمْ أَجَامِلْ أَهْلَ بَيْتِي - لِحُبِّي لَهُمْ - فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ، أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ ؛ بَلْ أَجْرِي الْحَقُوقَ عَلَيْهِمْ ، كَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَمَّا إِعْطَاؤُهُمْ ؛ فَإِنَّمَا أَعْطَيْتُهُمْ مِنْ مَالِي ، وَلَا أَسْتَحِلُّ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ لِنَفْسِي ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِي ، فَوَاللَّهِ لَمْ أَكُلْ مِنْذُ أَنْ وَلِيْتُ الْخِلَافَةَ إِلَّا مِنْ مَالِي ، وَلَا أَكُلُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ قَالَ : أَكْذَلِكُ هُوَ ؟ قالوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

■ وفي «المصنف» لابن أبي شيبة<sup>(١)</sup> عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : « قَدْ كُنَّا

نقول ورسول الله ﷺ حيّ : أفضل أمة رسول الله ﷺ : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وأنا والله ما نعلم عثمان فعل شيئاً بغير حق ، ولا جاء من الكبائر شيئاً ، ولكن هو هذا المال إن أعطاكموه رضيتم ، وإن أعطى إلى قرابته سخطتم ، إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم ، لا يتركون لهم أميراً إلا قتلوه .

■ قال أبو نعيم في «تثبيت الإمامة» <sup>(١)</sup> : «عثمان رضي الله عنه أعلم ممن أنكر عليه ، وللائمة إذا رأوا المصلحة للرعية في شيء أن يفعلوه ، ولا تجعل إنكار من جهل المصلحة حجة على من عرفها ، ولا يخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحق من حيث لا يعرفون ، ولا يلزم عثمان رضي الله عنه فيما أمر به إنكار لما رأى من المصلحة ، فقد فرّق رسول الله ﷺ غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة وترك الأنصار لما رأى من المصلحة ، حتى قال قائلهم : تقسم غنائمنا في الناس ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ! فكان الذي دعاهم إلى الإنكار على ما فعل رسول الله ﷺ قلة معرفتهم بما رأى من المصلحة فيما قسم ، وكان أعظم من إنكار من أنكر على عثمان رضي الله عنه ؛ لأن مال المؤلفة من الغنيمة ، فلا يلزم عثمان رضي الله عنه من إنكار من أنكر عليه شيء إلا ما لزم رسول الله ﷺ حين رأى المصلحة فيما فعل اقتداءً بنبيه ﷺ» اهـ .

(١) «تثبيت الإمامة» (١٤٩) .

وظن عثمان بعد هذه الحجج الدامغة البالغة الوجهة الناصعة أنه قد أصاب من نفوس هؤلاء الخبثاء المجرمين موضعاً ، وظن أن عفوه عنهم سيطفى نار الحقد والغل المشتعلة في قلوبهم .

ولكن القوم - كما ذكرت - ما خرجوا لله أبداً ؛ وإنما خرجوا للفتنة ؛ فعادوا وتفرقوا .

عاد الفريق الذي جاء من البصرة إلى اتجاهه ، وعاد الفريق الذي جاء من الكوفة إلى اتجاهه ، وعاد الفريق الذي جاء من مصر إلى طريقه .

○ تدبر معي : وسرعان ما فوجئت المدينة مرة أخرى بهؤلاء المجرمين الخبثاء يحاصرون بيت عثمان من كل ناحية .. كيف جاؤوا ، وما الذي جاء بهم ؟ وهذا سنتعرف عليه في الفصل التالي بإذن الله - جلّ وعلا .



# حصار عثمان ومقتله

رضي الله عنه



## حصار عثمان ومقتله

انتهيت في الفصل السابق عند هذه الحجج الدامغة البالغة التي أقامها عثمان رضي الله عنه على الثَّوَارِ المتورين المجرمين ، من الغوغاء والرَّعاع الذين خرجوا من الكوفة والبصرة والشَّام ومصر ، وهم لا يريدون إلا أن يعزلوا عثمان رضي الله عنه أو يقتلوه ، فما خرج القوم لله - جلَّ وعلا - أبدًا .

فكان من الواجب بعد ما أقام عثمان رضي الله عنه الحجَّة عليهم أن ينصرفوا ، وقد عرفوا الحقَّ ، ولكنَّهم ما خرجوا للحقِّ ، وإنَّما خرجوا والحقْد الأعمى يغلي في قلوبهم ، وقد أعمى بصائرهم ، لا يريدون إلا عزل الخليفة أو قتله .

ظن عثمان رضي الله عنه أن القوم بعد أن عفا عنهم ويَّيَّن لهم الصَّواب ، أنَّهم سيعودون إلى بلادهم ، بعد ما أخذ عليهم العهد أن يرجعوا ، وألا يشقُّوا عصا ، وألا يفرقوا جماعة المسلمين .

ولكن - كما ذكرت - ما خرج القوم إلا وقد خططوا ، ودبَّروا لقتل عثمان رضي الله عنه ، فبعدما انصرفوا من المدينة ، وعاهدوا عثمان رضي الله عنه على ذلك ، سرعان ما عادوا جميعًا على الرَّغم من اختلاف طرقهم التي سلكوها ؛ ليفاجئوا المدينة يومًا بحصارهم بيت الخليفة من جديد .

سبحان الله ! كيف عاد أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام وأهل مصر في وقتٍ واحدٍ ؛ لتلتقي هذه العصابة المجرمة أمام بيت عثمان ؟ !  
والمعلوم أن الطريق إلى الشَّام يختلف تمامًا عن الطريق إلى البصرة ،  
وعن الطريق إلى الكوفة ، وعن الطريق إلى مصر ؟  
■ هذا سؤالٌ لا بد أن ننتبه إليه .

○ والجواب : أن هؤلاء قد عادوا عبر مسرحية هزلية لا يجيدها إلا الأفاكون ، ادَّعوا من خلال هذه المسرحية الهزلية أنهم في طريق العودة ، قبضوا على رجل وقالوا : بأن هذا الرَّجل هو رسولٌ مِنْ قِبَلِ عثمان ﷺ إلى واليه على مصر !

وهذه أولُ أكذوبة ؛ فوالى عثمان على مصر هو : عبدُ الله بن سعد بن أبي السَّرح ، كان قد استأذن عثمان ﷺ أن يركب إليه إلى المدينة ، بعد ما سمع ما سمع ، فأذن له عثمان ﷺ .

ففي الوقت الذي زعم فيه المجرمون الكذَّابون أن الرِّسالة جاءت من عثمان ﷺ إلى واليه على مصر ، كان واليه على مصر في طريقه إلى المدينة .

قالوا : بأنهم قبضوا على رسول أمير المؤمنين عثمان ! وقد أرسل معه عثمان كتابًا - أي : رسالة - بخطه وعليها خاتمُهُ ، يأمر فيها عثمانُ

أميره في مصر - أي : عبد الله بن سعد بن أبي السرح - أن يقتل هؤلاء أو يصلبهم ، فأقبلوا بهذا الكتاب المكذوب ! وعادوا إلى المدينة ، فأتوا علياً عليه السلام ؛ فقالوا له : ألم تر إلى عدو الله - أي عثمان - كتب فينا بكذا ، وقد أحل الله دمه ؟ - هكذا يحكمون في الحال - فقم معنا إليه ؛ فقال علي عليه السلام : والله لا أقوم معكم . قالوا : فلم كتبت إلينا ؟

فقال علي عليه السلام : والله ما كتبت إليكم ؟ فنظر بعضهم إلى بعض - وهذا يبين لنا أن هؤلاء ينقسمون إلى فريقين : فريق خادع وفريق مخدوع ، وما أكثر المخدوعين ؛ والفريق الخادع الذي يقود الحركة ، القائد الذي يدبر المؤامرة السوداء هو الذي يقود المخدوعين من السذج والرّعاع ، الذين انطلقوا وراء هؤلاء ينعمون وراء كل ناعق .

والذي نظر ؛ كما يقول ابن العربي - رحمه الله : هو الفريق الثاني - أي : الفريق المخدوع - فتركهم علي عليه السلام وخرج من المدينة فانطلقوا إلى عثمان عليه السلام ؛ فقالوا له : لقد كتبت فينا كذا وكذا ؛ فقال لهم عثمان الحبيّ الكريم : إمّا أن تقيموا اثنين من المسلمين - أي : ليشهدا عليّ - أني كتبت هذه الرسالة الخطيرة ، أو يميني <sup>(١)</sup> - فالبيئة على من ادّعى ، واليمين على من أنكر <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : «العواصم من القواصم» لابن العربي (١/ ١٢٠ ، ١٣٣ - ١٣٦) ط دارالجيل .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الأحكام باب : ما جاء أن البيئة على المدعي واليمين على المدعي عليه (١٣٤١) ، والبيهقي ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وللحديث شاهد ؛ =

تدبر هذا النص ؛ لتقف على الأكذوبة الكبرى ، فلقد نُسب كتابُ  
مزورٌّ إلى عثمان رضي الله عنه ، ونُسب كتابُ مزورٌّ إلى علي رضي الله عنه ، ونُسب كتابُ  
مزور - كما سنرى - إلى عائشة رضي الله عنها لتتم الخطة !!

إن من أعجب العجب أن قوافل الثَّوَّار العراقيين التي كانت  
متباعدة في الشَّرق عن قوافل الثَّوَّار المصريين التي كانت في الغرب .

والتي أخذت طريقها لتسير بمحاذاة ساحل البحر الأحمر لتنزل إلى  
خليج السويس ، ثم إلى العريش ، فكيف التقت هذه القوافل في وقتٍ  
واحدٍ عند باب الخليفة رضي الله عنه بعد ما سار كل فريق في اتجاهه ؟!

ولذا تدبر فقه وعبقريه علي رضي الله عنه ؛ فهو أول من فطنَ لهذه الخطة  
الخبیثة ، ولم لا ؟!

وقد تربَّى عليٌّ في حجر المصطفى صلى الله عليه وسلم وكفى ؟!

قال لهم رضي الله عنه : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل  
مصر ، وقد سرتهم مراحل ، ثم طويتم نحونا ؟! هذا والله أمرٌ دُبِّرَ  
بالمدينة !!

استوعبتم - أيها الأحبة - هذه العبارات الخطيرة ! فلقد استأجر

= أخرجه مسلم في كتاب الأفضية « باب : اليمين على المدعي عليه (١٧١١) عن ابن عباس »  
وانظر « الإرواء » (ح ١٩٣٨ ، ٢٦٦١) .

هؤلاء راكبًا لينطلق إلى الشام بحكاية هذه الرسالة المكذوبة التي أمسك بها أهل مصر .

وأرسلوا في الوقت نفسه رسولا آخر إلى أهل الكوفة ، وإلى أهل البصرة ، يخبرهم ما كان من أمر الرسالة المكذوبة على لسان عثمان رضي الله عنه ليرجع الجميع في وقت واحد ، ولتلتقي هذه العصابة المجرمة حول بيت الخليفة رضي الله عنه .

فقال الثَّوَّار العراقيون : فضعوه على ما شئتم ، لا حاجة لنا في الرَّجل ، ليعتزلنا <sup>(١)</sup> . أي : فضعوا الكتاب على ما شئتم . يعني : فسروه كما تريدون .

لكن انظر إلى ما خرجوا إليه أصلاً ، لا حاجة لنا بهذا الرَّجل ! هذا هو الهدف الذي من أجله خرجوا ، ولأجله التقوا !!

وهذا تسليم واضح منهم بأن قصّة الكتاب مفتعلة ، وأن الغرض الأوّل والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، أو سفك دمه الذي عصمه الله - جلّ وعلا - بشريعة نبيه صلى الله عليه وسلم .

هذا الحوار الذي دار بين عليّ وبين الثَّوَّار مجمعٌ عليه في كل كتب السّيرة والروايات ، وهو نصّ قاطع على أن اليد التي زوّرت الكتاب

(١) «تاريخ الطبري» (٢/٦٥٣) ط دار الكتب .

على عثمان ، وبعثت إلى العراقيين لتخبرهم بذلك ، ولتطلب منهم أن يعودوا إلى المدينة هي نفس اليد التي زوّرت الكتاب باسم وخاتم علي بن أبي طالب ﷺ .

فالثُّور - كما ذكرت - فريق خادع وهو القائد ، وفريق مخدوع وهم الكثرة ، وللأسف زُور كتابٌ ثالث على لسان عائشة ، تُهيج فيه عائشة - أي : في هذا الكتاب المكذوب المزعوم - الصحابة على قتل عثمان ﷺ !!!

هل تتصور أن مؤمنةً من أمّهاتنا الفاضلات في زماننا تهيج المسلمين على قتل عالمٍ من أهل السُّنة ؟ فكيف بأُمّ المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ التي ترعرعت في بستان الوحي ، وسمعت القرآن وحدها من فم نبيّها ﷺ ؟!

بل ما نزل جبريل بالقرآن أو بالوحي على زوج من زوجات النبي ﷺ وهو في لحافها إلا في لحاف عائشة <sup>(١)</sup> .

فمن الذي يتصور - إلا وهو يحمل قلباً من أمراض قلوب أهل الأرض - أن عائشة ﷺ تحثُّ وتهيج الصحابة على قتل عثمان ﷺ !!! .

وتدبر ماذا قال لها مسروق بن الأجدع - ومسروق تابعي كريم جليل من كبار التابعين المقرّين إلى عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضل عائشة ﷺ (٣٧٧٥) .

اليمن ، وعثمان رضي الله عنه .

يُعاتب مسروق بن الأجدع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويقول لها : لقد كتبت كتاباً تؤلِّين الناس فيه للخروج على عثمان ؟! - فأقسمت عائشة قسمًا لم يقسم به أحد من قبلها قط - ماذا قالت عائشة ؟ قالت : أقسم بالله الذي آمن به المؤمنون ، وكفر به الكافرون ، ما كتبت إليهم سوداء في بيضاء ؛ كما أخرج ذلك ابن أبي شيبة <sup>(١)</sup> وغيره وصححه الحافظ ابن كثير في «تاريخه» .

● أخى : هل تتصور أن عالمًا من علمائنا يكذب ؟ هذا مستحيل !!  
فمَنْ يتصور أن أم المؤمنين عائشة تكذب ؟ ولصالح من ؟!

قفوا مع هذه الحقائق ؛ فلقد ذكرت - وأكرر : لا يجوز لأحد أن يتكلَّم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا بأصول ؛ فإنَّ الحديث عنهم يتطلَّب صحَّة العقيدة ، وأمانة النُّقل ، ودقَّة الفهم ، وإخلاص النِّيَّة ، ونظرة فاحصة مدققة لأراجيف المغرضين والكذَّابين والوضَّاعين والمبطلين .  
فعائشة تقسم وتقول : « ما كتبت سوداء في بيضاء » أي : ما خطَّطت خطأً واحدًا في ورقة .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٣/٦) وهو في «تاريخ خليفة بن خياط» (٣٩) عن عائشة بسندٍ صححه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩٥/٧) ، وراجع : «العواصم من القواصم» لابن العربي (١٤٢/١) .

■ قال الحافظ ابن كثير <sup>(١)</sup> : « وفي هذا دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قَبَّحهم الله زَوَّروا كُتُبًا على لسان الصَّحابة إلى الآفاق يحرِّضونهم على قتال عثمان » .

فاللعبة كُلُّها لتشويه تاريخ أظهر الخلق بعد الأنبياء ، ولتزوير الحقائق ، ولتأليب الخلف على السَّلف ، ولتشويه حقبة من أخرج أوقات التَّاريخ الإسلامي حتى لا تصل إلينا ناصعة البياض .

لا بد أن ينطلق كل مسلم صادق من هذه الأسس ، ومن هذه الأصول ليعلم عَمَّن يتكلم ، وفي تاريخ من يقرأ ؟ ! إنَّه يتكلَّم عن القمم الذين قال في حقهم ابن مسعود ؓ : « إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، فَابْتَعَثَهُ لِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ » <sup>(٢)</sup> .

وقد ذكرت أن الله قد زكَّاهم وعدَّهم في مواضع كثيرة في القرآن ، وأن رسول الله ﷺ قد زكَّاهم وعدَّهم ، وشهد لكثيرٍ منهم بالجنة ، وهم يعيشون في الدنيا بين ظهرائي النَّاس ، ويا لها - والله - من كرامة !

(١) « البداية » (٧/ ١٩٥) .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) بسند حسن .

فتدبر معي - أيها الأخ الحبيب الكريم - لتقف على هذه اليد الخبيثة التي زوّرت الكتاب على عثمان ، وزوّرت الكتاب على عليّ ، وزوّرت الكتاب على عائشة ، وزوّرت بعد ذلك على طلحة والزبير - رضي الله عنهم جميعًا .

○ والسؤال الخطير الآن : أين كان الصحابة - رضوان الله عليهم - والثوّار الموتورون المجرمون يحاصرون بيت الخليفة ؟

● والجواب : لقد كان عثمان رضي الله عنه إزاء هذه الأحداث الخطيرة التي ألّمت به المثل الأعلى ، لما يمكن أن يقدمه الفرد من تضحية في سبيل أمّته ، وفي سبيل الجماعة .

فلقد كان بإمكان عثمان رضي الله عنه أن يفدي نفسه بدماء الصّحابة .  
ما كان عليه فقط إلا أن يأمر الصّحابة ؛ بل ما كان عليه إلا أن يتقبّل رجاءهم في أن يذبّوا ويدفعوا عنه ، وفي أن يحولوا بينه وبين هؤلاء الموتورين المجرمين .

لقد حاول كلّ الصّحابة أن يفدوه ، ولكنهم لم يفلحوا ولم ينجحوا ؛  
لماذا ؟

● يقول عبد الله بن عامر بن ربيعة : كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار - أي : في داره يوم أن قُتل - فقال عثمان : « أعزّم على كلّ من رأى أن عليه

سمعاً وطاعة لي إلا كفَّ يده وسلاحه ؛ فإنَّ أفضلكم عندي غناء ؛ من كفَّ يده وسلاحه» <sup>(١)</sup> .

● وعن محمد بن سيرين قال : انطلق الحسن والحسين وابن عمرو وابن الزبير ومروان يحملون السلاح حتَّى دخلوا دار عثمان ، فماذا قال عثمان ؟ قال لهم - رضوان الله عليهم جميعاً : «أعزمُ عليكم أن ترجعوا ، وأن تضعوا أسلحتكم ، وأن تلزموا بيوتكم» <sup>(٢)</sup> .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال لعثمان : «اليوم طاب الضرب معك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عثمان : أعزم عليك لتخرجنَّ إلى بيتك يا أبا هريرة» <sup>(٣)</sup> .

● وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن الزُّبير قال : قلت لعثمان يوم الدار : اخرج فقاتلهم ؛ فإنَّ معك من قد نصر الله بأقل منهم ، والله إنَّ قتالهم لحلال .

يقول عبد الله بن الزُّبير : فأبى عثمان ﷺ <sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨ / ٦٨١ ح ٨) ، وخليفة بن خياط في «تاريخه» (٣٨) ، وابن سعد في «الطبقات» (٣ / ٧٠) بسند صحيح .

(٢) أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» (٣٩) ، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩ / ٣٩١) وانظر : «تاريخ الإسلام» للذهبي (١ / ٤٤٧) .

(٣) أخرجه خليفة بن خياط في (٣٨) ، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩ / ٣٩٦) ، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣ / ٧٠) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨ / ٦٨١ ح ٩) ، وابن سعد (٣ / ٧٠) ، ومن طريقه ابن عساكر (٣٩ / ٣٩٤) .

● وأخرج أيضًا ابن أبي شيبه عن ابن سيرين قال : جاء زيد بن ثابت إلى عثمان رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، الأنصار بالباب ؛ فإن شئت أن نكون أنصار الله مرتين ؛ فأمرنا نقاتل ؟ أي مرة ينصرون فيها النبي ﷺ ومرة ينصرون فيها عثمان ، فقال عثمان : أمّا القتال فلا .  
وفي رواية : لا حاجة لي بذلك ؛ فكفوا <sup>(١)</sup> .

● وروى ابن عساكر بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انطلق وهو معتم بعمامة رسول الله ﷺ مع خمسمائة دارع من أبطال الصحابة ، وقال لأمير المؤمنين : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أمنعك من القوم ؛ فإنك لم تحدث شيئاً يستحلون به دمك ؟ فقال عثمان : جزيت خيرًا يا علي ؛ ما أحب أن يهراق دم بسبي <sup>(٢)</sup> .

وهكذا تجمّع حول عثمان رضي الله عنه كثيرٌ من أبطال الصّحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ؛ ليدافعوا ويذودوا عن أمير المؤمنين ﷺ والله لو أذن لهم عثمان في الحرب لحاربوا دون عثمان ﷺ .

● يقول القاضي أبو بكر بن العربي <sup>(٣)</sup> - رحمه الله وطيب ثراه - في

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في «مصنفه» (٨ / ٦٨١ ح ١١) وابن سعد في «الطبقات» (٣ / ٧٠) ومن طريقه ابن عساكر (٣٩ / ٣٩٥، ٣٩٦) .

(٢) أخرجه ابن عساكر (٣٩ / ٣٩٨) .

(٣) «العواصم» (١٤٥) ط دار الجيل .

كتابه الماتع المهم في هذا الباب « العواصم من القواصم » : « إنَّ عثمان مظلومٌ محجوجٌ بغير حجَّة ، وأنَّ الصَّحابةَ برآءٌ في زمَّتِه بأجمعهم ، لأنَّهم أتوا إرادته ، وسلَّموا له رأيه في إسلام نفسه » .

فعثمان ﷺ قتل ، والصَّحابةَ برآءٌ من دمه ؛ لأنَّه مَنَعَ من قتال من ثار عليه ، وروى عنه أنه قال : « لا أكون أوَّل من خلف رسول الله ﷺ في أمَّتِه بسفك الدِّماء » فصبر على البلاء واستسلم للمحنة ، وفدى الأُمَّة بنفسه ودمه .

○ والسؤال الآخر : هل كان عثمان - ولو لم يأذن للصَّحابة بالقتال - عاجزًا عن الفرار إلى الشَّام أو إلى مصر ، أو إلى بلد من البلدان ، لأيِّ والٍ من ولاته على هذا المصر ؟

■ والجواب : لا ؛ بل طُلِبَ منه أن يفر ؛ لقد قال معاوية ﷺ لعثمان ﷺ : يا أمير المؤمنين ، أبعث إليكم جنْدًا - أي : من أهل الشَّام - ليقم معك إن نابت المدينة نائبةً أو إِيَّاك ؟

فماذا قال عثمان ﷺ ؟ قال : أخشى أن أضيقَّ الطُّرُق والأرزاق بجندك على أصحاب رسول الله ﷺ في المدينة - يا خالق عثمان ، سبحانك !!!

فقال له معاوية : إذاً فاخرج إلى الشَّام ، لا تبق بالمدينة ؟ فقال عثمان

ﷺ : والله ما كنت لأقبل جواراً على جوار رسول الله ﷺ أبداً<sup>(١)</sup> .

إنَّ عثمانَ ﷺ قوي الإيمان ، راسخ اليقين ، كبير النفس ، وكان يعلم يقيناً أنَّه سيبتلى .

ألم يخبره رسول الله ﷺ بذلك ؟ ألم يبشره رسول الله ﷺ على بلوى تصيبه ؟ ألم يعاهد عثمانُ رسولَ الله ﷺ على الصبر إذا ما وقعت به الفتنة ؟<sup>(٢)</sup> .

○ الجواب : بلى ، وهذه الفتنة قد وقعت ، فلتُصدِّقِ اللهَ يا عثمانُ ، ولتُفِ بعهدك لرسولك وحبيبك ﷺ !!!

■ ففي مسند أحمد ومستدرک الحاكم ومصنف ابن أبي شيبة<sup>(٣)</sup> عن عبد الله بن حوالة الأزدي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ فَقَدْ نَجَا ، مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ فَقَدْ نَجَا ، مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ فَقَدْ نَجَا » قَالُوا : مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مَوْتِي ، وَخُرُوجُ الدَّجَالِ ، وَقَتْلُ خَلِيفَةِ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ يُعْطِيهِ » . وهذا هو ما كان منه ﷺ .

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٥٠) و «البداية والنهاية» (٧/ ١٦٩) و «تاريخ الإسلام» للذهبي (١/ ٤٤١) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠) ، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٩٠) ، والحاكم (٣/ ١٠٨) ، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٦٤٥) : «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ربيعة بن لقيط وهو ثقة» ، وصححه الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (١١٧٧) .

فلقد فدى عثمان ﷺ الأمة كلها ونظام الخلافة بنفسه ؛ إذ لو تنازل عثمان لهؤلاء المجرمين لصارت سنة ، فكلُّ عصابة مجرمة لا ترضى عن خليفة المسلمين أو عن أميرها ، تقوم عليه لتخلعه !!

ولكن عثمان ﷺ تمسك ، لا حرصاً على الكرسي ؛ فهؤلاء ليسوا من هذا الصنف.

ومما لا شك فيه أن عثمان بهذا الصنيع قدّم أعظم وأقوى ما يفعله رجلٌ صادق لأمة قلّدتَه مقاليد الأمور.

لقد كان عثمان ﷺ يعلم يقيناً أنّ هذه الفتنة ستقع ، وقد وافقه الصحابيُّ الجليل عبد الله بن عمر ﷺ ألاّ يخلع نفسه ، وعلى أن يصبر .

○ والحديث رواه أحمد في « فضائل الصحابة » وابن أبي شيبة وغيرهما <sup>(١)</sup> بسندٍ صحيح عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال لي عثمان وهو محصور في الدار ، وعنده المغيرة بن الأحنس ﷺ : انظر ما يقول هؤلاء القوم ، يقولون : اخلعها ولا تقتل نفسك - يعني : انج بنفسك واترك الخلافة.

فقال ابن عمر : يا أمير المؤمنين ، إذا خلعتها أخلّد أنت في الدنيا ؟

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٨ / ٦٨٠ / ح ٣) ، وأخرجه أحمد في كتاب فضائل الصحابة (١ / ٤٧٣) برقم (٧٦٧) ، وابن سعد في « الطبقات » (٣ / ٦٦) ، وخليفة بن خياط في تاريخه (٣٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٩ / ٣٥٦ - ٣٥٨) .

- تدبر النصيحة الصادقة : يا أمير المؤمنين ، إذا خلعتها - أي : الخلافة -  
أخلد أنت في الدنيا ؟- قال : لا . قال : فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن  
يقتلوك ؟ قال : لا ، قال : فهل يملكون لك جنة أو ناراً ؟ قال : لا ، قال  
ابن عمر : فلا أرى أن تخلع قميصاً قمصكه الله ﷻ فتكون سنة ، كلما كره  
قوم خليفتهم قتلوه ، حتى لا يقوم لله دين ، ولا للمسلمين نظام .

● وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح من حديث عائشة أن النبي ﷺ  
قال يوماً وهو يجلس في بيت عائشة - رضي الله عنها :

« ادْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي » ، فقالت عائشة : أَبُوبَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟  
قَالَ : « لَا » ، قَالَتْ : عُمَرُ ؟ قَالَ : « لَا » ، قَالَتْ : ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ ؟ قَالَ :  
« لَا » . قَالَتْ : عُثْمَانُ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .

قالت عائشة : فَلَمَّا جَاءَ عُثْمَانُ قَالَ : « تَنْحِي » . فَجَعَلَ يُسَارُّهُ وَلَوْ أَنَّ  
عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ - أي : في اليوم الذي حاصروا فيه  
عثمان - وَحُصِرَ فِيهَا قُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تُقَاتِلُ ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> .

هذا العهد كما هو معلوم ، وسأبين الآن - ألا يخلع عثمان نفسه أبداً

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ( ٥١ / ٦ ، ٢١٤ ) ، وابن ماجه في « المقدمة » ( ١١٣ ) ، وابن أبي  
شيبه في « مصنفه » ( ٨ / ٦٨١ ح ٤ ) ، وأبو نعيم في « الحلية » ( ٥٨ / ١ ) ، وقال البوصيري :  
« إسناده صحيح رجاله ثقات » وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه .

من الخلافة ، حتى لا يكون هذا الأمر سابقة في تاريخ هذه الأمة .  
 ومن الأحاديث الجميلة الموضحة لذلك ما جاء في الحديث  
 الصحيح الذي رواه أحمد في « مسنده » ، وابن ماجه في « سننه »  
 والترمذي في « سننه » بسند صححه الألباني في « سنن الترمذي » ،  
 و« سنن ابن ماجه » من طريق عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت :  
 سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يَا عُمَانُ ، إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا  
 تَخْلَعْهُ لَهُمْ » <sup>(١)</sup> .

يقول النبي ﷺ ذلك لعثمان ثلاث مرات .  
 هل هناك أمر أصرح من هذا ؟ والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى  
 ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ  
 الْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٥] .

● وفي رواية : « يَا عُمَانُ ، إِنَّكَ مَقْتُولٌ مُسْتَشْهَدٌ ، فَاصْبِرْ صَبْرَكَ اللَّهُ ،  
 وَلَا تَخْلَعَنَّ قَمِيصًا قَمَصَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » <sup>(٢)</sup> يعني : الخلافة .

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٧٥ / ٦) ، والترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب عثمان  
 ابن عفان ؓ (٣٧٠٥) ، وابن ماجه في « المقدمة » ، باب : فضل عثمان ؓ (١١٢) ، وصححه  
 الألباني في « صحيح الجامع » (٧٩٤٧) ، وانظر : « ظلال الجنة » (١١٧٢) و(١١٧٣) .

(٢) عند أبي يعلى في « مسنده » (٧٠٤٥) . ومن طريقه ابن عدي في « الكامل » (٢٦٤ / ١) وابن  
 عساكر في « تاريخه » (٢٨٩ / ٣٩) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩٠ / ٩) : « رواه أبو يعلى  
 وفي إسناده إبراهيم بن عمر بن عثمان العثماني وهو ضعيف » .

وأنا - ورب الكعبة - ألمس استجابة كريمة لدعوة النبي ﷺ لعثمان  
ﷺ انعكست على أقواله وأفعاله ، من أول لحظة خرج فيها المجرمون  
لملاقاته في المدينة .

نعم ؛ لقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ ، فصبرَّ الله عثمان صبراً تنوء  
عن حمله الجبال الرأسيات !!

أوامر من النبي ﷺ بالصبر ، وعدم القتال ، وعدم الاختلاع من  
الخلافة ، فصبر عثمان ﷺ ، ولم يقاتل ، ولم يختلع ، ومنَّ الله عليه  
بالشهادة !!!

وفي هذه الأحاديث التي ذكرت دلالة واضحة على أن من قتل  
عثمان ﷺ من المنافقين المجرمين بشهادة النبي ﷺ الصادق الأمين -  
الذي لا ينطق عن الهوى - وفي الليلة المقدَّرة في السَّنة الخامسة والثلاثين  
من الهجرة ، قام فصلَّى من اللَّيل ما قدَّر الله له أن يضليَّ ، وقرأ من القرآن  
ما قدَّر الله - عزَّ وجلَّ - له أن يقرأ ، ونام فجاءه المصطفى ﷺ في رؤياه ،  
وقال له ﷺ : « أَفْطِرُ عِنْدَنَا غَدًا يَا عُثْمَانُ » <sup>(١)</sup>.

وفي لفظٍ : « إِنَّكَ سَتُفْطِرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ يَا عُثْمَانُ » .

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» والحاكم في «المستدرک» <sup>(٢)</sup> وصححه

(١) عند الطبري في «تاريخه» (٢/٦٧١) وابن الأثير في الكامل (٢/٥٤٥) عن أبي سعيد .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/١٨١) ، والحاكم في المستدرک (٣/١١٠) ، والبخاري في «مسنده» =

- وأقره الذهبي - من حديث ابن عمر أن عثمان أصبح فحدث فقال :  
إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ اللَّيْلَةَ ؛ فقال : «يَا عُثْمَانُ ، أَفْطِرُ عِنْدَنَا» ،  
فأصبح عثمان صائماً ، فَقُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

■ وفي رواية أحمد<sup>(١)</sup> بسند حسن أن عثمان ﷺ قال : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ  
اللَّهِ ﷺ الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا لِي :  
اضْبِرْ فَإِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا الْقَابِلَةَ - فأصبح عثمان صائماً - ثُمَّ دَعَا  
بِمُصْحَفٍ - مصحفه الذي يقرأ فيه ، الذي جمعه هو ﷺ - فَنَشَرَهُ بَيْنَ  
يَدَيْهِ فَقُتِلَ - عثمان ﷺ - وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ<sup>(٢)</sup> .

● وفي زوائد فضائل الصحابة للإمام عبد الله بن الإمام أحمد بسند  
صحيح عن عمرة بنت أرطاة قالت : خرجت مع عائشة ؓ إلى مكة  
في السَّنة التي قتل فيها عثمان - أي : خرجت للحج - تقول : وفي  
طريق عودتنا مررنا بالمدينة ، ورأينا المصحف الذي كان في حجر

= (٣٤٧) ، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٨٤ / ٣٩) .

(١) في «المسند» (٧٢ / ١) وعبد الله في الفضائل (٨٠٩) ، ومن طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة»  
(٧٥٣ / ١) ، وابن عدي في «الكامل» (١٧٥ / ٧) ، وابن عساكر (٣٨٧ ، ٤٠٠ / ٣٩) عن  
عثمان . وصححه سننه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٢) وللحديث شواهد : من حديث نائلة عند عبد الله بن أحمد (٧٣ / ١) في زوائد المسند ، وفي  
فضائل الصحابة (٨١١) ، وابن أبي شيبة (١٨١ ، ٣٦٢) ، وابن سعد (٧٤ / ٣) ، وابن  
عساكر (٣٨٧ / ٣٩) وانظر : «علل الدارقطني» (٢٨٩) وله شاهد آخر من حديث أبي  
هريرة عند البخاري في التاريخ الكبير ، (تعليقاً ٣٧١ / ٥) ، وأحمد في «الزهد» (١٢٨) .

عثمان رضي الله عنه يوم قتل .

تقول : فكانت أول قطرة قطرت من دمه قد نزلت على قول الله تعالى  
في المصحف بين يديه: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾  
[البقرة: ١٣٧]

قالت عمرة : فو الله ما مات منهم رجل سوياً <sup>(١)</sup>.

● وعن محمد بن سيرين قال : كنت أطوف بالكعبة فإذا برجل  
يقول : اللهم اغفر لي ، وما أظن أن تغفر لي . يقول : فتعجبت منه ،  
فقلت : يا عبد الله ، ما سمعت أحداً يقول مثل ما تقول ! فقال الرجل :  
إني كنت قد أعطيت الله عهداً لئن مكّني من عثمان بن عفان لأصغته !!  
فلما قُتل ووضعت في سريره في البيت . كان الناس يأتون ، ويصلُّون  
عليه ، وهو في بيته ، فدخلت أظهر أني أريد الصلاة عليه ، فلما رأيتُ  
أن البيت ليس فيه أحد ، كشفتُ عن وجهه فصغته ، وهو ميت ، فبيست  
يدي - أي شلّت - قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنّها عود <sup>(٢)</sup> .

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بينما عثمان يخطب إذ قام إليه رجل ،  
يُقال له جهجاه الغفاري تناول عصاً كانت في يد عثمان فكسرها على

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « الزهد » (ص ١٥٩) ، وفضائل الصحابة (١ / ٥٠١) برقم (٨١٧) وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في « التاريخ » كما في « البداية » لابن كثير (٧ / ١٩١) مكتبة المعارف ومن طريقة ابن عساكر (٧٠ / ١٤١) .

ركبته . فرمي عن ذلك الموضع بأكلة .

وفي رواية : وصاح به الناس . ونزل عثمان حتى دخل داره ، ورمى الله الغفاري في ركبته . فلم يحل عليه الحول حتى مات <sup>(١)</sup> .

● وقال الحسن البصري : « ما علمتُ أحدًا أشرك في دم عثمان ﷺ ، ولا أعان عليه إلا قتل » <sup>(٢)</sup> .

والمتتبع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان ﷺ المعتدين عليه يجد أن الله تعالى لم يمهلهم ، بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم ، فلم ينج منهم أحد ، وهو سبحانه حسب المؤمنين .

فلما أصبح عثمان ، أمر الصحابة أن ينصرفوا ، وفتح باب داره وهو صائم ، وقد شدَّ على نفسه السراويل ؛ وهو يعلم يقينًا أنه مقتول ، ويخشى لفرط حيائه أن تكشف عورته ، فشدَّ على نفسه السراويل ، وفتح كتاب الله بين يديه ، وجلس يقرأ القرآن الكريم ، وهو ينتظر انقضاء المجرمين عليه في أي لحظة ؛ بل هو ينتظر ويرجو أن تقترب هذه اللحظة ؛ ليسعد بالإفطار مع رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر .

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/٧٩) ، وابن أبي شيبة (٧/٤٨٨) .

(٢) أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٤/١٢٥٢) .

وانقضَّ عليه المجرمون الآثمون كالذئاب المسعورة<sup>(١)</sup> ، فضربه الغافقي بحديدة معه ، والتفت الغافقيُّ إلى المصحف في حجر عثمان ، فضرب الغافقيُّ المصحفَ برجله فاستدار المصحفُ دورةً كاملةً ، واستقر مرةً أخرى في حجرِ عثمان لتخالطه دماءُ عثمان ، كما خالطت آياتُ القرآن دماءَ عثمان !

أهؤلاء قوم خرجوا لله ؟ يضرب المصحفَ برجله ويدَّعي أنه خارج لله .

وها هو عثمان رضي الله عنه الصَّابر الأَوَّاب لم يقاوم ولم يتحرك من مجلسه ؛ بل ظل جالسًا على كتاب الله كالطَّود الشامخ . واستمر عثمان يقرأ

(١) وأحبُّ أن أنبِّه في هذا المقام الذي زلَّت فيه أقدام ، وزاغت فيه أفهام إلى مسألة من الخطورة بمكانٍ ألا وهي : أنَّه لم يشارك في قتل عثمان رضي الله عنه أحدٌ من أصحاب النبي - عليه الصَّلاة والسلام ، وإنما الذي شارك في قتله هم من السبئية والمنافقين ؛ كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في حديثه الصحيح ، وقد أشرت إلى ذلك ؛ ولذلك قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٢٠٧/٧) : « وأما ما ذكره بعض النَّاسِ مِنْ أنَّ بعض الصَّحابة أسلمه ورضي بقتله ؛ فهذا لا يصحُّ عن أحدٍ من الصَّحابة أنَّه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه ؛ بل كلهم كرهه ومقتله ، وسبَّ من فعله ، ولكنَّ بعضهم كان يودُّ لو خلع نفسه من الأمر ؛ كعمَّار بن ياسر ، ومحمد ابن أبي بكر ، وعمرو بن الحمق ، وغيرهم » ا.هـ .

وما جاء في ذلك من روايات تقدح في أحدٍ منهم ، فلا يثبت بحال ، إذ هي من رواية الكذَّابين والوَضَّاعين كالواقدي وغيره .

وهذا ما أدين الله - عزَّ وجلَّ - به ؛ فالصحابة مبرؤون ومنزهون عن ذلك ، فليسوا طلاب كراسي ، ولا مناصب ، ولا جاه ، وأسأل الله أن يجمعني بهم في جنَّات النعيم مع سيد النَّبِيِّينَ ﷺ .

كتاب الله - جلّ وعلا - فانقضّ عليه مجرم يُقال له : التجبيُّ<sup>(١)</sup> ،  
فضرب عثمان ﷺ ضربة آثمة ، فأصابته كَفَّ عثمان ؛ فقال عثمان : الحمد  
لله ، والله إنّها يد خطت المَفْصَل<sup>(٢)</sup> ، وكتبت القرآن لرسول الله ﷺ .

فلقد كان عثمان من كُتّاب الوحي للمصطفى ﷺ .

وجاء التجبيُّ مخترطاً سيفه فوضع السيف في بطن عثمان ﷺ .  
فجاءت زوجته الصّابرة الوفيّة التّقية النّقيّة العفيفة الطّاهرة : نائلة  
- رضوان الله عليها - لتفدي عثمان ﷺ بروحها ودمها ونفسها ،  
فطعنها هذا المجرم فقطع يدها ، ولما جرت نظر إلى مؤخرتها ؛ فقال : ما  
أعظم عجيزتها<sup>(٣)</sup> !! عليهم من الله ما يستحقون !

كل هذا والخليفة صابر ، وهو الحييُّ الوقور ، إنه رجل جاوز  
الثلّانين من عمره ، إنّهُ زوج ابنتي رسول الله ﷺ ، إنّهُ صاحب بئر  
رومة ، وإنّهُ مجهز جيش العسرة ، إنّهُ جامع القرآن ، إنّهُ كاتب الوحي  
لرسول الله ﷺ .

---

(١) هو رجل من بني سدوس يقال له : الموت الأسود ، واسمه : كنانة بن بشر - لعنه الله .  
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الفضائل (٧٦٥ ، ٧٦٦) والطبري في تاريخه (٢ / ٦٧١)  
وابن أبي شيبه في «المصنف» (٧ / ٥٢٠) وخليفه بن خياط في تاريخه (٣٩) ، وابن حبان  
(٦٩١٩) ، وابن أبي داود في «المصاحف» كما في «فضائل القرآن» (٣٩) و«الدر المنثور»  
للسيوطي (١ / ٣٣٩ ، ٣٤٠) وابن عساكر (٣٩ / ٤١١ ، ٤١٤) .

(٣) انظر التعليق المتقدم .

ألم أقل لكم إن الذي يؤلم القلب ويبكي العين ؛ بل ويُذمي الفؤاد  
أن هؤلاء المجرمين الخبثاء في كل عصر ، وفي كل مصر يرفعون الحرب ،  
ويشعلونها على أئمة الدين ، وقادة الأمة باسم الإسلام .

باسم الإسلام يرفعون شعار : الله - تعالى - لصالح الإسلام ! للحرب  
على الإرهاب ! للقضاء على التطرف !

إنهم يريدون أن يطمسوا هوية الدين تحت هذه الشعارات المضللة  
الخبثية الكاذبة . ولم يكتف المجرمون الخبثاء بهذا الأمر ، وإنما أبى ورعهم  
الباهت وزهدهم الكاذب ، أن يُدفن عثمان رضي الله عنه في مقابر المسلمين !

هل تتصور هذا ؟! إلى هذا الحد من الورع ، والزهد الكاذب  
الباهت المريض ، يقف هؤلاء ويمنعون تمامًا أن يُدفن عثمان رضي الله عنه في  
مقابر المسلمين في البقيع ، وإنما دفن ابتداءً خارج المقابر ، ثم بعد ذلك  
اتَّسعت البقيع وأدخلوا عثمان رضي الله عنه إلى مقابر المسلمين ، ولا حول ولا  
قوة إلا بالله العلي العظيم !

إنَّ مكمن الخطر أن تُعلن الحربُ دومًا على القيادة ؟ لقطع رأسها  
ولتحطيم أضلاعها باسم الإسلام ، ومن أجل الله - تعالى !!

والمصيبة الكبرى أن الأمر ينطلي على كثير من السذج والرِّعاع  
والغوغاء ، الذين يتبعون وينقادون لكل ناعق بالهوى والباطل والضلال ،

فهؤلاء المجرمون غوغاء من الأمصار ؛ كما وصفهم الزبير رضي الله عنه <sup>(١)</sup> .  
 • وهم نَزاع القبائل ؛ كما وصفتهم عائشة رضي الله عنها <sup>(٢)</sup> وحُثالة النَّاس ،  
 متفقون على الشر ؛ كما في ابن سعد في « الطبقات » <sup>(٣)</sup> .

• وهم رِعاع من غوغاء القبائل ؛ كما ذكر النووي في « شرح صحيح مسلم » <sup>(٤)</sup> .

• وهم خوارج مفسدون ظالمون باغون معتدون ؛ كما قال ابن تيمية في « منهاج السنة » <sup>(٥)</sup> .

وهم رؤوس الشر والجفاء ؛ كما يقول الذهبي في « دول الإسلام » .  
 وهم أراذل من أوباش القبائل ؛ كما وصفهم ابن العماد الحنبلي في « الشذرات » .

هؤلاء هم قتلة عثمان رضي الله عنه ليس من الصحابة أبدًا واحدٌ منهم!! كما  
 فَصَّلْتُ قبل ذلك .

وقد قُتل عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة بالإجماع ، والجمهور على أن ذلك  
 كان في يوم الجمعة لثمانِ عشرة خلت من ذي الحجة في السَّنة الخامسة

(١) « تاريخ الطبري » (١٣/٣) .

(٢) المصدر السابق (٣/١٤، ١٩) .

(٣) « الطبقات » (٧١/٣) .

(٤) (١٤٨/١٥) .

(٥) (٢٩٧/٦) .

بعد الثلاثين من الهجرة ، وهو ابن اثنين وثمانين سنة وأشهر على قول الجمهور .

وقام نفرٌ من الصحابة يوم قتله فغسلوه ، وكفّنوه ، وحملوه على باب ، ومن هؤلاء : حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وبنار بن مكرم الأسلمي ، وحبير بن مطعم ، والزبير بن العوام ، وعلي بن أبي طالب .

وصلّى عليه جبير بن مطعم ، وقيل : الزبير بن العوام ، وقيل : حكيم ابن حزام ، وقيل : مزوان بن الحكم ، وقيل : المسور بن مخرمة<sup>(١)</sup> .  
ورجحت رواية في مسند أحمد أن الذي صلّى عليه هو الزبير بن العوام<sup>(٢)</sup> .

وكان عثمان رضي الله عنه أوصى إليه ، ودفن يوم السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب بالبقيع ، وكان عثمان قد اشتراه فوسّع به البقيع<sup>(٣)</sup> .  
أتوقف عند هذا القدر لأواصل الحديث - إن شاء الله تعالى - في الفصل القادم عن هذه الفتنة الحالكة السّواد لأجلّي الحقّ من الباطل لنبرئ ساحة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في وقتٍ تطاول فيه الأقزام على القمم !

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٩) .

(٢) انظر «مسند أحمد» (١/ ٧٤) .

(٣) الإصابة (ترجمة عثمان ٥٤٥٢ / ٤) ط الجليل .

وإلا فرب الكعبة أنا أشعر بضالة وحقارة أن يتقدم مثلي ليدب  
عن أصحاب النبي ﷺ .

فأنا - والله - لا أرفع من قدرهم ؛ وإنما أرفع من قدري وقدركم  
بالذود عن حياضهم ﷺ .

لأنني أعلم علم اليقين قدر أصحاب سيد المرسلين ﷺ ، وأعلم  
علم اليقين قدر نفسي ، فأنا لا أساوي حبة رمل وطئتها نعل عثمان رضي الله عنه ،  
وأسأل الله - عز وجل - أن يجمعنا بهم في جنات النعيم ، وأن يتقبل  
منا ومنهم ومنكم جميعاً صالح الأعمال ؛ إنه ولي ذلك ومولاه .



# مبايعة علي رضي الله عنه



## ﴿ مبايعة علي ؑ ﴾

○ يقول القاضي ابن العربي - رحمه الله تعالى - في كتابه الماتع القيم « العواصم من القواصم » <sup>(١)</sup> : « فلما قضى الله من أمره ما قضى ومضى في قدره ما مضى ، علم أن الحق لا يترك الناس سُدى ؛ وأنَّ الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النَّظر فيه ، ولم يكن بعد الثلاثة كالرَّابع قدرًا وعلماً وتقى ودينًا ؛ فانعقدت له البيعة - أي : لعلي ؑ .

ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي ؑ لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه ، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار . ورأى عليٌ ؑ أن ذلك فرض عليه فانقاد إليه » ا . هـ .

○ قال الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى - في شأن البيعة لعليٌ : « لما قتل عثمان ؓ سعى النَّاس إلى عليٍّ ؑ وقالوا : لا بد للنَّاس من إمام ؟ فحضر طلحة بن عبيد الله ؓ والزُّبير بن العوام ؓ وسعد بن أبي وقاص ؓ والأعيان من المهاجرين والأنصار ؓ ، فبايعوا عليًا ؑ ، وكان أوَّل من بايعه : طلحة بن عبيد الله ؓ ، ثم تتابع النَّاسُ بعد ذلك » وقد بويع عليٌ ؑ يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي

(١) (١٤٦) ط دار الجليل .

الحجّة ، في سنة خمس وثلاثين وقيل لخمس بقين من ذي الحجّة <sup>(١)</sup> .  
تصور معي أن المدينة ظلت خمسة أيام - على الرَّاجح من أقوال  
أهل السّير - بدون إمام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه .

بل وتزداد الفجيرة حينما تعلم أن الغافقي قاتل عثمان هو الذي كان  
يقود أمر المسلمين ؛ بل ويتقدم للصّلاة في مسجد النبيّ الأمين صلى الله عليه وآله <sup>(٢)</sup> ،  
يا لها من فتنة ! .

وأستهلّ هذه الروايات في بيعة عليّ برواية واضحة ؛ لأنه قد قيل ما  
قيل ، وشُحنت كتبُ التّاريخ والسّير بالروايات الموضوعة ، التي لا  
يجوز بحال أن تنسب إلى أصحاب سيّد الرّجال صلى الله عليه وآله ! .

فأستهل هذه الرّوايات برواية مؤثرة جدّاً عن عليّ رضي الله عنه ، رواها  
الحاكم في «المستدرک» والحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن  
قيس بن عبّاد يقول : سمعت عليّاً رضي الله عنه يوم الجمل - وسأحدث عن  
فتنة الجمل بالتفصيل ، إن شاء الله تعالى - يقول <sup>(٣)</sup> : «اللّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ  
إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، اللّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَقَدْ طَاشَ

(١) انظر : «الطبقات» لابن سعد (٣/٣١) .

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/١٥٥) ط الفكر ، و«البداية والنهاية» (٧/٢١٤، ٢١٥) و«العواصم»  
لابن العربي (ص ١٤٧) تعليق محب الدين الخطيب .

(٣) أخرجه الحاكم (٣/١٠١) ، وابن سعد في «الطبقات» (٣/٣) ، وابن عساكر (٣٩/٤٥٠) .

عَقْلِي يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ ، وَأَنْكَرْتُ نَفْسِي « تدبر كلام علي عليه السلام .

يقول : « وَأَنْكَرْتُ نَفْسِي ، وَجَاؤُونِي لِلْبَيْعَةِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُبَايَعَ قَوْمًا قَتَلُوا رَجُلًا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
« أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ ؟ ! » <sup>(١)</sup> .

هؤلاء - ورب الكعبة - ما كانوا أبدًا طلاب مناصب أو كراسي .

○ يقول علي عليه السلام : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُبَايَعَ وَعُثْمَانُ قَتِيلُ الْأَرْضِ لَمْ يُدْفَنْ بَعْدَ ، فَانصرفوا لما قال لهم ذلك ؛ فلما دُفِنَ - أي : عثمان عليه السلام - رَجَعَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ الْبَيْعَةَ ؛ فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي مَشْفُوقٌ مِمَّا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَاءَتْ عَزِيمَةٌ ، فَبَايَعْتُ - أي عزم علي أهل بدر من المهاجرين والأنصار - كما سأبين الآن .

فلقد قالوا : يا أمير المؤمنين فكأنما صُدِعَ قَلْبِي « يعني : لما سمعت قولتهم : يا أمير المؤمنين كأن قلبي قد انصدع ! ثم قال علي : « اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لِعُثْمَانَ حَتَّى تَرْضَى » .

● وفي «مصنف ابن أبي شيبة» <sup>(٢)</sup> عن عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي قال : « رَأَيْتُ عَلِيًّا حِينَ ازْدَحَمُوا عَلَيْهِ حَتَّى أَدْمَوْا رَجُلَهُ ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠١) .

(٢) (٧/٤٤٣) ، وابن عساکر (٤٢/٥٣٥) .

إني قد كرهتهم وكرهوني فأرحني منهم ، وأرحهم مني » .

هؤلاء هم أئمة الورع ، فأنت أَمَامَ إِمَامٍ آخر من طراز عمر ، أَمَامَ إِمَامٍ من أئمة الزُّهد ، والورع ، والتُّقى ، والعلم ، والفقه ، والخطابة ، والبلاغة ، والبيان ، أَمَامَ عليٍّ عليه السلام .

يقول : فلما قالوا : يا أمير المؤمنين ، كاد قلبي أن ينصدع ، وانسكبت عيني بالعبرات - يعرف قدر هذه الكلمة ، ويعرف حجم الأمانة ، ويعرف خطورة الولاية ، ولم لا ؟ ألم يسمع عليٌّ عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في « صحيح مسلم » - أن أبا ذرٍّ رضي الله عنه ذهب يوماً يطلب الولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب النبيُّ صلى الله عليه وسلم على منكب أبي ذر ، وقال :

« يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » <sup>(١)</sup> .

ألم يسمع عليٌّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله - كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاريُّ ومسلم - من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال :

« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيَهُ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب : كراهة الإمارة لغير ضرورة (١٨٢٥) .

إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» <sup>(١)</sup>.

فالإمامة والولاية والحكم مسؤولية عظيمة كبيرة ، وأمانة ثقيلة ،  
أسأل الله - عز وجل - أن يعين كل راع على رعيته ، وأرجو ألا  
تنصرف الأذهان إلى الحاكِم فحسب ؛ بل أنت راعٍ وأنا راعٍ .

• يقول النبي ﷺ - كما في « الصحيحين » - من حديث ابن عمر :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ  
مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ  
رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْإِمَامُ  
رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » <sup>(٢)</sup>.

فكلُّ له مسؤولية سيُسأل عنها بحسب حجم هذه المسؤولية ، أسأل  
الله أن يستر علينا وعليكم في الدنيا والآخرة .

فها هو علي عليه السلام لما ذهب إليه الناس رفض الخلافة ، وأشار عليهم  
بطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام عليه السلام فقال النَّاسُ لِعَلِيٍّ : انطلق  
معنا إلى طلحة والزبير؟ فانطلق معهم علي عليه السلام إلى طلحة ، بدأ بطلحة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب : استحقاق الولي الغاش لرعيته النار (١٤٢) ،  
والبخاري في كتاب الأحكام ، باب : من استرعى رعية فلم ينصح (٧١٥١) واللفظ لمسلم .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣) ، ومسلم في  
كتاب الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل ، عقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية

وسلم عليه ، وقال عليٌّ ﷺ : يا أبا محمد ، إنَّ النَّاسَ قد اجتمعوا إليَّ في البيعة أي : طلبوا مني البيعة - أما أنا : فلا حاجة لي فيها ؛ فابسط يدك حتى أبايعك <sup>(١)</sup> . فقال طلحة - رضوان الله عليه : يا أبا الحسن ، أنت أولى بهذا الأمر وأحقُّ به مِنِّي ؛ لفضلك وقرابتك من رسول الله ﷺ وسابقتك في الإسلام .

وهل يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل ؟  
وقد حصل نفس الموقف تمامًا مع الزُّبير ، لما رفض طلحة انطلق طلحة مع عليٍّ مع النَّاس إلى الزُّبير بن العوَّام ؛ فقال له عليٌّ مثلما قال لطلحة ؛ فقال له الزُّبير مثلما قال طلحة - رضوان الله عليهم جميعًا .  
فانطلق عليٌّ ﷺ مع طلحة والزُّبير ﷺ إلى المسجد واجتمع النَّاس ، وبايعوا عليًّا ﷺ .

○ تدبر معي هذه الرواية التي رواها الإمام أحمد في « فضائل الصحابة » <sup>(٢)</sup> بسند صحيح عن محمد بن الحنفية وهو ابن عليٍّ ﷺ قال : كنتُ مع عليٍّ ﷺ وعثمان ﷺ محصور - أي : في الدَّار - فأتى عليًّا رجلٌ ، فقال : إن أمير المؤمنين مقتول ! ثم جاء رجل آخر فقال : إن أمير المؤمنين مقتول في هذه الساعة ! قال محمد بن الحنفية : فأمسكت

(١) أخرجه الطبري في « تاريخه » (٧٠٠ / ٢) .

(٢) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (٩٦٩) ، والخلال في « السنة » (٦٢٠-٦٢٢) .

بوسطه تخوفاً عليه فقال : خلّ لا أمّ لك .

فأتى عليّ الدّار، فوجد عثمان عليه السلام قد قُتل ، فعاد إلى داره ، وأغلق عليه بابه ، فأتاه النّاس فضربوا عليه الباب ، فدخلوا عليه فقالوا : إنّ هذا الرجل قد قُتل ؟— وتدبر هذه الصيغة لا تكون أبداً إلا على السنة المنافقين المجرمين ، قتلة عثمان : إنّ هذا الرجل قد قتل ، ولا بد للنّاس من خليفة ، ولا نعلم أحداً أحقّ بها منك ؟ قال : لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير ؛ فقالوا : لا ، والله ما نعلم أحداً أحقّ بها منك ؛ قال : فإن أبيت عليّ ؛ فإنّ بيعتي لا تكون سرّاً أبداً ، ولكن أخرج إلى المسجد ؛ فمن شاء أن يبايعني يبايعني . قال : فخرج عليّ عليه السلام إلى المسجد فبايعه النّاس .

• روى الإمام أحمد أيضاً بسندٍ صحيح عن عوف عليه السلام قال : كنت عند الحسن البصري - رحمه الله - وكان الحسن في المدينة عند مقتل عثمان . فذكروا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال ابن جَوْشَن العُطَفاني : يا أبا سعيد ، إنّما أُرزي بأبي موسى أتباعه عليّاً قال : فغضب الحسن البصري حتى تبيّن الغضبُ في وجهه ، وقال : فمن يتبع ؟ فمن يتبع ؟ فمن يتبع ؟ وأخذ يكرّرها ؛ ثم قال : قتل أمير المؤمنين عثمان مظلوماً ، فعمد النّاس إلى خيرهم فبايعوه - أي :

هذه الروايات تبين وتوضح لنا بجلاء أن بيعة عليؑ كانت في العلن ولم تكن سرًا ، ولم تكن في الخفاء ، وإنما كانت في المسجد .

■ وروى أيضًا ابن عساكر<sup>(٢)</sup> عن الحسن البصري رضى الله عنه قال : « لما قدم عليؑ البصرة في إثر طلحة وأصحابه قام عبد الله بن الكواء وقيس بن عباد فقالا له : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن مسيرك هذا - أي : إلى البصرة - أوصية أوصاك بها رسول الله ﷺ ؟ أو عهد عهده إليك ؟ أم رأي رأيته حين تفرقت الأمة ؟ يعني : هل خرجت إلى البصرة بوصية لرسول الله ﷺ ؟ أو بعهد لرسول الله ﷺ ؟ أم رأيك أنت حينما رأيت الأمة قد تفرقت واختلفت كلمتها بعد مقتل عثمان ؟ قال : اللهم لا ، فلو عهد إلي رسول الله ﷺ شيئًا لقمْتُ به » .

■ وفي رواية قال : « والله ما أكون أول كاذب على رسول الله ﷺ يعني : سأقول كلامًا صريحًا واضحًا صادقًا - قال : والله ما مات رسول الله ﷺ موت فجأة ولا قتل قتلاً ، ولقد مكث النبي ﷺ في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذن بالصلاة ، فيأمر النبي ﷺ أبا بكر

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٥٧٦/٢) برقم (٩٧٦) ، والخلال في السنة (٦٥١) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/٤٤٠-٤٤٢) ، وانظر : «سير أعلام النبلاء»

(«تاريخ الخلفاء» ٢٤١ ، ٢٤٢) .

فيصلي بالناس ، وهو يرى مكاني» .

○ هذا كلامٌ في غاية الدقة ؛ وحينما يقوله علي عليه السلام ، فله مغازي كثيرة ، ومعاني جليلة . فهذا من أبلغ الردود على الروافض الذين يفضلون ويكرّمون علياً على الصديق الأكبر الأمين أبي بكر عليه السلام .

يقول علي عليه السلام : النبي صلى الله عليه وآله يأمر في مرضه أبا بكر أن يصلي بالناس ، وهو يرى مكاني - يعني : لو كان يرى أني أهل لهذه المكانة لقدّمني على أبي بكر عليه السلام .

● يقول علي المنصف - رضوان الله عليه : «ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر - يعني عائشة رضي الله عنها فقالت : إن أبا بكر رجل رقيق لا يستطيع أن يقوم مقامك ، فلو أمرت عمر يصلي بالناس ؛ فأبى وغضب وقال :

«أَنْتَن صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ ؟» <sup>(١)</sup> أمرٌ

صريح .

● يقول علي : «فَلَمَّا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّنَا نَظَرْنَا فِي أُمُورِنَا فَاخْتَرْنَا لِدُنْيَانَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب : أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (١٦٧٩) ، والبخاري في كتاب الأنبياء ، باب : قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ﴾ (٣٣٨٤) ، والترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - كليهما (٣٦٧٢) ، ومالك في «الموطأ» (١/١٧٠، ١٧١/٨٣) ، وأحمد في «مسنده» (٦/٩٦، ١٠٩) ، والدارمي في «سننه» (١/٢٨) .

من اختاره النبي ﷺ لديننا، فكانت الصلاة أصل الإسلام وقوام الدين، وهو أمين الدين» .

كلامٌ بديع ؛ فلقد اختار النبي ﷺ أبا بكر للدين وأعظم أصل في هذا الدين بعد التوحيد ، هو الصلاة ؛ فهل يختار النبي ﷺ أبا بكر للدين ، ولا تختار الأمة أبا بكر للدنيا !!؟

● يقول : «فبايعنا أبا بكر ﷺ فكان لذلك أهلاً ، لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأديت لأبي بكر حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جنوده ، وكنت أخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني » وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما قبض ﷺ ولأها عمر ، فأخذها بسنة صاحبه ، وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر ﷺ لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأديت إلى عمر حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت أخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما قبض عمر تذكّرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي ، وأنا أظن ألا يعدلوا بي ولكن خشي أن لا يعمل بعده دم إلا لحقه في قبره ، فأخرج نفسه وولده ، ولو كانت محابةً منه ، لآثر بها ولده » فبريء منها إلى رهط من قريش ستة ؛ أنا أحدهم ، فلما اجتمع الرّهط ، فذكرت في نفسي قرابتي وسالفتي ، وأنا

أظنُّ ألاَّ يعدلوا بي ، فأخذ عبد الرحمن بن عوف موثقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولَّاه الله أمرنا .

○ انظر إلى عبقرية جديدة من عبقرية عمر ، لما نام على فراش الموت اختار ستة من الصَّحابة : طلحة والزُّبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعليُّا وعثمان ؛ وقال : الخلافة في هؤلاء . فتنازل عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزُّبير ، وظلت الخلافة بين عثمان وعليٍّ ، فأجمعوا أمرهم على أن تكون الخلافة لعثمان ؛ فجمع عبد الرحمن بن عوف الصَّحابة ، وطلب منهم العهد أن يبايعوا من اختير للخلافة ، فبايع الكلُّ بما فيهم علي ؛ فقرأ عبد الرحمن بن عوف عليه السلام العهد والبيعة التي أخذها هؤلاء القادة الأطهار الذين جعل عمر الخلافة فيهم ، فاختاروا عثمان بن عفَّان عليه السلام ؛ فهل شاغب عليٌّ وأنكر ؟ ! لا ؛ بل قال - كما سبق - في تلك العبارة الماضية الجميلة : « فلما قبض - أي عمر - تذكَّرتُ في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي ، وأنا أظنُّ ألاَّ يعدلوا بي . يقول : فأخذ عبد الرحمن موثقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولَّاه الله أمرنا ، ثُمَّ أخذ عبد الرحمن بيد عثمان ، فضرب بيده على يده فنظرتُ في أمري ، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي » .

سبحان الله ! ألم أقل لكم : إن هؤلاء وربَّ الكعبة ما كانوا طلابَ دنيا ؟ إنها أمانة ، ومع ذلك حينما رأى أن الصَّحابة قد قدَّموا عثمان عليه السلام

يقول : فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي !

أي : سبقت طاعته لعثمان رضي الله عنه ما كان يرجوه لنفسه من أن يبايعه الناس بمن فيهم أصحاب النبي ﷺ .

• يقول : « وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري ، فبايعنا عثمان ، فأديتُ إليه حقّه ، وعرفتُ له طاعته ، وغزوتُ معه في جيوشه ، وكُنْتُ آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما أصيب نظرت في أمري ، فإذا الخليفتان اللذان أخذاهما بعهد رسول الله ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا ، وهذا الذي أُخِذَ له الميثاقُ قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين ، وأهل هذين المصرين - يعني : الكوفة والبصرة » .

■ وفي رواية - قال : « ثُمَّ إن عثمان قتل ، فجاءني الناس فبايعوني طائعين غير مُكرهين » .

فهذه رواية واضحة .

ويمكن القول بأنَّ عليّاً رضي الله عنه كان - بلا نزاع - أقوى المرشّحين للإمامة بعد قتل عمر .

فلقد ذُكر - فيما سبق - أنه كان من بين السّنة الذين اختارهم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه على أنّه لم يكن أحد من أصحاب النبيّ - صلى الله عليه -

وآله وسلم - الموجودين بعد عثمان أحق بالخلافة من عليّ بلا نزاع بين أئمة أهل السنة والجماعة ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره <sup>(١)</sup> .

فهو من السابقين الأولين المهاجرين ، وهو ابن عم النبي الأمين ﷺ ، وهو صهره .. إلى غير ذلك من الفضائل التي أودّ أن أقف معها وقفة قبل أن أخوض غمار هذه الفتنة ؛ لننتقل من قاعدة صلبة قوية متينة ؛ فمن هو عليّ ؟!

فلا ينبغي أن ننطلق في هذا البحر الهائج المائج إلا ونحن على معرفة تامة بمكانة عليّ عليه السلام .

○ وقد قلتُ : إنّ الحديث عن أصحاب النبي ﷺ يتطلب صفاء في العقيدة ، وإخلاصاً في النية ، وأمانة في النقل ، ودقة في الفهم ، ونظرة فاحصة ومدققة لأراجيف المغرضين والكذابين والوضّاعين .

فتعالوا معي بإيجاز شديد جداً لتتعرف على قدرِ عليّ عليه السلام ؛ حتى ننطلق من هذه القاعدة ؛ فنقول :

● عليّ عليه السلام هو الخطيب المفوه ، الذي تهتز الدنيا لكلماته ، وهي تخرج من شفثيه كأنها نور يبدد الظلماء .

● عليّ عليه السلام الفقيه العالم الذي يجري الحقُّ على لسانه وقلبه .

(١) « مجموع الفتاوى » (٣/١٥٣) (٤/٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٨، ٤٧٩) .

● عليّ ﷺ البطل الشريف ، والفدائي العظيم الذي علّم الدنيا شرف البطولة وحقيقة الفداء !!

● عليّ ﷺ الذي أحبّ الله ورسوله ، وأحبه الله ورسوله .

■ عليّ ﷺ تلميذ بيت النبوة الذي تربى في حجر المصطفى ﷺ وكفى !!

● عليّ الذي اضطر يوماً ، ويا لها من لحظات قاسية على النفس حينما يضطر الشريف صاحب الشّهامة والمروءة والرّجولة أن يعدد مناقبه وفضائله ؛ إنّها لحظات قاسية على الشّرفاء .

○ أقول : فلقد اضطر يوماً أن يعدد مناقبه ، وأن يبين للناس فضائله ؛ فقال <sup>(١)</sup> :

محمّد النبيّ أخي وصهري      وحمزة سيّد الشهداء عمي  
وجعفر الذي يُسمي ويُضحّي      يطيرُ مع الملائكة ابنُ أُمّي  
وبنتُ محمدٍ سكّني وعرسي      منوطٌ لحمها بدمي ولحمي  
وسبّطاً أحمدٍ ولداي منها      فأيكُم له سهمٌ كسهمي

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٥٢٠ ، ٥٢١) ، وانظر: «الوافي في الوفيات» لابن خلكان (٣٤٦٠) ، و«الصواعق المحرقة في أهل الرّفص والزندقة» (٣٨٦/٢) .

سبقتكم إلى الإسلام طرا<sup>(١)</sup> صغيراً<sup>(٢)</sup> ما بلغت أوان حلمي  
قال البيهقي<sup>(٣)</sup>: «إن هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان في عليّ  
حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام» قلتُ: ولكن للأمانة العلمية - مع  
تواتر هذه الأبيات عنه ﷺ؛ إلا أن الإسناد إليه فيه ضعف كما قال  
الحافظ ابن كثير - رحمه الله<sup>(٤)</sup>.

مَنْ كَعَلِيٍّ ﷺ؟!.

● عليّ - رضوان الله عليه - ذلكم الشهيد المظلوم، أسد الله الغالب،  
كان أوّل من أسلم بلا نزاع.

ولا تعارض بين هذا الحديث الذي رواه الترمذي وقال: «حديث  
حسن صحيح» من حديث زيد بن أرقم قال: «عليّ أوّل مَنْ أَسْلَمَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) في رواية: «قدما».

(٢) في رواية: «غلاما».

(٣) كما في «الوافي» وقد سبق عزوه.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/٨): «وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان علي ومعاوية».

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب (٣٧٣٥) وأحمد (٣٦٨/٤) وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترمذي» (٢١٥/٣).

○ وله شواهد؛ كما في «المعجم الكبير» للطبراني (٦٤٨) عن مالك بن الحويرث وعند النسائي في «الكبرى» (٨٤٠٩)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٩٧)، و«السنة» (ظلال الجنة ١٣٥١) عن ابن عباس.

وبين الحديث الذي يثبت أن أبا بكر هو أوّل من أسلم<sup>(١)</sup>.  
فأبو بكر هو أوّل من أسلم من الرّجال ، وعليّ هو أوّل من أسلم من الصّبيان<sup>(٢)</sup>.

○ أقول : في اللحظات الأولى للرّسالة والنّبوة كان عليّ ﷺ في بيت المصطفى ﷺ يسمع القرآن من فم رسول الله ﷺ ؛ فينطلق عليّ ؛ ليردد شهادة الحقّ ، ومقولة الصّدق ، وهو في العاشرة من عمره .  
ومنذ هذه اللحظات يُسجّل اسمُ عليّ ﷺ في سجل الأشراف الأطهار - إلى أن يرث الدّنيا ومَن عليها العزيز الغفّار - بأن عليّ هو أوّل من أسلم من الصبيان والغلمان .

ولقد شهد النبيّ ﷺ لعليّ ﷺ بالجنّة ؛ كما في «المسند» و «سنن أبي داود» وغيرهما<sup>(٣)</sup> من حديث سعيد بن زيد ﷺ قال : قال رسول الله

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر (٣٦٦٧) وقال : «هذا حديث غريب» ، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٦٣) عن أبي سعيد الخدري ، وانظر : «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٢٢٦/١) ، وصحح رواية أبي سعيد الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٠١/٣) و«صحيح السيرة» (١٢٠).

(٢) وهو قول جمع من أهل العلم ؛ ومنهم إسحاق بن راهويه ؛ كما نقل ذلك عنه القرطبي في «تفسيره» (سورة التوبة : ١٠٠) ، والبغوي في «معالم التنزيل» (٨٧/١) .

وهو قول طائفة من أهل العلم بالسير والخبر ، كما قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢٩٤/١) والجمهور على ذلك . انظر : «تحفة الأحوذى» (١٠٤/١٠) ، و«فتح المغيث» (١٣٧/٣) ، و«الفتاوى» لابن تيمية (٤٦٢/٤) ، و«البداية والنهاية» (٢٩/٣) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٨٨/١) ، وأبو داود كتاب السنة ، باب في الخلفاء (٤٦٤٩) والترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب سعيد بن زيد (٣٧٥٧) وقال : «حديث حسن» =

عَلَيْهِ السَّلَامُ : « عَشْرَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَنَّةِ : أَنَا فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ... الْحَدِيثُ » .

• وفي «صحيح مسلم» <sup>(١)</sup> من حديث علي عليه السلام قال : « وَالَّذِي خَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ !! إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ : « أَنْ لَا يُجَبِّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ » .

• وفي «صحيح البخاري» <sup>(٢)</sup> عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام - : « أَنْتَ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْكَ » .

• وفي «المسند» و«سنن النسائي» <sup>(٣)</sup> وغيرهما من حديث علي عليه السلام أن النبي ﷺ قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ - أَي : على ابن أبي طالب - اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

و أريد أن أوجز القول في سيرته ﷺ ؛ فلو توقفت مع كل ما ثبت عنه ؛ لاحتجنا إلى كلام طويل .

= وابن ماجه في المقدمة ، باب فضائل العشرة ﷺ (١٣٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠١٠) .

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي عليه السلام من الإيمان (٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب عمرة القضاء (٤٢٥١) .

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٠ / ٤) ، وابن حبان كما في موارد الظمان (٢٢٠٥) ، والنسائي في الخصائص (٩٠) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٦٨) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٧٥٠) = وصحيح الجامع (٦٥٢٣ ، ٦٥٢٤) .

○ وفي غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة ، تجلّت بطولة أسد الله الغالب ؛ بل إن شئت فقل : ظهرت مكانة عليّ عند الربّ العليّ وعند الحبيب النبيّ ﷺ .

فلما حاصر النبيّ ﷺ خيبر ، وطال الحصار — والحديث في « الصحيحين » قال النبيّ — عليه الصلاة والسلام : « لأُعْطَيْنَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ » هذه شهادة يفتح الله على يديه ؛ أي : حصون خيبر « يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » <sup>(١)</sup> فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها . يدوكون أي : يتناقشون ويخوضون ويتباحثون في هذا الرجل العظيم ■ الذي يحب الله ورسوله ■ ويحبه الله ورسوله ؟

● وفي رواية — وهي من أجمل وأرق الروايات : يقول عمر بن الخطاب — كما في « صحيح مسلم » <sup>(٢)</sup> : « وَاللَّهِ مَا أَحَبَّتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ ، فَتَسَاوَرْتُهَا — أي : فتطلعت لها — رَجَاءً أَنْ أُدْعَى لَهَا » . لما سمعه من النبيّ ﷺ : « يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : فضل من أسلم على يديه رجل (٣٠٠٩) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٢٤٠٥) عن أبي هريرة .

فعمرو رضي الله عنه المتجرد ، ما تطلّع للإمارة إلّا في هذا اليوم ؛ لينال هذه المنقبة العظيمة ، وهذه الشهادة الجليلة .

■ يقول سهل بن سعد - رضوان الله عليه - راوي الحديث في « الصحيحين » « فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ . كلهم يرجون أن يعطاها » أي : الراية . ونظّمت الصُّفوف ، ووقف الكلُّ يتطلّع إلى النبي ﷺ ، الكلُّ يريد أن يأخذ الراية ، ويتنظر نداء النبي لهذا الرجل الشريف الذي سيُمنح الرّاية ، وشقّ السكون والصمت صوتُ رسول الله ﷺ ، وهو يقول : « أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ » ولم يكن عليٌّ موجودًا في هذا اليوم ؛ سبحان الله !

فقالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ - تخلف اليوم لمرض أصابه في عينيه - ؛ فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم : « أَرْسَلُوا إِلَيْهِ » فأتى به ، فَبَصَقَ النبي ﷺ في عينيه ، ودعا له فَبَرَأَ .

حتى كأن لم يكن به وجع - ولم لا ؟ أليس الراقي هو المصطفى ﷺ ؟  
ثم أعطاه الراية ؛ وقال - النبي ﷺ له - كما في رواية مسلم من حديث أبي هريرة - : « امشِ ، وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ » فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ فَصَرَخَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ ؟ فقال النبي - عليه الصلاة والسلام :

« قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » <sup>(١)</sup>.

○ وفي لفظٍ في «الصحيحين» : « فَوَاللَّهِ ! لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مُخْرِ النَّعَمِ » <sup>(٢)</sup>.

وسرعان ما علا هتاف النصر بصوت أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب الذي رده النبي ﷺ في أوّل يوم عند حصون خيبر : « اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ » <sup>(٣)</sup>.

أسأل الله أن يقر أعيننا بهذا النّشيد الحلو مرّة أخرى ، حتى نردد ما رده النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ، إنّه ولي ذلك ومولاه .

وهكذا فتح الله - عزّ وجلّ - على يد عليّ بن أبي طالب ﷺ لينال هاتين المنقبتين العظيمتين :

■ أما الأولى : هي فتح الله على يديه حصون خيبر .

● وأما الثانية : شهادة النبي ﷺ له بأنه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . باب : من فضائل عليّ بن أبي طالب ﷺ (٢٤٠٥) .  
 (٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة (٢٩٤٢) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٦) .  
 (٣) أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة . باب ما يُذكر في الفخذ (٣٧١) . ومسلم . كتاب الجهاد . باب غزوة خيبر (١٣٦٥) عن أنس .

○ وفي السنة التاسعة من الهجرة خرج النبي صلى الله عليه وآله لغزوة تبوك ، واستعمل على المدينة : محمد بن مسلمة رضي الله عنه ؛ ليتولى أمرها وشأنها <sup>(١)</sup> ، وخلف رسول الله صلى الله عليه وآله علياً رضي الله عنه على أهله ، وهذه أيضاً رسالة ومنقبة أخرى أن يترك النبي صلى الله عليه وآله علياً رضي الله عنه على أهله لحمايتهم وللزود عنهم ؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله قد خرج إلى سفر طويل بعيد ؛ فمع مَنْ يترك أهله ؟ يختار النبي صلى الله عليه وآله علياً ، فيغضب عليٌّ ويبكي وينطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ كما في « الصحيحين » <sup>(٢)</sup> من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ويقول : أَتُخَلِّفُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ؛ فيقول النبي صلى الله عليه وآله لعليٍّ : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي ! » .

أي طراز من البشر كان عليٌّ ؛ لينال هذه المنقبة العظيمة هي الأخرى ؟

○ وبالجملة ؛ فحياة عليٍّ - رضوان الله عليه - تتفجر عظمةً وجلالاً ؛ لكنها أيضاً في الوقت ذاته تموج بالأسى والهول مؤجاً ، لاسيما إذا علمنا

(١) انظر: « السيرة » لابن هشام (٣٥١/٤) ، و« تاريخ ابن عساکر » (٣١/٢) ، و« طبقات ابن

سعد » (١٦٥/٢) ، و« زاد المعاد » (٤٦٢/٣) ، و« البداية والنهاية » (٧١/٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة تبوك « وهي غزوة العسرة (٤٤١٦) ،

ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٤) .

أن طائفة من الناس قد غلت فيه فجعلته إلهًا ، وأن طائفة أخرى قد جفت فيه فكفرته !

فطائفة الخوارج - كما سأين - كُفرت عليًا ﷺ ، وطائفة من الرّوافض قد رفعت عليًا إلى مرتبة الألوهية والعبودية !! ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

فهي حياة - بلا نزاع - حافلة بالبطولات والآلام معًا ، حافلة بالعظمة والمأساة ، حافلة بالبأساء والضرّاء ، حافلة بالنّصر والهزيمة ، حافلة بالرّخاء والشّدة ، حافلة بالبسمة والدمعة ، حافلة بالفرح والحزن .

ولا نزاع أبدًا في أن عليًا - رضوان الله عليه - كان أحقّ الناس بالخلافة بعد موت عثمان ﷺ .

○ وأقول : ليست سابقة عليّ ، والقراية من رسول الله ﷺ والمصاهرة هي المزايا الأولى والوحيدة التي تؤهل عليًا ﷺ لمنصب الخلافة ؛ لا ! لكنه كان - بالإضافة إلى كلّ هذا - له من القدرة والكفاءة والذكاء والعلم والشّجاعة والإقدام والمروءة والعقلية ، وكان له من حزم اشتهر به بين جميع أصحاب النبيّ ، وكان له من صلابة في الحقّ ؛ وكان له من بعد نظر في تصريف الأمور ؛ حتى كان عمر بن الخطاب

يستشير علياً في كل شيء .

○ أقول : لهذا كله كان عليٌّ - رضوان الله عليه - أجدر وأولى الناس بالخلافة بعد قتل عثمان عليه السلام .

○○ وأُشْرِعَ بإذن الله تعالى في الحديث عن الفتنة الخطيرة التي انتشرت انتشار النار في الهشيم ، منذ اللحظات الأولى التي بويع فيها علي عليه السلام ، حتى وصل إلى ما وصل إليه في النهاية ؛ أقف مع هذه الفتنة بتؤدة وصبر ودقة ، لأُخْرِجَ الحَقَّ من بين ركام الباطل بإذن الله تعالى !!!





# موقعة الجمل



## موقعة الجمل

وأكرّر وأؤكد إنّه يجب علينا - كما قلت قبل ذلك - أن نعلم أن التاريخ الإسلامي لم يُبدأ تدوينه إلا بعد زوال دولة بني أميّة، وقام على تدوين التاريخ الإسلامي في هذا الوقت الحرج، أو بهذه الحقبة من حقب التاريخ ثلاث طوائف <sup>(١)</sup>:

- الطائفة الأولى: هي طائفة المتفعين ممن يتكسبون بأقلامهم، وهذه طائفة لا يخلو منها زمان ولا مكان، ولو كان ذلك على حساب الدين!!
- وهذه الطائفة أرادت أن تتقرب بكتابة التاريخ لأمراء بني العبّاس على حساب حياة وتاريخ بني أميّة؛ فشوهت تاريخ بني أميّة كلّهُ.
- الطائفة الثانية: غالت في بعض الصّحابة غلوّاً شديداً؛ فمنهم من رفع عليّاً عليه السلام إلى مرتبة الألوهية.

وطائفة أخرى: فرطت تفريطاً شديداً في حق بعض الصّحابة؛ فكفّرت بعضهم، وعلى رأس هؤلاء الفضلاء أبو بكر وعمر، ورفضوا كلّ الروايات الصحيحة التي وصلت عن طريق الصّحابة،

(١) أكرر هذا التّأصيل عن قصد ليُنقش في القلوب والعقول لأهميته فهو بمثابة الأساس والقواعد للبناء.

والحقبة بالكسر: السّنة والجمع حَقْبٌ وحُقُوبٌ. لسان العرب (٢/٥٢٣) باب الحاء.

باستثناء آل البيت - ﷺ جميعًا .

وبصفة خاصة : كل الروايات النبوية التي وردت من طريق عائشة  
ﷺ ومن طريق أبي هريرة ، ومن طريق عمر ، ومن طريق ابن عمر ،  
ﷺ أجمعين .

■ أما الطائفة الثالثة : هي طائفة أهل الحق من أئمة المسلمين ؛ كابن  
جرير الطبري ؛ والحافظ ابن عساكر ، والحافظ ابن كثير ، وغيرهم ،  
ولكن هؤلاء جمعوا التاريخ في فترة سياسية وظروف حرجية ؛ فما  
كان منهم إلا أن جمعوا أخبار الإخباريين ، وروايات الرواة مع إثبات  
أسماء رجال السند لكل رواية ، لماذا ؟

ليكون الباحث بعد ذلك على بينة وبصيرة إذا راجع سلسلة السند ،  
فيقف بعد ذلك على صحة الرواية من عدمها .

○ لكن أقول لكم بأمانة : لقد نزل هذا الميدان اللجب من لا يحسن  
النزال . ونزل إلى هذا البحر الهائج المائج من لا يحسن السباحة ،  
فنقلوا إلينا بعض هذه الروايات ، من غير وقوفٍ على صحة الرواية  
من عدمها ، وجعلوا هذه الروايات المكذوبة الموضوعه أصلاً تاريخاً  
لأحرج وأحلك حقبة من حقب التاريخ .

وهنا وقع هذا الخلط الشديد وزلّ من زل ، وقعوا في النيل من

أشرف وأطهر الخلق بعد الأنبياء ؛ في صحابة النبي ﷺ

• وقلت <sup>(١)</sup> : إنه لا ينبغي البتة لرجل أن يتكلم في أصحاب النبي

ﷺ إلا بضوابط وبشروط .

لأن الحديث عن الصَّحْب الكرام الأطهار ﷺ يتطلب صحةً في العقيدة . فمحالٌ لرجلٍ زائغ القلب ، مشوش العقيدة ، مشوش الفكر ، مريض النفس أن يتكلم عن أصحاب النبي ﷺ بما يليق بهم ، وبعد التهم وبمكانتهم عند الله وعند رسوله ﷺ .

فالحديث عن الصحابة يتطلب صحةً في العقيدة ، وأمانةً في النقل ، ودقةً في الفهم ، وسلامةً في القصد والنية ، ونظرةً فاحصةً مدققةً لأراجيف المغرضين والكذابين والوضّاعين .

هذا التأصيل في غاية الأهمية لابد وحتماً قبل أن نطلق لنتكلم عن صحابي جليل من هؤلاء الصَّحْب الكرام أن نكون قد وقفنا على هذا الأساس الصلب ، وعلى هذه الأرض النيرة المتينة ، حتى لا نزل في النّيل من أشرف وأطهر عرض على وجه الأرض ، بعد الأنبياء والمرسلين - رضي الله عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين .

(١) أكرر هذا القول أيضاً لأهمية هذه الأصول ، وحتمية توفرها . قبل الخوض في سير الأطهار من أصحاب النبي المختار ﷺ .

وصلت إلينا هذه التركة الضخمة ، فشوّهت صور الأطهار الأبرار ؛ لعدم التحقق والتثبت ، والنبّي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول كما في « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة :

« لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَإِنَّ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » <sup>(١)</sup>.

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري <sup>(٢)</sup>.

• وفي « سنن الترمذي » وابن ماجه بسندٍ ضعيفٍ ، لكن المتن له شواهد في الصحيح . من حديث عبد الله بن مغفل أن النبّي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال :

« اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ ، فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغِظِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ » <sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : تحريم سب الصحابة ﷺ (٢٥٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ، باب : قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلاً »

(٣٦٧٣) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : تحريم سب الصحابة ﷺ (٢٥٤١) .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : (٥٩) (٣٨٦٢) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب :

فضل أهل بدر (١٦١) ، وضعفه الألباني في « السلسلة الضعيفة » (٢٩٠١) ، (وظلال الجنة)

(٩٩٢) ، و« ضعيف الجامع » (١١٦٠) .

وقال الترمذي « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .  
فتدبروا معي ؛ لنقف على أخرج حَقْبَةٍ من حقب التاريخ التي  
بدأت بالفتنة الكبيرة ، ألا وهي : حصار وقتل عثمان رضي الله عنه .

○ لقد بايع النَّاسُ عليًّا رضي الله عنه - كما ذكرت في الفصل السابق - مع بداية  
العام السادس والثلاثين من الهجرة ، وكان من أول من بايع : طلحة  
والزُّبير رضي الله عنهما . وبعد البيعة بأيام قليلة بدأ الخلافُ الحادُّ !

ذهب طلحةُ والزُّبير رضي الله عنهما إلى عليٍّ رضي الله عنه ، وطلبا منه على وجه السرعة أن  
يقيم الحدَّ على قتلةِ عثمان ، فاعتذر عليٌّ ، وهنا يبدأ الخلاف . أمرٌ عادي ،  
كُلُّ له وجهة نظره ، وكلُّ له اجتهاده . لكنَّ الذي ندين به لله أن الحقَّ  
كان مع عليٍّ رضي الله عنه بنصِّ كلامِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ كما سأتبيّن - إن شاء الله تعالى .

فاعتذر عليٌّ رضي الله عنه بكلام جميل قال <sup>(١)</sup> : « إن قتلةَ عثمان لهم مددٌ  
وأعوان » . وإن أعظم الأدلة على ذلك حصارهم لبيت الخليفة  
ووصولهم إليه ؛ فهم كثرة .

وما رفض عثمان رضي الله عنه أن يقاتل هؤلاء إلا لأنَّهم كثرة ، وخاف أن  
تسفك الدِّماء في مدينة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقال :  
« والله ما أحبُّ أن ألقى الله وفي عنقي قطرة دم لا مرئ مسلم » .

(١) انظر هذه الأحداث في : «تاريخ الطبري» ، و«الكامل» لابن الأثير ، و«البداية والنهاية»  
أحداث سنة ٣٦ هـ .

وأين القوة التي تستطيع أن تنفذ ذلك الآن في الوقت الذي لازالت فيه مدينة النبي ﷺ ذاتها مستكينة تحت وطأة إرهاب هؤلاء المجرمين الموتورين .

فلقد ظلت المدينة بعد قتل عثمان ما يقرب من أسبوع تحت قيادة الغافقي قاتل عثمان ؛ بل وكان يتقدم ليصلي بالمسلمين عنوة في مسجد النبي ﷺ ؛ بل وتحلف علي ﷺ حتى عن صلاة الجماعة ، وأغلق عليه باب داره .

قال علي ﷺ : هؤلاء تعصّب لهم كثير من الناس ، وبلغ عددهم ما يقرب من عشرة آلاف .

قد يتحولون إلى جيوش كاسرة متوحشة ، تدمر الأخضر واليابس إن جاء علي ﷺ بفرقة منهم وأقام عليهم الحدّ .

فلقد رأى علي ﷺ بفهمه وفقهه واجتهاده ، ونظرته للأمور ، ومراعاته للمصالح والمفاسد ، واختياره لأخفّ الضررين ، رأى أن يؤجل إقامة الحدّ على قتلة عثمان ﷺ .

وانتبهوا ؛ فقد رفض طلحة والزبير هذا الاجتهاد ، وثارا ﷺ وثار معها عدد كبير من الصحابة ، وعلى رأسهم : معاوية ﷺ .

وكانت نائلة زوج عثمان ﷺ قد أرسلت قميص عثمان الذي قُتل فيه .

ووضعت فيه أصابعها التي قُطعت ، وهي تدافع عنه ، إلى معاوية رضي الله عنه ،  
فمن المعلوم أن أقوى قوة حينذاك كانت في الشام لمعاوية رضي الله عنه ، وكان  
عاملاً لعثمان على بلاد الشام .

فما أن وصل القميصُ إلى معاوية حتى بكى بكاءً شديداً ، وخرج  
بقميص عثمان إلى المسجد الدمشقي ، وعلّق معاوية قميصَ عثمان على  
المنبر ، وعلّق في القميص أصابع نائلة !

فما أن رأى المسلمون هذا المشهد إلا وانخلعت قلوبهم ، وبكوا بكاءً  
شديداً ، وألزموا معاوية في هذه اللحظات الشديدة التي تأججت فيها  
العاطفةُ بالثأر لعثمان رضي الله عنه والأخذ على يد من قتله ، وإقامة الحدّ عليهم .

وهنا رفض معاوية رضي الله عنه أن يعطي البيعةَ لعليّ رضي الله عنه حتى يقيم الحدَّ على  
قتلة عثمان رضي الله عنه أو يسلمهم إليه !!

وأرجو أن تركزوا ؛ فإن معاوية ما طلب الخلافة قط ، وما طلب البيعةَ  
لنفسه ، وإنما أصر البيعةَ لعليّ ، حتى يقيمَ عليّ الحدَّ على قتلة عثمان ، أو  
يسلمهم إليه - رضي الله عنهم جميعاً .

وهذا أيضاً خلافاً على محور ثان ، بعد خلاف طلحة والزبير مع علي رضي الله عنه .  
ولما اعتذر عليّ هذا الاعتذار قرر طلحة والزبير الخروج من المدينة .  
إلى أين ؟ إلى مكة ، ولماذا ؟ لأنّ في مكة في هذا الوقت عائشة رضي الله عنها .

وظن طلحة والزبير أن خروج عائشة رضي الله عنها معها لحث الناس على المطالبة بدم عثمان ، سيجعل الناس يلتفون حول عائشة رضي الله عنها مراعاة منهم لحرمة نبيهم ﷺ ؛ فهذه أم المؤمنين ، زوج سيد المرسلين ﷺ ، ولا تصدق الكذابين والأفاكين الذي يزعمون أن طلحة والزبير خرجا من المدينة إلى مكة ؛ لأنهما قد نقضا البيعة لعلي رضي الله عنه !

بل سأبين لكم الآن بالأدلة الصحيحة أن طلحة والزبير وعائشة ؛ بل وعلياً - رضي الله عنهم جميعاً - ما خرجوا البتة من المدينة ، إلا وهم يريدون جميعاً الإصلاح بين الناس .

فهذه عقيدة لا بد أن تثبت في قلوبنا ؛ فهم ما خرجوا يريدون سفك دماء إطلاقاً ، لكنهم اجتهدوا في أن يحمّسوا الناس للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه ، وعليّ رضي الله عنه ما خرج هو الآخر لمقابلة طلحة والزبير وعائشة إلا وهو يريد الإصلاح .

فما خرج واحد منهم يريد قطرة دم أبداً ، فهذا بعيد عن آحاد المؤمنين العاديين . فما ظنك بأصحاب سيد المرسلين .

ولا يفهم أحد أنني أريد أن أحكم لأحد من أصحاب رسول الله بالصمة إلا ؛ فهم بشر يُصيبون ويخطئون ؛ بل نعتقد أن العصمة قد انتهت زمنها يوم دفن المصطفى ﷺ ؛ فلا عصمة لأحد على وجه الأرض

بعد رسول الله ﷺ .

○ وقد يسأل سائل : لماذا خرجت عائشة ؓ من المدينة ؟

كانت عائشة في مكة لأداء مناسك الحج بقدر الله - جلّ وعلا - مع كثير من أصحاب النبي ﷺ الذين خرجوا من المدينة إلى مكة لحج بيت الله الحرام ؛ فلما سمعت بمقتل عثمان ؓ قامت تحث الناس على القيام بالمطالبة بدم عثمان هي وطلحة والزبير .

ولكن عائشة ؓ أرادت أن تخرج من مكة إلى المدينة ، فقال لها طلحة والزبير ؓ : يا أم المؤمنين ، دعي المدينة ؛ فإن من معنا لا يقوون على تلك الغوغاء الذين بالمدينة ، ولكن انطلقى معنا إلى البصرة ؛ فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين ، وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر حتى يقضي الله ما أراد .

○ والسؤال : لماذا البصرة ؟

أولاً : كان معهم في هذا الوقت عبد الله بن عامر ، وهو والي عثمان على البصرة - انتبه - ليس والي عليّ ؓ .

وقد أخبرهم عبد الله بن عامر بأن له من الأعوان في البصرة ما يستطيع أن يحمّس بهم أهلها ؛ للمطالبة بدم عثمان ، فضلاً عن وجود معاوية ؓ في بلاد الشام .

يقول الزبير : خرجنا لنستنهض الناس ؛ ليدركوا دم عثمان حتى لا يبطل ؛ فإن في إبطاله توهيناً لسلطان الله - عز وجل - بيننا أبداً ؛ فإذا لم يُفطَم الناس عن أمثال هذه الفاجعة المفزعة ، لم يبق إمامٌ إلا قتله هذا الصنف من الناس .

قال : والله . إن ترك هذا لشديد ، ولا تدرون إلى أين يسير ، فودّع كل واحد منهما صاحبه ، وافترقا ومضى الناس <sup>(١)</sup> فهذا الذي دفع هؤلاء الصحابة للمطالبة بدم عثمان ؛ لأنهم اتهموا أنفسهم بخذلان الخليفة المقتول . ولا تكفير لهذا الذنب إلا بقتال هؤلاء ، للأخذ بشأر عثمان .

فعائشة رضي الله عنها تقول : «إن عثمان قُتل مظلوماً ، والله لأطالبنّ بدمه» <sup>(٢)</sup> .

وطلحة يقول : «إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه» <sup>(٣)</sup> .

أعتقد أن الأمور الآن واضحة جداً ؛ فقد انطلقوا جميعاً نحو البصرة ، وهم لا يريدون جميعاً إلا الإصلاح .

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٣) .

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ١٢) .

(٣) «السير» للذهبي (١/ ٣٤) .

## ○ كيف بدأت الفتنة؟!

• روى أحمد وابن أبي شيبة في «مصنفه» بسند صحيح أن عائشة رضي الله عنها لما خرجت معهم إلى البصرة مرّت على بعض مياه بني عامر ليلاً، فنبحت عليها الكلاب؛ فقالت عائشة: أيّ ماء هذا؟ فقالوا: ماء الحوآب، فوقفت، وقالت: ما أظنني إلّا راجعة! ما أظنني إلّا راجعة، فقال لها طلحة والزبير: مهلاً يا أمّاه رحمك الله. بل تقدمي إلى البصرة فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم. <sup>(١)</sup>

هذه نيّة طلحة ونية الزبير؛ بل ونيّة عائشة رضي الله عنها - وأعود إلى الرواية - ما أظنني إلّا راجعة. لماذا؟ ألم أقل بأن كلّ هذه الفتن، كما وقعت، قد أخبر عنها الصادق الذي لا ينطق عن الهوى عليه السلام.

ستعجب إذا علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قد ذكر هذه الحادثة لعائشة حين ذكر لها نباح كلاب الحوآب؛ كما في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة والبخاري بسند صحيح، وصححه شيخنا الألباني في «الصحيحة» <sup>(٢)</sup> من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوماً لزوجاته أمّهات المؤمنين: «أَيُّكُنَّ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَدَبِ» <sup>(٣)</sup>؟ تَخْرُجُ حَتَّى تَنْبُحَهَا كِلَابُ الْحَوَآبِ

(١) أخرجه أحمد (٥٢/٦، ٩٧)، وابن أبي شيبة (٥٣٦/٧ ط الرشد)، والحاكم (١٢٩/٣)، وابن حبان (٦٧٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٧٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٣٨/٧ ط الرشد)، والبخاري؛ كما في «الفتح» (٥٥/١٣) وقال الحافظ: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٤٦/١) (٤٧٤).

(٣) الجمّل الأدب: هو الذي يظهر على وجهه الشعر الكثيف. وهو نفس هيئة الجمّل الذي كانت تركبه عائشة رضي الله عنها.

هذا الكلام كان في عهد النبي ﷺ ، يقول النبي ﷺ :  
 « يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ ، وَتَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ » أي :  
 أَنْ تَهْلِكَ .

صلى الله على محمد ، وصدق ربِّي إذ يقول : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ  
 إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٣-٥] .

وبذلك سُمِّيت موقعة الجمل ؛ لأن أم المؤمنين عائشة ؓ كانت  
 راكبة على جمل قدَّمه لها يزيد بن أمية في مكة ، وكان قد اشتراه من  
 اليمن . وقتل جملها في هذه الواقعة ، وكادت أن تقتل .

• وروى الحاكم و البيهقي بسندٍ صحيح أنَّ الزُّبير ؓ لما عزم على  
 الرجوع إلى المدينة ، بعدما قابله عليٌّ ، وقال له كلامًا - سأفصله بعد -  
 لما عرض له ابنه عبد الله بن الزُّبير وقال : كيف ترجع إلى المدينة ؟  
 فقال الزُّبير : ذكّرني عليٌّ بحديث سمعته من رسول الله ﷺ وإني راجع ؛  
 فقال له عبد الله : وهل جئت للقتال ؟ إنما جئت لتصلح بين الناس  
 وليصلح الله بك هذا الأمر <sup>(١)</sup> .

فكيف نترك مثل هذه الروايات الصحيحة ، ونذهب إلى روايات  
 الشيعة المحترقين ، والخواارج المضللين ، يقول عبد الله بن الزُّبير في كلام

(١) أخرجه الحاكم (٤١٣/٣) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٩١/١) ، والبيهقي في «دلائل النبوة»  
 (٤١٤، ٤١٥) ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٤٢/٧) : « غريب » .

صريح للزبير بن العوام رضي الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهل جئت لقتال ؟  
إنما جئت لتصلح بين الناس ، وليصلح الله بك هذا الأمر !

حتى عائشة رضي الله عنها ما خرجت إلا للإصلاح - كما ذكرت - وقرأت  
قول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ  
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤] .

خرجت وهي متأولة لهذه الآية ، وهي تعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد  
خرج قبل ذلك في الإصلاح ، فخرجت للإصلاح بين المسلمين ولتحقق  
الدِّماء ، وهي أمٌ لكل المؤمنين .

فلما خرجت إلى البصرة ، وبلغ عثمان بن حنيف خبر قدومها -  
وعثمان بن حنيف هو عامل علي رضي الله عنه على البصرة - أرسل إليها  
يستفسرها عن سبب خروجها ، لماذا جاءت إلى البصرة ؟ فقالت رضي الله عنها  
في كلام عجيب جدًا وهي الفقيهة العالمة :

إِنَّ الْغَوْغَاءَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ، وَنُزَّاعَ الْقِبَائِلِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ،  
غَزَوْا حَرَمَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - تعني : المدينة - وأحدثوا فيه الأحداث ،  
وَأَوَّاءَ فِيهِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَاسْتَوْجَبُوا فِيهِ لَعْنَةَ اللَّهِ ، وَلَعْنَةَ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم ،  
مَعَ مَا نَالُوهُ مِنْ قَتْلِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، بِلا تَرَّةَ وَلَا عَذَرَ ، فَاسْتَحْلَوْا الدَّمَ الْحَرَامَ  
فَسَفَكُوهُ ، وَانْتَهَبُوا الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَأَحْلَوْا الْبِلَدَ الْحَرَامَ ، وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ  
وَمَزَّقُوا الْأَعْرَاضَ وَالْجُلُودَ ، وَأَقَامُوا فِي دَارِ قَوْمٍ كَانُوا كَارِهِينَ لِمَقَامِهِمْ

ضارّين مضرّين ، غير نافعين ولا متّقين ، لا يقدرّون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجتُ في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم ، وما فيه النّاس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا . وقرأت قول الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] نهض<sup>(١)</sup> في الإصلاح كما أمر الله - عزّ وجلّ - وأمر رسوله ﷺ ، الصّغير والكبير ، والذكر والأنثى ، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ، ونحضكم عليه ، ومنكر نهاكم عنه ونحثكم على تغييره . روى ذلك الطبري في « تاريخ الأمم »<sup>(٢)</sup> .

○ وقد نقل ابن حبان<sup>(٣)</sup> : أن عائشة رضي الله عنها كتبت إلى أبي موسى الأشعري - وهو والي الكوفة من قبل عليّ رضي الله عنه تقول : « سلام عليك ! فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنّه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت ، وقد خرجتُ مُصلحة بين النّاس ، فمُر من قبلك بالقرار في منازلهم ، والرّضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبونه من صلاح أمر المسلمين » .

○ وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه »<sup>(٤)</sup> عن الزهري بسندٍ منقطع عن

(١) أي : نحث الصغير والكبير .

(٢) ذكره الطبري في « تاريخه » (١٤ / ٣) .

(٣) في « الثقات » (٢٨٢ / ٢) .

(٤) « المصنف » لعبد الرزاق (٤٥٢ / ٥) .

عائشة رضي الله عنها أُنْهَى قَالَتْ : « إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَحْجُزَ بَيْنَ النَّاسِ مَكَانِي » . أَي :  
تريد أن تكون في مكانها حاجزاً بين الناس ، حتى لا يقعوا في شجار  
أو قتال . « إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَحْجُزَ بَيْنَ النَّاسِ مَكَانِي ، وَلَمْ أَحْسَبْ أَنْ يَكُونَ  
بَيْنَ النَّاسِ قِتَالٌ ، وَلَوْ عَلِمْتُ ذَلِكَ لَمْ أَقِفْ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ أَبَدًا ؟ » .

ولذلك ستندم عائشة بعد ذلك أشدَّ الندم على خروجها من مكة  
إلى البصرة ؛ فلقد اجتهدت وأخطأت وأقرَّت بخطئها ، ونسأل الله أن  
يعفِرَ لها ؛ فهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ؛  
فاجتهادها مغفور ؛ بل ومأجور فالمجتهد إن اجتهد فأخطأ فله أجر ،  
وإن اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن سيكون أهلاً للاجتهاد إن لم تكن  
عائشة رضي الله عنها ؟ ! .

○ ويؤكد هذا الإمام ابن العربي - لله دَرُّهُ وطيب الله ثراه - في كتابه  
الماتع « العواصم من القواصم » <sup>(١)</sup> فيقول : وأما خروج عائشة إلى  
حرب الجمل ؛ فما خرجت عائشة لحرب ، ولكن تعلق الناس بها ،  
واشتكى الناس إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس ،  
ورجوا بركتها في الإصلاح ؛ وطمعوا في استحياء الناس منها إذا  
وقفت بين الخلق ، وظنت هي ذلك ، فخرجت عاملة بقول الله تعالى :  
﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

(١) (١٥٦) بتصرف في المعنى .

إِصْلَحْ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿[النساء: ١١٤]﴾ وخرجت وهي متأولة لقوله تعالى : ﴿وَأِنْ طَافَftَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ط فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتَلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] .

فكل الروايات الصحيحة التي ذكرت تؤكد تأكيداً لا مرأ فيه أن هؤلاء جميعاً ما خرجوا إلا للإصلاح .

• وجاء في « تاريخ الإمام الطبري » <sup>(١)</sup> بسند صحيح ما يؤكد أن علياً ؓ نفسه ما خرج إلا لذلك ، فلما سمع علي ؓ بخروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة صمم هو الآخر على أن يخرج إلى البصرة ، فوقف أمام دابته عبد الله بن سلام ؓ ، وقال له : « يا أمير المؤمنين ، لا تخرج من مدينة رسول الله ﷺ ، فوالله لئن خرجت منها لن يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ! » .

وستعجب إذا علمت أيضاً أن من هؤلاء الذين وقفوا يصدون دابة علي ؓ عن الخروج : الحسن بن علي ؓ ، انطلق ليأخذ بخطام دابة أبيه ؛ ويقول <sup>(٢)</sup> : يا أبت ، أعزم عليك ألا تخرج ؟ لا تخرج من دار الخلافة حتى

(١) (٣/ ١٠) ط العلمية .

(٢) المصدر السابق .

تبقى المدينة داراً للخلافة كما كانت في عهد إخوانك - الثلاثة أي : في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ؛ فماذا قال عليٌّ عليه السلام ؟ قال : والله ما خرجتُ إلا وأنا أريد الإصلاح .

• وفي « تاريخ الإمام الطبري » <sup>(١)</sup> : أن عليّاً عليه السلام لما أراد الخروج قام إليه ابنُ لرفاعة بن رافع رضي الله عنه ؛ فقال : « يا أمير المؤمنين ، أيُّ شيء تريد ؟ وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال عليٌّ : أمّا الذي نريد وننوي ؛ فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه قال : فإن لم يجيبوا إليه ، قال : ندعهم بعذرهم ، ونعطيهم الحقَّ ونصبر . قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا . قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : ( امتنعنا منهم . قال : فنعم إذا ) .

فقام إليه رجلٌ آخر وقال له : ما أنت صانع يا أمير المؤمنين إذا لقيت هؤلاء القوم ؟ فقال : قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكفُّ عن هذا الأمر ؛ فإن بايعونا فذلك ، وإن أبوا وأبينّا إلا القتال فصدع لا يلتئم <sup>(٢)</sup> ! .

ولما قدم على عليٍّ عليه السلام من الكوفة عامرُ بنُ مطر الشيباني سأله عما وراءه فأخبره ، فسأله عليٌّ عن أبي موسى وهو واليه على الكوفة ؛ فقال : إن أردت الصُّلح ، فأبو موسى صاحب ذلك ، وإن أردت القتال فهو ليس بصاحب ذلك ! - مع إنّه واليه على الكوفة - فقال عليٌّ عند ذلك :

(١) المصدر السابق (٣ / ٢٤) .

(٢) المصدر السابق (٣ / ٣٤) .

والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا . قال : قد أخبرتك الخبر وسكتُ وسكت عليٌّ<sup>(١)</sup> .

وحين قدم على عليٍّ وفد الكوفة بذي قار ، قال لهم : يا أهل الكوفة ، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم ، وفضضتم جموعهم ... إلى أن قال : وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا ، هكذا لم يخرجهم عليٌّ من دائرة الأخوة إخواننا من أهل البصرة ؛ فإن يرجعوا فذاك الذي نريده ؛ فإن أبوا دأويناهم بالرِّفق حتى يبدؤونا بالظُّلم ، ولن ندع أمرًا فيه الإصلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد - إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup> .

ولم يكن هذا هو رأى عليٍّ عليه السلام فحسب ؛ فقد ثبت عن ولده الحسن عليه السلام أنه كان يحلف بالله ويقول : « والله ما أردنا إلا الإصلاح » .

ويقبل الأحنف بن قيس ؛ فيقول لعليٍّ : « يا أمير المؤمنين ، إن شئت قاتلتُ معك ، وإن شئت كففتُ عنك أربعة آلاف سيف ؟ فأجاب عليٌّ عليه السلام : بل اكفف عنا أربعة آلاف سيف »<sup>(٣)</sup> .

ولو كان يريد القتال لأمره أن يقاتل معه ، وقد قدم بستة آلاف مقاتل من الأبطال ليقاتل مع عليٍّ عليه السلام انحاز بهم إلى أمير المؤمنين ، ولكن عليًّا

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٤) .

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٨) .

(٣) « المصدر السابق » (٣/ ٢٦) ، و « البداية والنهاية » (٧/ ٢٣٦) .

ما خرج للقتال وما أراد قتالاً .

وإن من أعظم الأدلة العملية على ذلك أن علياً عليه السلام ما خرج من المدينة إلا مع ألف رجل <sup>(١)</sup> ! هل هذا جيش ؟! ثم انضم إليه الناس من كل مكان ؛ لينصروه ويؤيدوه يوم أن سمعوا بخروجه من المدينة . حتى اجتمع إليه بعد ذلك عدد كبير .

وعلى أي حال أيها الأحبة الكرام ؛ فإن الروايات الصحيحة تثبت وتؤكد أن علياً نفسه عليه السلام ما خرج إلا وهو يريد الإصلاح لآخر لحظة ؛ فما أن وصل إلى البصرة إلا وأرسل القعقاع بن عمرو <sup>(٢)</sup> رسولاً إلى طلحة والزبير وعائشة عليهم السلام .

فما أن وصل القعقاع بن عمرو إلى البصرة حتى قابل ابتداءً أمه أم المؤمنين عائشة عليها السلام قال لها القعقاع - في حوارٍ بديع : أمّاه ، ما أقدمك إلى هذه البلاد ؟! ما الذي أخرجك من مكة إلى البصرة ؟! فقالت عائشة : أي بني . ما أقدمني إلا الإصلاح بين الناس .

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٦).

(٢) القعقاع بن عمرو . ترجم له الحافظ ابن حجر في الطبقة الأولى . ولبعض أهل العلم أقوال في أن إثبات الصحبة له لا تثبت إلا من طريق فيه ضعف . وهناك من أهل العلم من يحكم له بالصحبة وقال في حقه أبو بكر الصديق عليه السلام لما طلب منه خالد بن الوليد المدد أثناء حصاره للحيرة فأمدّه بالقعقاع وقال : لا يُهزم جيش في القعقاع ؟ وقيل : إن أبا بكر كان يقول : لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل . انظر : «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣/ ٢١١) طبعة دار الكتب العلمية .

فقال لها القعقاع : فهلّا بعثتِ إلى طلحة والزُّبير ؟ فأرسلت عائشة إليهما ، فأقبل طلحة والزُّبير ، فقال لهما القعقاع : إني سألت أمّ المؤمنين عائشة ما الذي أقدمها إلى هذه البلاد ؟ فقالت : إنّها جاءت للإصلاح بين الناس .

فقال طلحة والزُّبير : ونحن - والله - ما جئنا إلا لذلك ! فقال القعقاع : فأخبراني ما وجهُ هذا الإصلاح ؟ - يعني : كيف يتحقق ؟ وما السبيل إليه ؟ وعلى أي شيء يكون ؟ - فوالله لئن عرفناه لنصطلحن . ولئن أنكرناه لا نصطلح ؛ فقال طلحة والزُّبير : أن يقتل عليٌّ قتلة عثمان .

هذه هي القضية التي خرجا من أجلها أن يقتل عليٌّ قتلة عثمان ؛ فإن ترك عليٌّ - هكذا يقول طلحة والزُّبير - هذا الأمر - أي إقامة الحدّ على قتلة عثمان - كان تاركًا للقرآن ؛ لأن من واجبه إقامة الحدّ على القاتل ، وهو الخليفة ﷺ ، فإن ضيّع الحدّ فهو مضيّع للقرآن . هذا فهم طلحة والزُّبير .

فقال القعقاع : يا طلحة ، يا زبير ، لقد تحمستما وقتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة - وكانوا عددًا قليلًا لا يزيدون تقريبًا عن ستة أفراد - ، فغضب هؤلاء الذين قُتلوا ستة آلاف ؛ فإن تركتموهم - أي الستة آلاف - وقعتم فيما تزعمون أن عليًّا قد وقع فيه !

وإن قاتلتموهم وقعت مفسدة هي أربى من الأولى .  
تدبر فقه الإنكار <sup>(١)</sup> ؛ فالإنكار لاسيما في وقت الفتن له فقه يوفق  
الله ﷻ إليه في هذه اللحظات من يشاء : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن  
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤] .

تصور حينما يقيمون الحدَّ على ستة آلاف في البصرة كيف تكون برك  
الدماء ؟!

وإنما آخر عليٍّ قتلَ قتلةَ عثمان إلى أن يتمكن منهم ؛ فإن الكلمة الآن  
في جميع الأمصار مختلفة .

(١) ودائماً نكرر ونقول : الحساس وحده لا يكفي ، والإخلاص وحده لا يكفي ؛ بل يجب أن يكونا  
منضبطين بضوابط الشرع الثابتة ، ولا بد من تحقيق المناطات الخاصة والعامة للربط بين  
دلالات النصوص ومناطاتها ربطاً صحيحاً ، وإلا لأوقعنا أنفسنا وغيرنا في حرج ؛ بل  
ووقعنا في كثير من المفاصد التي هي أعظم من المفسدة الأولى التي ما خرجنا إلا إليها  
« ومن أنفس ما قرأت في هذا الباب ما قاله ابن القيم - رحمه الله :

«إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل من المعروف ما يحبه الله ورسوله .  
فإن كان إنكار المنكر ، يستلزم ما هو أنكر من المنكر ؛ فهو أمر بمنكر وسعي في معصية الله  
ورسوله .

ولقد كان النبي ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ، ولا يستطيع تغييرها ؛ بل لما فتح الله عليه مكة  
وصارت مكة دار إسلام ، وعزم النبي ﷺ على هدم البيت الحرام ، وردة على قواعد إبراهيم ، لم  
يفعل مع قدرته على فعل ذلك ؛ لأن قريشاً كانت حديثة عهد بكفر . وقرية عهد بإسلام »  
(٣/٦٠٧ بتصرف من إعلام الموقعين) .

هذه أصول وقواعد وضوابط شرعية لا يجوز لأي فضيل يعمل الآن على الساحة أن يخطو  
على أرض الواقع ، أو ينظر تنظيراً إلا من خلالها حتى لا يضر من حيث يريد الإصلاح .

فقال عائشة : فماذا تقول أنت يا قعقاع ؟ فقال القعقاع كلامًا أنفس وأعلى قال : يا أمّاه ، إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين ؛ فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ، ولا تعرضونا للبلاء.

فقال عائشة وطلحة والزبير - رضي الله عنهم جميعًا : أصبت وأحسنّت المقالة ، فارجع إلى عليّ ؛ فإن كان عليّ على مثل رأيك صلح الأمر ، فارجع إلى عليّ ، فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كره ، ورضيه من رضيه <sup>(١)</sup> .

أعتقد أن هذه الرواية تبين لنا أن تراجعًا بينًا في موقف طلحة والزبير قد ظهر ، فأشرف القوم على الصلح .

وهنا تغلي مراحل الغلّ والحقد والحسد في قلوب السبئية مرةً أخرى الذين أثاروا الفتنة الأولى . ووصلوا في نهايتها إلى قتل عثمان .

فأنا أدين الله - ويجب أن يدين بهذا المعتقد كلُّ مسلمٍ - أنه لا يوجد صحابيًّا واحدٌ من أصحاب النبي ﷺ قد أعان - ولو بكلمة - على قتل عثمان ﷺ ولا على هذه الفتنة الحالكة ؛ وإنما الذي أشعل نارها هم السبئية من الأوباش والمنافقين بشهادة النبي ﷺ - كما ذكرت .

فهذه الفئة المنافقة الخبيثة التي قتلت عثمان ﷺ هي نفسها التي أشعلت نار الفتنة ، ونار حرب الجمل بين عليّ وطلحة والزبير ﷺ فكيف تم ذلك ؟!

بات قتلة عثمان في همٍّ شديد في الوقت الذي بات فيه طلحة والزبير وفريقهما ، وفريق عليٍّ في غاية السَّعادة والهدوء والانشراح <sup>(١)</sup> .

ففي الصباح سيلتقي عليٌّ مع طلحة والزبير وعائشة ؓ ليتم الإصلاح ، وبات قتلة عثمان في همٍّ شديد ؛ فقال ابن سبأ الخبيث : والله إن عليًّا هو أعلم النَّاس بكتاب الله ؛ بل هو أعلمُ بكتاب الله ممن يطلبون بقتل قتلة عثمان !!!  
وغداً سيجمع عليكم النَّاس ولا يريد القوم جميعاً إلا أنتم - يعني : لا يريد النَّاس إلا قتلة عثمان - فإن كان الأمر هكذا - يقول السبئية أصحاب الفتنة - ألحقنا عليًّا بعثمان - يعني قتلناه !

فقال ابن سبأ الخبيث رأس الفتنة : لو قتلناه قُتلنا جميعاً ؟ لأنَّهم تظاهروا من أوَّل لحظة أنَّهم ينصرون عليًّا ؛ وإلا سَينكشف أمرهم ! .  
قال ابن سبأ : لو قتلناه قُتلنا جميعاً ، ولكن اندسوا في الصفوف بين النَّاس ! وقسَّم الخبيث جيشه إلى فريقين ، وأجمعوا أمرهم على أن يتسلل كلُّ فريق في سواد الليل إلى معسكر كلِّ فريق من الفريقين : فرقة تنطلق لمعسكر طلحة والزبير ، وفرقة تنطلق إلى معسكر عليٍّ ، وينشبون القتل بالسُّيوف والرِّماح في كل معسكر من المعسكرين في سواد الليل . ووقعت الفتنة ، ولا يدري كلُّ فريق ما الخبر !

وقامت أمُّ المؤمنين ؓ تركب هودجها على ناقتها لا تدري ماذا حدث ؟

وَظَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنَّ الْفَرِيقَ الْآخَرَ قَدْ خَدَعَهُ ، وَأَنَّ مَا كَانَ بِاللَّيْلِ مِنْ أَمْرِ الْقَعْقَاعِ مَا كَانَ إِلَّا خُدْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام .

فَقَالَ فَرِيقٌ طَلْحَةَ : فَعَلَهَا عَلِيٌّ ! خَدَعَنَا عَلِيٌّ ! وَلَمَّا بَدَأَ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَ فِي فَرِيقِ عَلِيٍّ ، قَالَ عَلِيٌّ وَمَنْ مَعَهُ : فَعَلَهَا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ! ، وَنَشَبَ الْقِتَالُ الضَّارِي ، وَمَا تَوَقَّفَ الْقِتَالُ إِلَّا بَعْدَمَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، وَتَبَيَّنَ النَّاسُ الْأَمْرَ .

وَوَقَفَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها تَبْكِي وَوَقَفَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ رضي الله عنهما يَسْكُتَانِ النَّاسَ ، وَيَطْلُبَانِ مِنْهُمُ الصَّبْرَ وَالتَّأَنِي ، وَلَكِنْ فِي وَقْتِ الْفِتْنِ مِنَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْكِتَ النَّاسَ وَيُطْفِئَ النَّارَ ؟

وَوَقَعَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ ، الَّتِي لَا يُمْكِنُ الْبَتَةَ لِمَنْصَفٍ عَاقِلٍ أَنْ يَقُولَ بِأَنَّ حَرْبَ الْجَمَلِ قَدْ دَارَتْ رِحَاهَا بِتَخْطِيطٍ وَتَدْبِيرٍ مِنْ فَرِيقٍ مِنْ فَرِيقِي عَلِيٍّ أَوْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رضي الله عنهما !

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَةٌ تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْوَلٍ حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضَرَامُهَا وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ شَمَطَاءٍ يَنْكُرُ لَوْنَهَا وَتَغْيِرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ <sup>(١)</sup>

هَكَذَا وَقَعَتْ فَتْنَةُ مَوْقَعَةِ الْجَمَلِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ،

(١) أبيات لامرئ القيس . ذكرها البخاري في كتاب الفتنة باب الفتنة التي تموج كموج البحر باب (١٧) .

وقتل حول هودج أم المؤمنين عليها السلام قتلى كثيرون ؛ كما أخبر البشير النذير - صلى الله عليه وآله وسلم : فماذا قالت عائشة ؟ وماذا قال علي رضي الله عنهم جميعاً - بعد وقوع هذه المأساة ؟!

• روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح <sup>(١)</sup> أن علياً قام يردد يوم الجمل : «اللهم ليس هذا أردت . اللهم ليس هذا أردت» .

وحينما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال قال : «لَوِدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا بَعَشْرِينَ سَنَةً» . وقال مثله لولده الحسن <sup>(٢)</sup> .

وفي الجانب الآخر ينادي طلحة - وهو على دابته وقد غشيه الناس : «يا أيها الناس ، أنصتوا ! فجعلوا يرجفونه ، ولا ينصتون ؛ فما زاد طلحة على قوله : «أَفَّ أَفَّ ، فِرَاشُ نَارٍ ، وَذُبَابُ طَمَعٍ» <sup>(٣)</sup> .

ولما مرَّ عليٌّ عليه السلام على طلحة بعدما قُتِل ، فجعل عليٌّ يمسحُ الترابَ عن وجهه ويكي ويقول : «عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مجندلاً في التراب تحت نجوم السماء !» .

ثم قال عليٌّ : إلى الله أشكو عَجْرِي وَبُجْرِي ! <sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧٩١ ط العلمية) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٢١) والطبراني (١١٤/١) ونعيم في «الفتن» (٨٠/١) وجود سنده الهيثمي في «المجمع» (١٥٠/٩) .

(٣) أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه» (٤١) ، وابن عساكر في «تاريخه» (١٠٩/٢٥) وانظر : العواصم من القواصم (١٥٨) .

(٤) أي همومي ، وهما يستعملان فيما يكتمه المرء ويخفيه عن غيره مما في قلبه «والأثر أخرجه

وبكى ﷺ وبكى أصحابه على طلحة ﷺ .. على صاحب اليد التي  
سُلت ، وهي تدافع عن رسول الله ﷺ يوم أحد !

ولما جاء قاتل الزبير (ابن جرموز) يحمل سيف الزبير ، وأراد أن  
يدخل به على علي ، وهو يظن أنه سيجد عند علي مكانة وحظوة ؛ فهو  
قاتل الزبير ! فلما أقبل على علي ، وأمسك علي السيف بيده بكى  
وقال : طالما جلى الزبير بهذا السيف الكرب عن وجه رسول الله ﷺ .

ثم التفت علي إلى هذا الرجل القاتل وقال : « بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ  
بِالنَّارِ » <sup>(١)</sup> بَشِّرْهُ علي بالنار ، ولم يأذن له أبدًا بأن يدخل عليه .

والأعجب من ذلك أن عليًا هو الذي قام بنفسه وصلى على قتلى  
الطرفين ، على قتلى فريق طلحة والزبير ، وعلى قتلى فريق علي - رضي  
الله عنهم جميعًا .

صلى على أهل البصرة والكوفة ، وصلى على مَنْ كان من أهل  
قريش من مدنيين ومكيين ، ودفن أطرافهم جميعًا في قبر كبير واحد  
عظيم .

= الطبراني في «الكبير» (١/١١٣) وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/١٥٠) : «إسناده حسن» .  
(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٧٢، ١٢٧٣) ، وابن سعد (٣/١٠٥) ، والحاكم  
(٣/٣٦٧) وقال : «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي ، وابن أبي  
عاصم في السنة (١٣٨٨) .

• وروى الحارث أيضًا في « مسنده » <sup>(١)</sup> عن سليمان بن صُرد قال :  
جئت إلى الحسن فقلتُ : اعذرني عند أمير المؤمنين - أي : عند عليٍّ -  
حيثُ لم أحضر الواقعة - يعني : الجمل - قال الحسنُ : ما تصنع بهذا ؟  
لقد رأيته - والله - يلوذ بي يوم الجمل ويقول : « يا حسن ، ليتني متُّ  
قبل هذا اليوم بعشرين سنة » .

• وكانت عائشة رضي الله عنها إذا قرأت بعد ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي  
بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . تبكي حتى يبتل خمارها من البكاء ، وتقول  
- كلما تذكّرت الجمل : « وددتُ أني كنتُ جليستُ كما جلس أصحابي ! » .  
وفي رواية : « وددتُ أني كنتُ غصنًا رطبًا ، ولم أسر مسيري هذا » <sup>(٢)</sup> .  
والعجيب أن عليًّا رضي الله عنه اقترب من عائشة - بعد انتهاء الموقعة - وهي  
في هودجها ؛ ليطمئن عليها .

وقد روي أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب :

« إِنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ » .

فقال عليٌّ : أنا يا رسول الله ؟

قال : « نَعَمْ » .

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » (زوائد الهيثمي ٧٥٧) وقد سبق تخريجه بتوسع .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه (٨/٧١٧، ٧١٨) ، وابن سعد في الطبقات (٨/٨١) ، و نعيم في الفتن (٨٠/١) .

قال : فأنا أشقاهم يا رسول الله ! .

قال : « لا . ولكن إذا كان ذلك ، فازدُدها إلى مأمِنِها » <sup>(١)</sup> .

فانطلق عليٌّ إلى عائشة رضي الله عنها وقال ﷺ : كيف حالك يا أماء ؟ فقالت : بخير والحمد لله ؛ فقال : غفر الله لك ! فقالت عائشة : ولك ، فأنزلها من هودجها ، وزودها بما تحتاج إليه في سفرها ، وأرسل معها محمد بن أبي بكر رضي الله عنه أخوها ؛ ليصحبها من البصرة إلى مكة ، ومن مكة إلى المدينة <sup>(٢)</sup> .

ولم تفارق من ذلك اليوم بيتها حتى ماتت - رضي الله عنها وعن جميع أصحاب النبي ﷺ .

ويتضح لنا - أيها الأحبة الكرام - الأصابع التي دبّرت هذه الفتنة الحالكة المظلمة . وأن فتنة موقعة الجمل قد وقعت على غير اختيارٍ من الصّحابة - رضي الله عنهم جميعاً - وإنّما أشعل نارها السَّبِيثُونَ المجرمون ، والحرب إذا تأججت نيرانها لا يستطيع العقلاء إطفاءها ؛ بل لقد حاول عليٌّ وطلحة والزبير وعائشة أن يوقفوا القتال ! لكن لم يفلحوا .

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ( ٣٩٣ / ٦ ) ، والبزار في مسنده ( كشف ٣٢٧٢ ) ، والطبراني في الكبير ( ٩٩٥ / ١ ) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٢٣٤ / ٧ ) : « رواه أحمد والبزار والطبراني » رجاله ثقات . وقال الأرنؤوط : « إسناده ضعيف ، الفضيل بن سليمان النميري عنده مناكير » .

(٢) « تاريخ الطبري » ( ٦٠ / ٣ ) بتصرف .

□ وهذه بعض أقوال الأئمة في ذلك :

● قال الإمام الطحاوي - رحمه الله <sup>(١)</sup> :

« فَجَرَتْ فِتْنَةُ الْجَمَلِ عَلَى غَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْ عَلِيٍّ وَلَا مِنْ طَلْحَةَ ، وَإِنَّمَا أَثَارُهَا الْمَفْسُدُونَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِ السَّابِقِينَ » .

● وقال الباقلاني <sup>(٢)</sup> :

« ... وَتَمَّ الصُّلْحُ وَالتَّفَرُّقُ عَلَى الرِّضَا ، فَخَافَ قَتْلُهُ عِثْمَانَ مِنْ التَّمَكُّنِ مِنْهُمْ ، وَالْإِطَاعَةِ بِهِمْ ، فَاجْتَمَعُوا وَتَشَاوَرُوا وَاخْتَلَفُوا ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى أَنْ يَفْتَرِقُوا فَرِيقَيْنِ ، وَيَبْدِئُوا بِالْحَرْبِ سَحْرَةً فِي الْمَعْسُكِرِينَ وَيَخْتَلِطُوا ، وَيَصِيحُ الْفَرِيقُ الَّذِي فِي عَسْكَرِ عَلِيٍّ : غَدَرَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، وَيَصِيحُ الْفَرِيقُ الَّذِي فِي عَسْكَرِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ : غَدَرَ عَلِيٌّ ، فَتَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى مَا دَبَّرُوهُ ، وَنَشَبَتِ الْحَرْبُ ، فَكَانَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ دَافِعًا لِمَكْرُوهِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَمَانِعًا مِنَ الْإِشَاطَةِ بِدَمِهِ ، وَهَذَا صَوَابٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَطَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى إِذْ وَقَعَ ، وَالْامْتِنَاعُ مِنْهُمْ عَلَى هَذَا السَّبِيلِ ؛ فَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ ، وَإِلَيْهِ نَمِيلُ ، وَبِهِ نَقُولُ » .

● ونقل القاضي عبد الجبار <sup>(٣)</sup> أقوال العلماء ، بِاتِّفَاقٍ رَأَى عَلِيٌّ وَطَلْحَةُ

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (٤٨٢) ط المكتب الإسلامي .

(٢) « التمهيد » (ص ٢٣٣) ، و « التذكرة » للقرطبي (٢/٤١٣) ..

(٣) « تثبيت دلائل النبوة » للهمداني (ص ٢٩٩) .

والزُّبير وعائشة - رضوان الله عليهم - على الصُّلح وترك الحرب واستقبال النظر في الأمر ، وأن من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك ، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم ، فدبروا في إلقاء ما هو معروف ، وتم ذلك .

● وقال ابن العربي <sup>(١)</sup> :

« وقدم عليٌّ على البصرة ، وتدافعوا ليتراؤوا ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء ، وبادروا بإراقة الدماء ، واشتجر الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء ، وكلُّ ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا يقف الحال على البيان ، ويخفى قتلة عثمان ، وإنَّ واحدًا في الجيش يفسد تدبيره ، فكيف بألف ؟! » .

● وقال ابن حزم <sup>(٢)</sup> :

« ... وبرهان ذلك أنَّهم اجتمعوا لم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم ، فبيَّتوا عسكر طلحة والزُّبير وبذلوا السَّيف فيهم ، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليٍّ ، فدفع أهله عن أنفسهم ، كلُّ طائفة تظنُّ ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال ، واختلط الأمر اختلاطًا ، لم يقدر أحد

(١) « العواصم من القواصم » (١٥٩) .

(٢) « الفصل في الملل والنحل » (٤/ ١٥٧ ، ١٥٨) .

على أكثر من الدِّفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترّون من شنّ الحرب وإضرارها ، فكلتا الطّائفتين مصيبةٌ في غرضها ومقصدها ، مدافعة عن نفسها ، ورجع الزُّبَيْر وترك الحرب بحالها ، وأتى طلحة سهمٌ غارب ، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط ، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ ، فانصرف ومات من وقته ﷺ ، وقُتِلَ الزُّبَيْرُ بوادي السّباع بعد انسحابه من المعركة على أقلّ من يوم من البصرة ، فهكذا كان الأمر .

■ وقال الذهبي<sup>(١)</sup> : « كانت وقعة الجمل آثارها سفهاء الفريقين » .

■ وقال<sup>(٢)</sup> : « إن الفريقين اصطلحا ، وليس لعلّي ولا لطلحة قصد القتال ، بل ليتكلّموا في اجتماع الكلمة ، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل ، وشبّت الحرب ، وثارَت النفوس » .

وكان قد اعتزل هذه الفتنة عدد من الصّحابة ؛ اعتماداً منهم على أحاديث رسول ﷺ في الاعتزال وقت الفتن ، على رأسهم سعد بن أبي وقاص ، محمّد بن مسلمة ، أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن عمر ، سلمة بن الأكوع ، عمران بن حصين ، أسامة بن زيد ، سعيد بن العاص الأموي ، عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ فإنّه خرج طاعة لأبيه

(١) « العبر » (١/٣٧) .

(٢) « تاريخ الإسلام » (١/١٥) .

وما قاتل ، وصهيب الرومي ، أبو أيوب الأنصاري ، وأبو بكره ، وحذيفة ، وأبو هريرة - رضوان الله عليهم جميعاً .

○ وتدبر معي هذا الكلام النفيس لأواصل الحديث عما وقع من فتن بعد موقعة الجمل .

■ يقول الإمام القرطبي<sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى :

« لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصّحابة خطأً مقطوعٌ به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله - عزَّ وجلَّ - وهم كلهم لنا أئمة ... إلى أن قال : هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ أن طلحة شهيدٌ يمشي على وجه الأرض ؛ فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيداً ، ومما يدل على ذلك ما قد صحَّ وانتشر من إخبار عليٍّ بأن قاتل الزُّبير في النَّار وقوله : سمعت رسول الله ﷺ . يقول :

« بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةٍ بِالنَّارِ »<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان كذلك ؛ فقد ثبت أن طلحة والزُّبير غير عاصيين ، ولا آثمين بالقتال ؛ أي : أنَّهما معذوران باجتهادهما ؛ لأنَّ ذلك لو كان كذلك لم

(١) « الجامع لأحكام القرآن » (٢١١ / ١٦) (سورة الحجرات: ٩) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٨٩ / ١) ، والطبراني في « الكبير » (٢٤٣ / ١) ، والحاكم في « المستدرک » (٣٦٧ / ٣) ، وقال الحاكم : « هذه الأحاديث صحيحة عن أمير المؤمنين عليٍّ وإن لم يخرجها بهذه الأسانيد » . ووافقه الذهبي « وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٨٧٧) و« ظلال الجنة » (١٣٨٨) .

يقول النبي ﷺ في طلحة شهيد ، ولم يخبر النبي ﷺ بأن قاتل الزبير في النار ، وكذلك مَنْ قعدَ غيرُ مخطئ في التأويل ، بل صواب أراهم الله الاجتهاد ، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم ، والبراءة منهم وتفسيقهم وإبطال فضائلهم وجهادهم ، وعظيم غنائهم في الدين - رضي الله تعالى عنهم .»

بل إن أمير المؤمنين علياً ، يقرُّ بحق طلحة والزبير وعائشة في الخروج للمطالبة بدم عثمان ، وبأن لهم حجة <sup>(١)</sup> ودليلاً على ما قاموا به ما داموا يريدون وجه الله عزَّ وجلَّ ، فحين قام أبو سلامة الدالاني فقال لعلي : يا أمير المؤمنين ، هل هؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك ؟ قال علي : نعم .

وعلى ذلك إذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يجوز عليهم الخطأ كما يجوز على كلِّ البشر ؛ فحيث نستطيع أن نقبل ما يحدث في تصرفاتهم من أخطاء غير مقصودة أو متعمدة ، وإنما وقعت نتيجة اجتهاد لم يوفق فيه فريق منهم إلى الصواب ، لكنهم مثابون على أيِّ حال ، على إخلاصهم في اجتهادهم - إن شاء الله تعالى .

○ ولذا يقول الإمام ابن حزم <sup>(٢)</sup> - رحمه الله تعالى : « فقد صح صحة

(١) « تاريخ الطبري » (٣/ ٣٣) العلمية .

(٢) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم (٣/ ٨٣) العلمية .

ضرورية لا إشكال فيها ، أن طلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - لم يمشوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه ، ولا نقضاً لبيعته ، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته . هذا ما لا يشك فيه أحد ، ولا ينكره أحد ، فصَحَّ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَهَضُوا إِلَى الْبَصْرَةِ لِسَدِّ الْفَتْقِ الْحَادِثِ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ قَتْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ ظَلَمًا وَعَدْوَانًا - ﷺ وأرضاه .

إِذَا السَّبَبُ الَّذِي أَوْقَعَ الْخِلَافَ بَيْنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ الْمَطَالِبَةُ بِدَمِ عِثْمَانَ ؛ فَرِيقٌ يَطَالِبُ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى قَتْلِ عِثْمَانَ فَوْرًا ، وَفَرِيقٌ يَطَالِبُ بِالتَّأْجِيلِ وَالْإِرْجَاءِ ؛ حَتَّى تَلْتَقِيَ كَلِمَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَتَّى تَلْتَقِيَ هَذِهِ الْجُمُوعُ الْمَشْتَتَةُ ، وَتَقْوَى شَوْكَتُهُمْ ، وَيَسْتَطِيعَ عَلِيٌّ ﷺ بِقُوَّةٍ وَمَنْعَةٍ أَنْ يَقِيمَ الْحَدَّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْبَغَاةِ الَّذِينَ تَعْصَّبَ لَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْغَوَاةِ .

لكن على أي حال ، قدَّر الله وما شاء فعل . ووقعت وقعة الجمل في سنة ستٍ وثلاثين من الهجرة ، وقتل فيها كثير من المسلمين ، نسأل الله أن يتجاوز عنا وعنهم بمنه وكرمه .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .



# موقعة صفين<sup>٤</sup>



## موقعة صفين

أنهت الحديث في الفصل السابق عن موقعة الجمل ، وذكرت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا جميعاً بلا استثناء متفقين على إقامة الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه ، ولكن الخلاف قد وقع بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في وقت إقامة الحد عليهم .

● فبينما رأى علي رضي الله عنه تأجيل إقامة الحد على قتلة عثمان ؛ لأن كلمة المسلمين مشتتة ؛ ولأن الثوار لا زالوا يحاصرون المدينة ، ولا يمتلك علي رضي الله عنه القوة التي يتمكن بها ويستطيع من خلالها أن يقيم الحد على مجموعة كبيرة ، تفرق دم عثمان رضي الله عنه بينهم .

●● بينما رأى الفريق الآخر : فريق طلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم وغيرهم أن يُعجل علي رضي الله عنه بإقامة الحد على قتلة عثمان ؛ بل رفض معاوية رضي الله عنه أن يعطي البيعة لعلي رضي الله عنه إلا إذا أقام الحد على قتلة عثمان ، أو سلم إليه قتلة عثمان ليقتلهم .

ومن هنا - كما ذكرت - نشأ الخلاف بين أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه وآله وسلم - ونحن نجزم - وهذا معتقد أهل السنة والجماعة - أن جميع الصحابة رضي الله عنهم مأجورون ، بمن فيهم معاوية رضي الله عنه .

ولكننا نعتقد أيضاً اعتقاداً جازماً أن الحق كان مع عليٍّ ﷺ ، ولكن معاوية ﷺ اجتهد وأخطأ ، والمجتهد المصيب له أجران ، والمجتهد المخطيء له أجر واحد ، كما سأفصل وأبين - إن شاء الله تعالى -

هذا هو أصل الخلاف الذي وقع بين أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم .

ونحن لا ننفي وقوع الخطأ من الصحابي ؛ لأننا أصّلنا قبل ذلك أن الصحابة بشر ، ليسوا معصومين من الوقوع في الخطأ والزلل ؛ فإنّ العصمة قد دفنت يوم دفن المصطفى ﷺ . ولكننا في الوقت ذاته نقطع ونجزم بأن الصحابي لا يفعل الخطأ عن قصد وعمد .

○ وأذكر مرة أخرى بقول الإمام القرطبي <sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى : « لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به ، إذ كانوا قد اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله ﷻ ، وهم كلّهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم ، وألاً نذكرهم إلا بأحسن الذكر ؛ حرمة الصُّحبة ، لنهي النبي ﷺ عن سبِّهم ، وأن الله غفر لهم ، وأخبر بالرِّضا عنهم . إلى أن قال : ... فقال ﷺ :

« طَلْحَةُ شَهِيدٌ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ » <sup>(٢)</sup> هذه شهادة من الصادق

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢١١ / ١٦) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : مناقب طلحة بن عبيد الله ﷺ (٣٧٣٩) ، وابن =

المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيائاً لم يكن بالقتل فيه شهادة » .

يعني : لو قتل طلحة في هذه الحرب وقد خرج إليها وهو عاصٍ لله ورسوله ؛ هل كان يحكم له النبي ﷺ بالشهادة ؟!

وهو القائل ﷺ : « طَلْحَةُ شَهِيدٌ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ » ومعلوم أن طلحة قد مات في واقعة الجمل ، فلو خرج طلحة في هذه الحرب عصيائاً ما شهد له بالشهادة .

• قال القرطبي : « ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من إخبار عليّ رضي الله عنه بأن قاتل الزبير في النار ، وقوله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بَشْرُ قَاتِلِ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ » <sup>(١)</sup> - وهو الزبير بن العوام رضي الله عنه حوارى النبي ﷺ - وإذا كان كذلك ؛ فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين ؛ أي : إنهما معذوران باجتهداهما ، ولو كان غير ذلك لم يقل

= ماجه في المقدمة ، باب : فضل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (١٢٥) ، وأبو داود الطيالسي في « مسنده » (ص ٢٤٨ ، ح ١٧٩٣) ، والطبراني في « الكبير » (١/ ٢١٥) ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٩١٥) ، و« الصحيحة » (١٢٦) .

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (١/ ٨٩) ، والطبراني في « الكبير » (١/ ٢٤٣) ، والحاكم في « المستدرک » (٣/ ٣٦٧) ، وقال الحاكم : « هذه الأحاديث صحيحة عن أمير المؤمنين عليّ وإن لم يخرجها بهذه الأسانيد » . ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٨٧٧) ، و« ظلال الجنة » (١٣٨٨) .

النبي ﷺ في طلحة : «شاهد» ، ولم يخبر النبي ﷺ أن قاتل الزبير في النار .

ومن ثم ؛ فلا يجوز البتة لأحد أن يلعنهم أو أن يتبرأ منهم أو أن يفسقهم أو أن يبطل فضائلهم وجهادهم ، وعظيم عنائهم في الدين - رضي الله عنهم «١٠٠ هـ . بتصرف .

○ إذا ؛ السبب الذي أوقع الخلاف بين أصحاب النبي - عليه الصلاة والسلام - هو المطالبة بدم عثمان ، فريق يطالب بإقامة الحد على قتلة عثمان فوراً ، وفريق يطالب بالتأجيل والإرجاء ، حتى تلتقي كلمة المسلمين ، وحتى تلتقي هذه الجموع المشتتة وتقوى شوكتهم ، ويستطيع عليٌ بقوة ومنعة أن يقيم الحد على هؤلاء البغاة الذين وصل عددهم إلى ما يزيد على ستة آلاف .

وقد بينت - في الفصل السابق - فقه عليٌ وحكمته ، وأن قضية إنكار هذا المنكر تندرج تحت القاعدة الأصولية الكبيرة ، قاعدة مراعاة المفاصد والمصالح ، وترجيح أخف الضررين .

ولهذا السبب أيضاً وقعت الفتنة بين عليٍّ ومعاوية ؓ في موقعة صفين !

وصفّين ( بكسر الصاد مع فاء مشددة مكسورة ) مكانٌ على شاطئ

الفرات في آخر حدود العراق ، وأول حدود الشَّام .

○ وفي هذا الموطن وقعت الفتنة الثانية بين فريق علي عليه السلام وفريق معاوية عليه السلام ، أو بين فريق أهل العراق وفريق أهل الشَّام .

● ودعوني أذكر مرة أخرى لما قتل عثمان عليه السلام حمل النُّعمانُ بن بشير قميصَه الذي قُتل فيه مع أصابع نائلة التي قطعت ، وهي تدافع عنه عليه السلام إلى معاوية عليه السلام في بلاد الشَّام <sup>(١)</sup> ، فلما رأى فريق من الصَّحابة ، وكثير من المؤمنين الصادقين من أهل الشَّام قميص عثمان ، وأصابع امرأته ضجوا جميعاً بالبكاء ، وبايعوا معاوية عليه السلام على المطالبة بدم عثمان – ولم يبايعوه على الخلافة – ولم يحدث ذلك البتة ؛ بل يبايعوه على المطالبة بدم عثمان ، وعلى ألا يعطوا البيعة لعلي عليه السلام إلا إذا أقام الحدَّ عليهم ، أو سلَّم قتلَ عثمان لمعاوية عليه السلام ليقم الحدَّ عليهم باعتباره ابن عم عثمان ، وهو أولى الناس بالمطالبة بدمه ، وهو عامله على الشَّام . وهناك عوامل كثيرة جعلت معاوية عليه السلام يطالب بدم عثمان عليه السلام .

● وفي « تاريخ الطبري » <sup>(٢)</sup> : أن معاوية عليه السلام أرسل رسولاً إلى عليّ ابن أبي طالب عليه السلام فلما دخل الرسول على عليّ قال : لقد تركت ورائي

(١) « تاريخ الطبري » (٣ / ٧٠) ، و « البداية والنهاية » (٧ / ٥٣٩) .

(٢) (٣ / ٤) وكذا « تاريخ ابن خلدون » (٢ / ٦٠٢) ، و « الثقات » لابن حبان (٢ / ٢٧٦) ،

و « البداية والنهاية » (٧ / ٢٣٠) .

ستين ألف شيخ يكون على قميص عثمان ، وهو منصوب لهم ، وقد ألبسوه منبر دمشق .

قال عليٌّ : مني يطلبون دم عثمان ، ! ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ! نجا والله قتلة عثمان ؛ إلا أن يشاء الله .

انظر إلى الفهم العجيب بمجرد أن جاءت هذه الرسالة ، قال عليٌّ تلك المقالة .. لماذا ؟

لأن كلمة المسلمين افرقت ، وفي هذه الفرقة سيضيع دم عثمان ؛ سيضيع الحق ؛ ولذا كان عليٌّ يرجو أن يبايعه معاوية ؛ لتلتقي القوة والجموع - جموع الشام مع جموع أهل العراق - ليستطيعوا من خلال هذه القوة أن يقيموا الحدّ على قتلة عثمان ﷺ ، ولكن افرقت كلمة الأمة ؛ لذا قال عليٌّ : « نجا والله قتلة عثمان ؛ إلا أن يشاء الله ! » .

ولذلك أرسل عليٌّ ﷺ وفداً - وهذا ديدنه وهذا خلقه ؛ كما ذكرنا في وفادته العظيمة - للقعقاع بن عمرو التميمي .

أرسل وفداً إلى معاوية ﷺ وفيهم بشير بن أبي مسعود الأنصاري ، المدني ، وهو تابعي ثقة ، روى عن أبيه الصحابي الجليل أبي مسعود البدري ﷺ .

فقال بشير لمعاوية : أدعوك إلى تقوى ربك ، وإجابة ابن عمك عليٍّ ،

إلى ما يدعوك إليه من الحق ؛ فإنه أسلم في دينك ، وخير لك في عاقبة أمرك ؛ فقال معاوية رضي الله عنه : ويبطل دم عثمان ؟! لا والرحمن لا أفعل ذلك أبداً ؟ <sup>(١)</sup>.

■ فكتب معاوية إلى علي رضي الله عنه يقول له : إن كنت صادقاً فأمكننا من قتله نقتلهم به ، ونحن أسرع إليك إجابة وأطوعهم طاعة ، وإلا فليس لك ولأصحابك عندنا إلا السيف ، فوالله الذي لا إله غيره ، لنطلبن قتلة عثمان في البر والبحر والجبال والرّمال حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله ، والسلام ! <sup>(٢)</sup>.

■ وذكر يحيى بن سليمان الجعفي <sup>(٣)</sup> في كتاب « صفين » بسند جيد كما قال الحافظ في « الفتح » عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية : أنت تنازع علياً في الخلافة - أو أنت مثله ؟! فقال معاوية : لا أنازعه في الخلافة ، وإني أعلم أنه أفضل مني وأحقُّ بالأمر مني ، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ووليه وأطلب بدمه ؟!

فأتوا علياً فقولوا له : يدفع لنا قتلة عثمان . فكلّموه ، فقال علي :

(١) « تاريخ الطبري » (٧٧/٣) ط العلمية .

(٢) المصدر السابق (٦٦٧/٢) و « الثقات » لابن حبان (٢/٢٨٧).

(٣) انظر : « فتح الباري » (٨٦/١٣) ، و « البداية والنهاية » (١٢٩/٨) ، و « تاريخ الإسلام »

(٤٦٥/١) ، وقد روي من غير وجه عن أبي مسلم كما قال ابن كثير .

يدخل في البيعة ويحاكمهم إليّ! فامتنع معاوية - رضي الله عنهم جميعاً .

■ وروى ابن مزاحم في كتابه « وقعة صفين » : أن أبا مسلم الخولاني قال : تناوئته ، وليست لك سابقة ؟!

يقول أبو مسلم لمعاوية : تناوئ عليّاً وليست لك سابقة ؟ - أي : من أنت بجوار عليٍّ - فعليٌّ ﷺ هو السابق ، فقال معاوية : لست أدعي أنّي مثل عليٍّ في الفضل ؛ ولكن هل تعلمون أن عثمان قُتلَ مظلوماً ؟ قالوا : نعم ، قال : فليدفع لنا قتلة عثمان حتى نسلّم له في هذا الأمر .

■ وذكر القاضي ابن العربي - رحمه الله تعالى <sup>(١)</sup> - في كتابه الماتع « العواصم » : أن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين الموقف بينهما ، فهؤلاء - أي أهل العراق - يدعون إلى عليٍّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام .

وهؤلاء - أي : أهل الشام - يدعون إلى التّمكن من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يأوي القتلة!

وقد بينت مراراً أن عليّاً ﷺ لا يستطيع في هذا الوقت أن يُقيم الحدّ على هذه الجموع التي تفرق بينها دم عثمان ﷺ .

■ ويقول إمام الحرمين الجويني - رحمه الله - في « لمع الأدلة في عقائد

(١) « العواصم من القواصم » (١٦٦) بتصرف .

أهل السنة والجماعة» <sup>(١)</sup> : إن معاوية وإن قاتل علياً ؛ فإنه لا يُنكر إمامته - أي : لا ينكر معاوية إمامة عليٍّ ولا يدّعيها لنفسه - وإنما كان يطلب قَتْلَ عثمان ظناً منه أنه مصيب ، وكان مخطئاً ﷺ .

• أمّا شيخ الإسلام ابن تيمية - طيب الله ثراه - فإنه يقرّر كذلك أن معاوية لم يدّع الخلافة ولم يُبايع له بها حين قاتل عليّاً ، قال : وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطّائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليّاً ولا معاوية . وكان عليٌّ ومعاوية - رضي الله عنهما - أطلب لكفّ الدّماء من أكثر المقتتلين لكن غلبا فيما وقع . والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها . وكان في العسكريين مثل : الأشتر النخعي ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلمي ، ونحوهم من المحرّضين على القتال ، قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار وقوم ينفّرون عنه ، وقوم ينتصرون لعلي وقوم ينفّرون عنه ، ثم قتال أصحاب معاوية معه ، لم يكن بخصوص معاوية ؛ بل كان لأسباب أخرى .

وقتلٌ مثل قتال الجاهلية لا تنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم ؛ كما قال الزهري : وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله متوافرون ، فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن ، فإنه هدر أنزلوهم

(١) « لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة » (١١٥) .

منزلة الجاهلية<sup>(١)</sup> . ا.هـ

فلم يقاتل معاوية على أنه خليفة ، ولا لأنه يستحق الخلافة ، وكان معاوية يقرُّ بذلك لمن يسأله .

• قال ابن حزم في «الفصل»<sup>(٢)</sup> : «ولم ينكر معاوية قط فضل عليٍّ ، واستحقاقه الخلافة ، ولكن اجتهاده أدّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان ﷺ على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان » .

○ ويورد ابن كثير روايتين في هذا الموضوع في غاية النفاسة والدقة :  
• الرواية الأولى : عن أبي الدرداء وأبي أمامة ؓ أنهما دخلا على معاوية ، فقالا له : يا معاوية ، علام تقاتل هذا الرجل ؟ - أي : عليًّا ؓ -  
فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلامًا ، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ ، وأحقُّ بهذا الأمر منك !

فقال معاوية : أقاتله على دم عثمان ، وأنه آوى قتلته ؛ فاذهبا إليه فقولا له : فليقدّنا من قتلة عثمان ، ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشّام<sup>(٣)</sup> .

• أما الرّواية الثانية : فتذكّر أن عليًّا ؓ بعث إلى معاوية يدعوه إلى بيعته ، وأعطاه كتابًا بذلك ؛ فاستشار معاوية عمرو بن العاص ،

(١) راجع «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٣٨٣-٤٦٧) ، و«مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٧٢) .

(٢) (٤/ ١٦٠) .

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٠) .

ورؤوس أهل الشام ، فكان منهم جميعاً أن أبوا أن يبايعوا علياً حتى يقتل قتلة عثمان أو يسلمهم إليهم - رضوان الله عليهم جميعاً <sup>(١)</sup> .

• يقول الحافظ ابن حجر في «الإصابة» <sup>(٢)</sup> : « ثم قام معاوية في أهل الشام ، وكان أميرها لعثمان ولعمر من قبله ، فدعا إلى الطلب بدم عثمان » .

• ويقول الهيثمي <sup>(٣)</sup> : « ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي عليه السلام من حروب لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة ، للإجماع على أحقيتها لعلي ، فلم تهج الفتنة بسببها - أي : بسبب الخلافة - ولكن هاجت الفتنة بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه ؛ فامتنع علي عليه السلام » .

ويمكن القول - بعد هذه النقول : أن معاوية عليه السلام كان مجتهداً متأولاً ، يغلب على ظنه أن الحق معه ؛ ولذلك قام معاوية بنفسه خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم ، وذكرهم بأنه وليُّ عثمان ، وأنه ابن عمّه ، وأن عثمان قُتل مظلوماً ، وقرأ عليهم قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣] .

(١) ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ٢٥٤) .

(٢) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٤٦٥ ط العلمية) .

(٣) «الصواعق المحرقة» (٢/ ٦٢٢) .

يتأول الآيات كما تأولت عائشة رضي الله عنها قول الله - الذي ذكرت قبل ذلك :

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤].

○ ثمَّ قال معاوية : أنا أحبُّ أن تعلموني ذات أنفسكم - أي : أخبروني بما يدور في صدوركم من قتل عثمان - ؛ فقام أهل الشَّام جميعاً بالطلب بدم عثمان، وبأبعوه على ذلك ، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم ، أو يفني الله أرواحهم جميعاً<sup>(١)</sup>.

وهذا الخطأ في التأويل يبرهن عليه قول عمار بن ياسر رضي الله عنه في موقعة صفين .

فعن زياد بن الحارث - له صحبة - قال : « كنتُ إلى جنب عمار بن ياسر في صفين ، وركبتي تمس ركبتَه . يقول : فقال رجل : كفر أهل الشَّام - يحكم عليهم بالكفر - فقال عمار بن ياسر رضي الله عنه : لا تقولوا ذلك ؛ نبينا ونبيَّهم واحد ، وقبلتنا وقبلتهم واحدة ، ولكنهم قوم مفتونون ، جاروا عن الحقِّ ، فحقُّ علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه »<sup>(٢)</sup> أي : إلى مبايعة عليّ.

عمار الذي قال النبيُّ ﷺ في حقِّه كما في الصحيحين من حديث أبي

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٧٢٢) ، وابن عساكر (١/ ٣٤٨).

سعيد الخدري رحمته الله : « تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » <sup>(١)</sup> ، فأثبت النبي صلى الله عليه وآله بغياً وظلماً من فريق معاوية على فريق عليٍّ ، ومع ذلك لم يُخْرِجِ النبي صلى الله عليه وآله الفئتين والطائفتين من الإيمان ؛ كما سأبين - إن شاء الله تعالى .

• قال ابن حجر في «الفتح» <sup>(٢)</sup> : « وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعليٍّ وعمار ، وردَّ على النواصب الزاعمين : أن عليّاً لم يكن مصيباً في حروبه » .

وقال <sup>(٣)</sup> : « دلَّ الحديث على أن عليّاً كان المصيب في تلك الحروب ؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه » - يعني عماراً رحمته الله .

• وقال النووي <sup>(٤)</sup> : « وكانت الصَّحابة يوم صفين يتبعونه ، حيث توجه - أي عمار - لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة ، لهذا الحديث » .

• وقال ابن كثير <sup>(٥)</sup> : « كان عليٌّ وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم » .

• وقال <sup>(٦)</sup> : وهذا مقتل عمار بن ياسر رحمته الله مع أمير المؤمنين عليٍّ بن

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب التعاون في بناء المسجد (٤٧٤) ، ومسلم ، كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... (٢٩١٥) ، (٢٩١٦) عن أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) (١/٦٤٦) .

(٣) (١٣/٩٢ الفتح) .

(٤) «تهذيب الأسماء» (٢/٣٨) .

(٥) «البداية والنهاية» (٦/٢٢٠) .

(٦) «البداية» (٧/٢٧٧) .

أبي طالب ، قتله أهل الشَّام ، وبيان وظهر بذلك سرُّ ما أخبر به الرَّسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية ، وبيان بذلك أن عليًّا محقٌّ ، وأن معاوية باغٍ ، وما في ذلك من دلائل النبوة .

■ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية <sup>(١)</sup> : «وهذا يدلُّ على صحة إمامة عليٍّ ، ووجوب طاعته ، وأن الدَّاعي إلى طاعته داعٍ إلى الجنة ، وأن الدَّاعي إلى مقاتلته داعٍ إلى النَّار ، وإن كان متأولاً أو باغياً بلا تأويل ، وهو أصحُّ القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًّا ، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرَّعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين» .

ومع هذا التأصيل في أن الحقَّ مع عليٍّ ومن معه ، وقع القتال بسبب التأويل ؛ بل واشتدَّ في موقعة صفِّين ، واحتدم ليلة السبت من شهر صفر سنة سبع وثلاثين من هجرة النبي ﷺ ، وكانت هذه الليلة تسمَّى بليلة الهريز ؛ فدار القتال فيها حتى الصَّباح - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فوقع خلق كثير قتلى .

وهنا رفع أهل الشَّام المصاحف في ساحة المعركة ، ورفعوا أصواتهم ينادون بالصُّلح والعودة والاحتكام إلى كتاب الله - جلَّ وعلا .

وبمجرد أن رفع أهل الشام المصاحف على أسنة السيوف والرماح ، في أرض المعركة بعدما كادت المعركة تنتهي لصالح عليؑ ؛ إلا وقال فريق كبير من جيش عليؑ يقال له حينئذ : القراء - الذين يُعرفون باسم الخوارج - قالوا : لا بد من التحاكم إلى كتاب الله !

وهل خرج عليؑ إلا لينصر كتاب الله سبحانه وتعالى ؟!





# قضية التَّحْكِيم



## قضية التحكيم

وهنا وقع كلامٌ كثيرٌ في كتب السير في قضية التَّحْكِيم بعد أن اختار فريقُ العراق أبا موسى الأشعري ، واختار فريق الشَّام عمرو بن العاص .

■ يقول الإمام ابن العربي في كتابه الماتع « العواصم من القواصم » <sup>(١)</sup> :  
«وهنا قال النَّاس في أمر التَّحْكِيم كلامًا لا يرضاه الله ، إذا تدبرتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم أنَّها سخافة ، حمل على تسطيرها في الكتب في الأكثر عدم الدِّين ، وفي الأقل جهل متين ، والذي صحَّ من ذلك ما روى الأئمة ، كخليفة بن خياط والدارقطني : أنه لما خرج الطَّائفة العراقية مائة ألف ، والشَّامية في سبعين - أو تسعين - ألفًا ، ونزلوا على الفرات بصفين اقتتلوا في أول يوم ، وهو الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وليلة السَّبت ، ورُفِعَت المصاحف من أهل الشَّام ، ودعوا إلى الصُّلح ، وتفرَّقوا على أن تجعل كلُّ طائفة أمرها إلى رجل ، حتى يكون الرَّجلان يحكمان بين الدَّعَوَيْنِ بالحقِّ ؛ فكان من جهة عليٍّ : أبو موسى الأشعري ، ومن جهة معاوية : عمرو بن العاص .

(١) (١٧٥ - ١٧٩ بتصرف في المعنى).

وكان أبو موسى رجلاً تقيّاً ثَقَفًا فقيهاً عالماً ، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ بن جبل ، وقدمه عمر بن الخطاب ، وأثنى عليه بالفهم ، وزعمت الطائفة التاريخية الرّكيكة أنه كان أبْلَه ضعيف الرّأي مخدوعاً في القول ! وأن ابن العاص كان ذا دهاءٍ وأرب ، حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد ، وتبع في ذلك بعض الجهال ، وصنّفوا فيه حكايات ، وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى ، وإنما بنوا ذلك على أن عمرًا لما غدر بأبي موسى في قصّة التّحكيم صار له الذّكر في الدهاء والمكر .

وقالوا : إنَّهما لما اجتمعا بأذْرُح من دُومَةِ الجُنْدَل - قرية بالشّام - وتفاوضا ، اتفقا على أن يخلعا الرجلين ! ؛ فقال عمرو لأبي موسى : اسبق بالقول ؛ فتقدم ؛ فقال : إني نظرتُ فخلعت عليّاً من الأمر ، وينظر المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفي هذا من عنقي - أو من عاتقي - وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض . وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض ، وقال : إني نظرتُ فأثبتُّ معاوية في الأمر كما أثبتُّ سيفي هذا في عاتقي . وتقلده ، فأنكر أبو موسى ؛ فقال عمرو : كذلك اتفقنا . وتفرّق الجميع على ذلك من الاختلاف .

○ وهذه رواية الإمام الطبري<sup>(١)</sup> عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال :

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ١١٢ ط العلمية) .

حدثني أبو جناب الكلبي أن عَمْرًا رضي الله عنه وأبا موسى رضي الله عنه التقيا بدومة الجندل - المكان الذي تم فيه الصلح - أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام يقول : إنك صاحب رسول الله وأنت أسنّ مني ؛ فتكلم وأتكلم ؛ فكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كل شيء ، قصد بذلك أن يقدمه ؛ ليبدأ أبو موسى بخلع عليّ .

قال : فنظرا في أمرهما ، وما اجتماعا عليه ، فأراد عمرو على معاوية فأبى - يعني : طلب عمرو من أبي موسى أن يثبت معاوية خليفة فأبى - وأراد عمرو على ابنه عبد الله بن عمرو فأبى ، وأراد أبو موسى عمراً على عبد الله بن عمرو فأبى - أي : فأبى عمرو بن العاص - فقال له عمرو : خبّرني ، ما رأيك ؟ قال : رأيي أن نخلع هذين الرجلين ! (هذه أول أكذوبة : نخلع هذين الرجلين من ماذا ؟ من الخلافة ، وهل معاوية خليفة ؟) - ونجعل الأمر شورى بين المسلمين فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا . فقال له عمرو : إن الرأي ما رأيته !

فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ؛ فقال عمرو : يا أبا موسى ، أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق . فتكلم أبو موسى فقال : إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله تعالى به أمر هذه الأمة ؛ فقال عمرو : صدق وبرّ ، يا أبا موسى تقدم فتكلم . فتقدم أبو موسى ليتكلم ، فقال ابن عباس لأبي موسى : والله إني لأظنه قد خدعك ؛ إن

كنتما قد اتفقتما على الأمر ، فقدّمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك يا أبا موسى ، ثم تكلم أنت بعده ؛ فإنّ عمرًا رجل غادر !! أعوذ بالله - هذا كلام ابن عباس على حدّ الرواية المكذوبة الموضوعه ؛ كما سأيّن الآن - يقول فيها : ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ؛ فإذا قمت في الناس خالفك - وكان أبو موسى مغفلاً - ! كذا في الرواية . فقال له أبو موسى : إنا قد اتفقنا .

فتقدم أبو موسى فحمد الله ﷻ وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه . وهو أن نخلع عليًا ومعاوية . وتستقبل الأمة هذا الأمر ؛ لتؤولي من أحبّت عليها ، وإني قد خلعت عليًا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً .

ثم تنحى أبو موسى الأشعري ؛ فقام عمرو مقامه ؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه - أي عليًا - كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ؛ فإنّه وليّ عثمان ، والطالب بدمه ، وأحقّ الناس بمقامه .

فقال أبو موسى : ما لك لا وفقك الله ؟ ! غدرت وفجرت ، إنّما مثلك كمثّل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ؟ فقال عمرو : وإنّما مثلك كمثّل الحمار يحمل أسفارًا !!

فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسَّوط ، وحمل على شريح : ابنُ عمرو ، فضربه بالسَّوط ، فقام النَّاس فحجزوا بينهم .

وكان شريح بن هانئ بعد ذلك يقول : ما ندمت على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسَّوط ، ألا أن أكون ضربته بالسَّيف آتياً به الدهر ما أتى والتمس أهل الشَّام أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكة .

قال ابن عباس : قَبَّحَ اللهُ رأي أبي موسى ، حَذَّرته وأمرته بالرَّأي فما عقل ، فكان أبو موسى يقول : حَذَّرني ابن عباس غدرة الفاسق ، ولكنني اطمأنت إليه ، وظننت أنَّه لن يؤثر شيئاً على نصيحة الأُمَّة ؟ ثم انصرف عمرو وأهل الشَّام إلى معاوية وسلَّموا عليه بالخلافة ، « قالوا : يا أمير المؤمنين » ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى عليٍّ ، وكان عليٌّ إذا صَلَّى الصُّبح يقنت ، ويقول : اللَّهُمَّ العن معاوية وعُمراً وأبا الأعور السُّلمي وحبیباً وعبد الرَّحمن بن خالد والضَّحاک بن قيس والوليد ، فبلغ ذلك معاوية فكان يقنت هو الآخر في صلاة الصُّبح ويقول : اللَّهُمَّ العن عليّاً وابن عباس والأشتر والحسن والحسين ولدا علي . اهـ <sup>(١)</sup> .

هذه الرواية العمدية ، وأظنُّ من طالع أيِّ كتاب في الفتنة سواء أكان سفرًا كبيرًا أو كتابًا صغيرًا إلا وقد وقف على هذه الرواية بكاملها ،

(١) راجع : « تاريخ الرسل للطبري » ( ٧١ ، ٧٠ / ٥ ) .

والرّواية مكذوبة باطله ، لا تصحُّ سندًا ولا متناً ، وخذوا هذا التّفصيل المهم ، وأرجو أن تعضّوا عليه بالنّواجذ ، فأبو مخنف لوط بن يحيى وهو أوّل رجال السّند في هذه الرواية : يقول أهل الجرح والتّعديل في هذه الشّخصية ما يلي :

قال أبو حاتم : متروك .

وقال الدّارقطني : ضعيف .

وقال ابن معين - إمام الجرح والتّعديل : ليس بثقة .

وقال ابن عدي : شيعيٌّ محترق ، صاحب أخبارهم .

وقال الآجريُّ : سألتُ أبا حاتم عن لوط بن يحيى ، فنفض يديه وقال : وهل يسأل أحدٌ عن هذا ؟!

وقال الذهبيُّ : إخباري تالف لا يوثق به .

هذا هو الرّاوي الأول من رواة سند هذه الرواية المكذوبة الباطلة .

الرّاوي الثاني : هو أبو جناب الكلبي ، قال فيه ابن سعد : كان ضعيفاً .

وقال البخاريُّ وأبو حاتم : كان يحيى بن القطّان يضعفه .

وقال عثمان الدارميُّ : ضعيف .

وقال النسائي : ضعيف .

هذا هو السند ؛ فالرواية لا تصح سنداً ، ولا تصح أيضاً متناً . كما سأبين .

أما متن الرواية ؛ فمن المعروف والمتفق عليه كما أكّدت وفصلت وبينت وأصلت - قبل ذلك : أن الخلاف بين عليٍّ ومعاوية لم يكن بسبب الخلافة ، وإنما كان بسبب دم عثمان ؛ ولم يطلب البيعة على الخلافة ؛ بل ولم يبايع أهل الشام معاوية بالخلافة إطلاقاً ، لم يثبت هذا حتى في الروايات الباطلة المكذوبة الموضوعية التي عرضت بعضها الآن .

فالخلاف بين عليٍّ ومعاوية لم يكن بسبب الخلافة ، وإنما كان بسبب القصاص من قتلة عثمان ، فكان معاوية يُصرُّ ألا يعطي البيعة لعليٍّ إلا إذا أقام الحدَّ على قتلة عثمان ، أو أن يسلم قتلة عثمان لمعاوية ؛ ليقيم هو بنفسه الحدَّ عليهم .

• يقول ابن حزم<sup>(١)</sup> في هذا الصدد : «إنَّ عليّاً قاتَلَ معاوية ؛ لامتناعه من تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام ، وهو الإمام الواجب الطاعة ، ولم ينكر معاوية قطُّ فضل عليٍّ واستحقاقه الخلافة . لكنَّ

(١) «الفصل في الملل» (٤/ ١٦٠).

اجتهاده - أي : معاوية - أذاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة ، ورأى نفسه أنه أحقُّ النَّاس بطلب دم عثمان ؛ لسنَّه وقوّته على الطَّلَب بذلك ، وأصاب في هذه ، وإنّا أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط .

وبذلك فهم الخلاف على هذه الصورة ، وهذه هي صورة الخلاف الحقيقة ، تبين إلى مدى خطأ الرواية التي ذكرتها الآن في قضية التَّحْكِيم هذه واحدة .

أما الثانية : فإنه لا يستقيم بأي حال أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان في قضية التَّحْكِيم ضحية خدعة كبرى لعمر بن العاص رضي الله عنه .

هذا ينافي الحقائق الكبيرة الثَّابتة في السَّير والسُّنَّة والتَّاريخ ، في فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفطنته ودينه وفقهه .

فلقد استعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن ، واستعمل أبا موسى بعد النبي ﷺ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب على البصرة ، وبقي أبو موسى والياً على البصرة إلى أن قُتِلَ عمر ، فاستعمله عثمان بن عفان على البصرة ثم الكوفة ، وبقي أبو موسى والياً على الكوفة إلى أن قتل عثمان ، فأقرَّه علي رضي الله عنه والياً على الكوفة .

فهل يتصور أن يثق رسولُ الله ﷺ وعمرُ وعثمانُ وعليُّ برجل

يمكن أن يقال بأنه رجلٌ مغفلٌ؟!

ثم لقد شهد الصحابةُ وكثيرٌ من علماء التابعين لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه بالرُّسوخ في العلم والكفاءة في الحكم ، والفطنة والذكاء والكياسة في القضاء بشهادة عمر .

• فعن أنس رضي الله عنه قال <sup>(١)</sup> بعثني أبو موسى الأشعري ، إلى عمر بن الخطّاب ، فقال لي عمر : كيف تركت الأشعري ؟ قال أنس : تركته يعلمُ الناس القرآن . فقال عمر : أما إنه كَيِّسٌ ، ولا تسمعها إياه - يعني : فطن عاقل ذكي ألمعي عبقرى .

ويخاف عمر أن يُسمع أنسُ أبا موسى كلمة ثناء من عمر فتفسده !

■ وقال الشعبيُّ : كتب عمر في وصيته : «ألا لا يقرُّ لي عامل أكثر من سنة ، وأقرّ الأشعري أربع سنين» <sup>(٢)</sup> ، هذا أبو موسى الأشعري !

■ وروى الفسوي <sup>(٣)</sup> الإمام الثقة الكبير - عن أبي البخري قال : «أتينا عليّاً رضي الله عنه فسألناه عن أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله فقال : تسألوني عن مَنْ ؟ ! قلنا : نسألك عن أبي موسى الأشعري . قال عليٌّ : صُبغ في العلم صبغة !» .

(١) «الطبقات» لابن سعد (٢/٣٤٥) (٤/١٠٨) وابن عساكر في «تاريخه» (٣٢/٦٩) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٢/٨١) وانظر : «البداية والنهاية» (٨/٦٠) .

(٣) أخرجه الفسوي في «تاريخه» (٢/٥٤٠) وانظر «السير» للذهبي (٢/٣٨٨) .

• وقال مسروق <sup>(١)</sup> : « انتهى القضاء في أصحاب النبي ﷺ إلى ستة : عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبي موسى الأشعري » .

• وقال الأسود بن يزيد : « لم أر بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى الأشعري » ! <sup>(٢)</sup> .

• وقال صفوان بن سليم : « لم يكن يفتي في المسجد في زمن رسول الله ﷺ غير هؤلاء : عمر ، وعلي ، ومعاذ ، وأبو موسى الأشعري ! » <sup>(٣)</sup> .  
وقد ثبت أن أبا موسى الأشعري كان ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ ، وكان من المشهورين بتعليمه للناس ، ومن المعلوم أن فقه الناس في السلم والحرب - في هذه الأيام - لا يؤخذ إلا من القرآن .

إذا علمت ذلك علمت مكانة أبي موسى الأشعري ﷺ ؛ حتى خصّه عمر بن الخطاب بكتابة القضاء وسياسة الحكم ؛ فكيف يمكن بعد ذلك أن نتصور غفلة أبي موسى الأشعري ﷺ إلى هذا الحد حتى لا يفقه حقيقة النزاع الذي كُلف هو وعمر في الحكم فيه ؟ !

(١) أخرجه الفسوي (١/ ٤٨١) ، وابن عساكر (١٩/ ٣١٤) .

(٢) «السير» الذهبي (٢/ ٣٨٨) .

(٣) أخرجه ابن عساكر (٣٢/ ٦٦) .

وإذا كان علم أبي موسى الأشعري عليه السلام وخبرته في القضاء يحولان بينه وبين أن يخطيء الحكم في القضية التي أوكل إليه أن ينظر في أمرها ؛ فإن ذلك أيضًا هو نفس الشأن مع الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه .  
وعمر بن العاص بشّر النبي صلى الله عليه وسلم حين أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقضي بين خصمين في حضرته .

فقال عمرو : أقضي وأنت حاضر يا رسول الله ؟! فبين له النبي صلى الله عليه وسلم وبشّره بهذه البشارة التي هي من أعظم البشارات للأمة من بعد عمرو ، بين له صلى الله عليه وسلم بأنه إن أصاب له أجران ، وإن أخطأ له أجر واحد ؛ حين قال له :

« إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » .

فهل كان عمرو بن العاص في أداء مهمته رجلاً تُسَيِّرُهُ الأهواء والمنافع والمصالح وتطغى على ورعه وتقواه وإيمانه ودينه ؟! لا والله!!  
فعمر بن العاص رضي الله عنه كان من أجلاء الصحابة وأفاضلهم ، ومناقبه وفضائله كثيرة .

( أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٧٣٥٢) ، ومسلم في كتاب الأقضية ، باب : بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٧١٦) .

• أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال : « عَمَرُو بَنُ الْعَاصِ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ » <sup>(١)</sup> .

• وروى كذلك الإمام أحمد والترمذي بسند رجاله ثقات ، وَحَسَنَهُ شيخنا الألباني - رحمه الله - في « صحيح سنن الترمذي » ، عن عقبه بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَسْلَمَ النَّاسُ ، وَآمَنَ عَمَرُو بَنُ الْعَاصِ » هذه شهادة من رسول الله ﷺ : أسلم الناس ، وآمن عمرو بن العاص ! .

■ وفي « مسند أحمد » <sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ عَمَرُو وَهَشَامٌ » .

• وفي « مسند أحمد » بسند منقطع من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « نِعَمَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَبْدُ اللَّهِ » أي : عبد الله بن

(١) أخرجه أحمد (١/١٦١) ، والترمذي كتاب المناقب ، باب مناقب لعمر بن العاص (٣٨٤٥) وقال : « وليس إسناده بمتصل وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة » وقد صححه الشيخ الألباني بشواهد في الصحيحة (٦٥٣) وانظر ما بعده .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب . باب : مناقب عمرو بن العاص رضي الله عنه (٣٨٤٤) وأحمد في مسنده (٤/١٥٥) والطبراني في الكبير (١٧/٣٠٦) (٨٤٥) ، وقال أبو عيسى : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن مشر بن هاعان ، وليس إسناده بالقوي » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٩٧١) ، والصحيحة (١٥٥) .

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٠٤ ، ٣٢٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤) ، والنسائي في « الكبرى » (٨٣٠٠) ، والحاكم (٣/٢٦٨) ، والطبراني في « الكبير » (٤٦١) (٢٢/١٧٧) ، وفي « الأوسط » (٦٧٥٢) وحسنه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (١٥٦) .

عمرو ، « وَأَبُو عَبْدُ اللَّهِ وَأُمُّ عَبْدُ اللَّهِ » <sup>(١)</sup> .

■ وقال قبيصة بن جابر - وهو الكوفي أبو العلاء ، وهو مترجم له في الطبقة الأولى في الصحابة : « صحبت عمرو بن العاص ، فما وجدت رجلاً أبين أو أنصع رأياً ، ولا أكرم جليساً منه ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه » <sup>(٢)</sup> .

هذه شهادة في حق الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه .

■ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كلام نفيس <sup>(٣)</sup> :  
« إن أحداً من السلف لم يتهم عمرو بن العاص ومعاوية رضي الله عنهما بنفاق أو خداع ؛ فعمر بن العاص وأمثاله ممن قدم مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/١٦١) ، وأبو يعلى (٦٤٥-٦٤٧) وقال الهيثمي في «المجمع» (٥٨٩/٩) : «قلت : رواه الترمذي باختصار ، ورواه أبو يعلى وأحمد بنحوه ، ورجاله ثقات» ، وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/٦٥٢) : «رجال سنده ثقات ، إلا أن فيه انقطاعاً بين ابن أبي مليكة مرسلًا لم يذكر طلحة» . وللحديث شواهد عديدة ؛ منها : ما أخرجه أحمد (٤/١٥٠) ، و«ابن عساكر» (٣١/٢٥٠) عن عقبة بن عامر مرفوعاً .

وأخرجه ابن عدى في «الكامل» (٢/٤١٢) ، وابن عساكر (٤٦/١٣٩) عن جابر مرفوعاً .

وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٤٦) عن المطلب مرسلًا . وانظر «كنز العمال» (١١٦٠/١١) .

(٢) أخرجه الطبراني في «تاريخه» (٣/٢٦٩) ، وابن أبي خيثمة ؛ كما في «الإصابة» لابن حجر (٤/٦٥٢) ، وابن عساكر (١٩/١٨٢ ، ١٨٣) .

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/٦٦٠٦٣) .

الحديبية ، هاجروا إليه من بلادهم طوعاً لا كَرْهًا ، والمهاجرون لم يكن فيهم منافق ، وإنَّما كان النِّفاق في بعض أهل المدينة !

إذ لما دخل في الإسلام أشرافهم وجمهورهم احتاج الباكون أن يظهرُوا الإسلام نفاقاً ؛ لعزِّ الإسلام وظهوره في قومهم ، وأمَّا أهل مَكَّة فكان أشرافهم وجمهورهم كَفَّارًا ، فلم يكن يظهر الإيمان إلا من هو مؤمن ظاهرًا وباطنًا ؛ فَإِنَّه كان من يظهر الإسلام يؤذِي ويهجر ، وإنَّما المنافق يظهر الإسلام لمصلحة دنياء ، ولو كان عمرو بن العاص ومعاوية وأمثالهما ممن يتخوف منهما النِّفاق لم يولُّوا على المسلمين ؛ فعمر بن العاص أمَّره النبي ﷺ في غزوة ذات السَّلاسل – يعني : اختار النبي ﷺ عمرو بن العاص أميرًا في غزوة ذات السَّلاسل – واستعمل أبا سفيان بن حرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على نجران ؛ فقد اتفق المسلمون على أن إسلام معاوية خيرٌ من إسلام أبيه – أي : أبو سفيان – فكيف يكون هؤلاء منافقين ، والنبي ﷺ يَأْتُمْنَهُمْ على أحوال المسلمين في العلم والعمل « !!؟

○ أما ما قيل : إن عليًّا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه ، فهذه فِرْيَةٌ يغني فسادها عن إفسادها ، ويغني بطلانها عن إبطالها ، ويغني كسادها عن إكسادها !!!

فمعلوم أن علياً عليه السلام كان من أعظم الصحابة وقوفاً عند كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامثالاً لأمره ، واجتناباً لنهييه ، ووقوفاً عند حدّه ، وهو المبشر بالجنة في هذه الدنيا ، وهو المبشر بأن الله ورسوله يجبان علياً : «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» <sup>(١)</sup> .

شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام ؛ فهل يتصور بعد ذلك أن علياً يقنت ليلعن معاوية وأصحابه ؟ فهذا ضلال وإفك مبین !!

• والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول :

« مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ » .

والحديث في «الصحيحين» <sup>(٢)</sup> من حديث ثابت بن الضحاك .

• ويقول صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » <sup>(٣)</sup> .

والحديث في « صحيح مسلم » من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

• ويقول - عليه الصلاة والسلام :

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة خيبر (٤٢٠٩) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٧) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب : ما ينهي عن السباب واللعان (٦١٠٥، ٦٠٤٧) ، ومسلم ، كتاب الإيمان باب تغليظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١١٠) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب : النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٥٩٨) .

«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ ، وَلَا الْفَاحِشِ ، وَلَا الْبَذِيءِ»

والحديث أخرجه الترمذي وأحمد في «مسنده» والبخاري في «الأدب» المفرد وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١).

بل لما بلغ علياً عليه السلام أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام ، أرسل عليٌّ إليهما؛ فقال : «كُفَّا عَمَّا يَبْلُغُنِي عَنْكُمَا أَفَاتِيَا فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : بَلَى وَرَبَّ الْكَعْبَةِ الْمُسَدَّنَةُ ! فَقَالَا : فَلِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ شَتْمِهِمْ وَلَعْنِهِمْ ؟! قَالَ عَلِيٌّ : كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ ، وَلَكِنْ قُولُوا : اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلَحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَأَبْعِدْهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقُّ مَنْ جَهْلَهُ ، وَيَرْعَوْيَ عَنِ الْغِيِّ مِنْ لَجَجَ بِهِ» (٢).

هذا هو عليٌّ عليه السلام ، وهذه شيمه وأخلاقه ؛ كيف وقد رباه المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم وكفى !!

أَمَّا معاوية - رضوان الله عليه - فهو من كُتِّبَ وحي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ يا لها من ثقة !! ويا له من تعديل أن يختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاوية ليكتب له

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في اللعنة (١٩٧٧) وقال : «حديث حسن غريب» ، وأحمد في «مسنده» (٤٠٤ ، ٤٠٥) ، وابن أبي شيبه (١٦٢ / ٦) ، وابن حبان (١٩٢) . والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢) ، والحاكم في «المستدرک» (١٢ / ١) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٨١) و«الصحيح» (٣٢٠).

(٢) «الأخبار الطوال» (١٦٥) للدينوري نقلاً عن «تحقيق مواقف الصحابة» (٢ / ٢٣٢).

الوحي ؛ فمعاويةٌ من أفاضل الصَّحابة ، وأصدقهم لهجة ، وأكثرهم حلماً ؛ فهو الذي يقول - والأثر عن معاوية ، أورده الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء »<sup>(١)</sup> وعزاه للمصنف بسند رجاله ثقات .

يقول معاوية : « والله لا أُخَيِّرُ بين أمرين ؛ بين الله وبين غيره ، إلا اخترتُ الله على من سواه !! » .

• وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال في حقِّ معاوية :

« اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ »<sup>(٢)</sup> .

والحديث رواه الإمام أحمد في « مسنده » والترمذي في « جامعه » (في باب مناقب معاوية) ، وصحَّحه شيخنا الألباني في « صحيح سنن الترمذي » .

انظر إلى دعوة النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه .

• وقال ﷺ : « اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْكِتَابَ ، وَقِهِ الْعَذَابَ »<sup>(٣)</sup> والحديث

(١) (٣/ ١٥٠ ، ١٥١) وهو في « المصنف » لعبد الرزاق (٢٠٧١٧) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ٢١٦ ، ٣٦٥) ، والترمذي في كتاب المناقب ، باب : مناقب معاوية بن أبي سفيان (٣٨٤٢) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٥/ ٢٤٠) و (٧/ ٣٢٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٥٨) . وصحَّحه الألباني في « المشكاة » (٦٢٣٥) ، والصحيحة (١٩٦٩) .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/ ١٢٧) و « الفضائل » (١٧٤٨) ، والطبراني في « الكبير » (١٨/ ٦٢٨) ، والبخاري في « تاريخه » معلقاً (٧/ ٣٢٦) ، وابن خزيمة (١٩٣٨) ، وقال =

رواه الإمام أحمد في «مسنده» وفضائل الصحابة بسند حسن ،  
والبخاري في « التاريخ الكبير ».

أما وجه الخطأ الذي وقع فيه معاوية رضي الله عنه هو التعجل ، فمعاوية  
تعجل في أن يقتل علياً قتل عثمان قبل أن يعطيه البيعة .

○ أيها الأحبة الكرام : بعد هذه الجولة التي أسأل الله تعالى أن يزيل  
بها ركام الباطل ؛ أقول : ما الذي حدث بعد ذلك بعد قضية التحكيم ؟  
وما هي النتائج التي وصل إليها الحكماء ؟ وماذا وقع بعد ذلك بين  
علي ومعاوية ؟.

كل هذه الأسئلة أجيب عنها في الفصل التالي – بإذن الله تعالى –  
وأسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،  
وأن يملأ قلوبنا إجلالاً لأصحاب نبينا ﷺ ، ونسأله تبارك وتعالى أن  
يعفو عنا وعنهم ، وأن يغفر لنا ولهم .

وندعو الله – عز وجل – بهذا الدعاء القرآني الرقراق : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ  
لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا  
غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

= الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٣٥٦ / ٩ ) : « وفيه الحارث بن زياد ، ولم أجد من وثقه ، ولم يرو  
عنه غير يونس بن سيف ، وبقية رجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف » وصححه الألباني في  
« الصحيحة » ( ٣٢٢٧ ) .



**التفصيل في  
قضية التحكيم**



## التفصيل في قضية التحكيم

بَيَّنْتُ في الفصل السابق ما نُسَجَّحَ حَوْلَ قضية التَّحْكِيمِ ، من الأساطير والكذب الحَقِيرِ ! ، ومن أهم الروايات التي تدحض ، وتفند الرواية الكاذبة التي استشرت ، وانتشرت ، وسُطِّرت في بطون الكتب والمجلِّدات ؛ ما رواه الدَّارِقُطْنِيُّ عن حُضَيْنِ بن المنذر بن الحارث ، وهو تابعيٌّ ثقة . وثَّقه النسائيُّ وابنُ حبان ، وهو ثقة ، من رجال مسلم ، وحُضَيْنُ كان أميرًا من أمراء عليٍّ يوم صفين وكان شجاعًا شاعرًا مفوهًا <sup>(١)</sup> .

○ فيروي الدَّارِقُطْنِيُّ <sup>(٢)</sup> بسندٍ صحيح عن حُضَيْنِ بن المنذر أنه سأل عمرو بن العاص وقال : « أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه ؟ فقال عمرو رضي الله عنه : لقد قال النَّاسُ في ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا - تدبروا هذا الكلام ، فإنه على لسان عمرو بن العاص رضي الله عنه - يقول : والله لقد قال النَّاسُ في ذلك - أي في أمر التَّحْكِيمِ - ما قالوا ، والله ما كان الأمر كما قالوا ، ولكن قلت لأبي موسى : يا أبا موسى ، ما ترى هذا الأمر ؟ فقال أبو

(١) «الإكمال» لابن ماکولا (١/ ٢١٥) ، و«التقريب» لابن حجر (١٥٢٨) وهو حُضَيْنُ بالضاد المعجمة - مصغراً ؛ كما في «الإصابة» (٣/ ٣٤٣) .

(٢) وأخرجه ابن عساکر في «تاريخه» (٤٦/ ١٧٥) ، وانظر : كما في «العواصم من القواصم» (١٨٠) .

موسى ؑ : أرى أنه في النَّفَر الذين تُوفي رسولُ الله ﷺ وهو راضٍ عنهم . فقال عمرو بن العاص ؓ لأبي موسى ؓ : فأين تجعلني أنا ومعاوية ؟ فقال أبو موسى ؓ : إن يُسْتَعَنُ بكما ففيكما المعونة ، وإن يُسْتَعَنَ عنكما فطالما استغنى أمرُ الله عنكما ! » .

هذه رواية في غاية الأهمية ؛ لأنها تفنِّد الكذب الصَّريح ، والباطل الأسود الذي نُسج حول قضية التَّحْكِيم ، والتي صورت عمرو بن العاص ؓ داهيةً من الدَّواهي ، وصورت أبا موسى الأشعري ؓ رجلاً مغفلاً - كما ذكرت في الفصل السابق !!

وأرجو - أيها الأحبة - أن تتدبَّروا - جيداً - نصَّ وثيقة التَّحْكِيم بين الفريقين ، وبين الحُكَمَاء ، وقد كُتِبَ نصُّ الوثيقة ليلةَ الأربعاء ، ثلاثِ عشرة ليلة بقيت من شهر صفر ، سنة سبع وثلاثين للهجرة ، ونصُّ الوثيقة كما يلي :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه عليُّ بن أبي طالب ، ومعاويةُ بن أبي سفيان -» . ولاحظ أن اسم عليٍّ قد ذُكر مجرداً من لفظة أمير المؤمنين ؛ لأن فريق الشَّام أَصَرَ على أن تُحذَفَ كلمةُ أمير المؤمنين ؛ لأنَّهم لم يُعطوا البيعةَ لعليٍّ ؓ وقَبِلَ عليٌّ - سنرى عِلَّةَ قبوله لهذا الحكم الآن بإذن الله - جُلَّ وعلا - وأرجو أن تتدبروا معي ، لنستخرج الحقَّ من وسط هذا الرُّكام الهائل ، الذي شُحنت به الكتبُ والأسفار .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

هذا ما تقاضى عليه عليُّ بنُ أبي طالب ومعاويةُ بنُ أبي سفيان ، قاضى عليٌّ على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، إنا نزل عند حكم الله ﷻ وكتابه ، ولا يجمع بيننا غير كتاب الله - جلَّ وعلا - وإنَّ كتابَ الله ﷻ بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نُحيي ما أحيَا ، ونُميتُ ما أُمات على ذلك تقاضينا ، وبه تراضينا ، وإن عليًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكمًا ، ورضوا بعمر بن العاص ناظرًا وحاكمًا ؛ فما وجدَ الحكمان في كتاب الله ﷻ وهما : أبو موسى الأشعري وعمر بن العاص القرشي عملاً به ، وما لم يجدَا في كتاب الله ﷻ فالسُّنة العادلة الجامعة غيرُ المُفرقة ، لا يتعمدان لها خلافاً ولا يبغيان فيها بشبهة .

وأخذ الحكمان من عليٍّ ومعاوية ، ومن الجُنُدين من العهود والمواثيق والثقة من النَّاس ، أنهما آمان على أنفسهما وأهلها ، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنَّهما على ما في هذه الصحيفة ، وأنه قد وَجَبَتْ قضيتُهما على المؤمنين ؛ فإن الأمن والاستقامة ، ووضع السِّلَاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، شاهدهم

وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس - أي : على أبي موسى - وعمر بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ، ولا يرداها في حرب ولا فرقة .

وأجلا القضاء - تدبروا هذا - أي : أعطي الحكمان مهلة للتفاوض والتشاور والنقاش مع أهل الفضل والعدل - وأجلا القضاء إلى رمضان بدومة الجندل - والكتاب في شهر صفر - يعني : بعد سبعة أشهر تقريبا - وإن أحببنا أن يؤخرا ذلك أخره على تراضٍ منهما ، وإن توفي أحد الحكمين ؛ فإن أمير الشيعة يختار مكانه .

أي : فإن أمير كل فريق يختار مكان الحكم الذي توفي ؛ فإن أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألو من أهل العدل والقسط ، وإن كان قضيتها الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام ، وإن رضيا - أي الحكمان - وأحببنا ، فلا يخضرها فيه إلا من أرادا ، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة ، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيها إلحادا وظلما . اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة والسلام <sup>(١)</sup> وشهد عليها جمع كبير من أصحاب النبي ﷺ .

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٥٣/٦٥) ، بسنده إلى وهب بن جرير عن أبيه قال : فذكره ، ورواه الطبري في «تاريخه» (١٠٣/٣ ، ١٠٤) بسند فيه أبو مخنف وأبو جناب الكلبي - وقد سبق الكلام عليهما - وانظر : «الثقات لابن حبان» (٢٩٣/٢) و«البداية والنهاية» (٢٧٧/٧ ط المعارف) .

هذا هو نصُّ الوثيقة التي كُتبت ، والتي من خلالها أعطيت المهلة والفرصة لأبي موسى الأشعري ، ولعمرو بن العاص - رضي الله عنهما - ليحكم في القضية التي وُكِّلَتْها الأمة في القضاء فيها .

وبعد ما كُتبت هذه الوثيقة توقف القتال ، وتفرق الناس كُلُّ إلى دياره ، فعاد عليٌّ بجيشه إلى الكوفة ، وعاد معاويةٌ بجيشه إلى الشام ، بعدما دَفَنَ كُلُّ فريقٍ قتلاهم في موقعة صفين . ولكن - إنا لله وإنا إليه راجعون - سرعان ما اشتعلت نارُ فتنةٍ حارقةٍ محرقةٍ جديدةٍ في جيش عليٍّ عليه السلام ، وهو في طريق عودته إلى بلاد الكوفة ؛ فما هي هذه الفتنة المدمرة ؟!







# فتنة ظهور الخوارج



## فتنة ظهور الخوارج

والخوارج كانوا يسمّون قبل ذلك بالقرّاء ؛ كما وصفهم النبي ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - ظهرت فرقة الخوارج على عليّ رضي الله عنه في طريق عودته من صفّين إلى الكوفة ، وأصبح عليّ - رضوان الله عليه - بين نارين مشتعلتين ، وبين فتنين حالكتين .

• الأولى : في الشّام تصيح : بالثّار لعثمان !

• والثّانية : في جيشه وفي صفه ، تصيح : إن الحكم إلا لله !

○ والسؤال : لماذا رفع الخوارج هذا الشّعار : إن الحكم إلا لله ؟ ولا نزاع بين مُسلمين - على وجه الأرض - أن عليّاً رضي الله عنه أعرف بهذه الآية من الخوارج ، ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام : ٥٧ ، يوسف : ٤٠ ، ٦٧] .

لأن عليّاً رضي الله عنه قد قبل حُكمَ أبي موسى وعمرو بن العاص ، وهما الحكمان اللذان ارتضاها كل فريق من الفريقين !

فالخوارج رفضوا هذا ! وقالوا : كيف يقبل عليّ حُكمَ الرّجال ؟! أي : حُكمَ أبي موسى وعمرو بن العاص ؟! أو ليس حكم الرّجال من كتاب الله ، ومن كلام رسول الله ﷺ كما نصّت بذلك وثيقة الحكم التي ذكرنا نصّها آنفاً ؟!

لذا؛ قال عليٌّ عليه السلام - لما سمع الخوارج يرددون هذه العبارة : « كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ ! » <sup>(١)</sup> .

○ تدبر معي ؛ فإن الفتنة الأولى إن كانت أعمّ وأشمل ؛ فإن الفتنة الثانية أخطر ؛ لأنها خرجت من صفّ عليّ ، لاسيما وأنّ الذين أشعلوا نارها هم هم الذين كانوا بالأمس أتباع عليّ عليه السلام ؛ فالفتنة حالكة بكل المقاييس .

انظر إلى هذا التفصيل الذي رواه الإمام أحمد في « مسنده » وابن أبي شيبة في « مصنفه » <sup>(٢)</sup> بسندٍ صحيح عن حبيب بن أبي ثابت قال : أتيت أبا وائل في مسجد أهله ، أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليٌّ بالنهروان - أي : الخوارج ؛ كما سألني الآن - فيما استجابوا له ، وفيما فارقوه ، وفيما استحلّ قتلهم ؟ ! .

فقال : كنّا بصفين فلما استحرّ القتلُ بأهلِ الشّام اعتصموا بتلٍّ - أي : بمكان مرتفع - فقال عمرو بن العاص لمعاوية رضي الله عنه : أرسل إلى عليّ مصحفًا وادّعه إلى كتاب الله ؛ فإنّه لن يأتى عليك ؛ فجاء بكتاب الله تعالى رجل من قبل معاوية فنادى : بيننا وبينكم كتاب الله .

(١) كما عند مسلم ، كتاب الزكاة ، باب التحريض على قتل الخوارج (١٠٦٦) (١٥٧) .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » (٤٨٥ / ٣ ، ٤٨٦) ، وابن أبي شيبة (٤٣٨ / ١٤ ، ٤٣٩) ، والنسائي في

« الكبرى » (١١٥٠٤) ، والطبري في « التفسير » (٧٠ / ٢٦) ، وأبو يعلى (٤٧٣) ، وأصله في « صحيح

البخاري » - مختصرًا - (٣١٨٢ ، ٤٨٤٤) ، ومسلم (١٧٨٥) كما سيأتي .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾

[آل عمران: ٢٣]

فقال عليٌّ - رضوان الله عليه : نعم ، أنا أولى بذلك ، بيننا وبينكم كتاب الله جلَّ وعلا .

قال : فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ : القراء ، وسيوفهم على عواتقهم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين - ينادون على عليٍّ عليه السلام - ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التل ؟! يقصدون فريق معاوية - ألا نمشي إليهم بسيوفنا ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟! فتكلم سهل بن حنيف رضي الله عنه ؛ فقال - وهو يردُّ على الخوارج : يا أيُّها الناس ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ فَقَدْ رَأَيْتَنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - يعني : يوم الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين المشركين - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله - بعدما كتبت بنود الصلح الظالمة - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟! أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله : « بَلَى » . فقال عمر : فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟! قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا » - فرجع عمر وهو متغيظ ، فلم يصبر حتى أتى أبا بكر رضي الله عنه فقال عمر : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟! أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ

وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟! قَالَ : بَلَى . قَالَ عمر : فَقِيمِ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟! فقال أبو بكر - رضوان الله عليه - السَّابِقُ دَوْمًا بِالْإِيمَانِ ، السَّابِقُ دَوْمًا بِالْيَقِينِ ، وَالتَّصَدِيقُ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا! قَالَ : فَتَزَلَّتْ سُورَةُ الْفَتْحِ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح: ١] .

فأرسلني رسول الله ﷺ إلى عمر فأقرأها إياه ؛ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْفَتْحْ هُوَ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . فطابت نفس عمر ، ورجع ﷺ .

■ وزاد ابن أبي شيبة وغيره على رواية « المسند » قال : قال عليُّ يومَ صَفِّينَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ هَذَا فَتْحٌ ، فَقَبِلْ عَلِيُّ الْقَضِيَّةَ وَرَجَعَ وَرَجَعَ النَّاسُ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ خَرَجُوا بِحُرُورَاءَ ، أُولَئِكَ الْعَصَابَةُ مِنَ الْخَوَارِجِ » .

○ وحروراء : قرية على بُعد ميلين فقط من الكوفة ، وسمِّي الخوارج بالحرورية ؛ نسبة إلى قرية حروراء .

■ ورواية ابن أبي شيبة لها شاهدٌ في « صحيح الإمام البخاري » <sup>(١)</sup> ؛ فلقد أخرج البخاري عن حبيب بن أبي ثابت ﷺ قال : أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : كُنَّا بِصَفِّينَ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ - وَهُوَ رَسُولُ مُعَاوِيَةَ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران: ٢٣] .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (٤٨٤٤) ، ومسلم في كتاب الجهاد ، باب : صلح الحديبية في الحديبية (١٧٨٥) .

فقال عليٌّ : نعم ؛ فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ - لِلْقُرَّاءِ - أي : الخوارج :  
اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ .

وفي رواية <sup>(١)</sup> : « اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ » ، فَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - يعني :  
يوم الصُّلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين - وَلَوْ نَرَى  
قِتَالًا لَقَاتَلْنَا ؛ فَجَاءَ عُمَرُ ... إلى آخر الرواية التي ذكرت آنفاً .

ولقد ساق سهل بن حنيف رضي الله عنه حديث الحديبية ؛ لأن القرَّاء - أي :  
الخوارج - أَصْرُوا على مواصلة القتال ، ورفضوا رفضاً باتاً قَضِيَّةَ  
التَّحْكِيمِ ، مع أنهم هم الذين أشاروا بها ابتداءً على عليٍّ رضي الله عنه ؛ فأشار  
عليهم سهل بن حنيف رضي الله عنه بمطاعة عليٍّ رضي الله عنه ، وَأَلَّا يُخَالَفُوا ما يشير به ؛  
لكونه أعلم بالمصلحة منهم ، وذكر لهم ما وقع بالحديبية من أن  
الصَّحَابَةَ رأوا يومئذ أن يقاتلوا ، وأن يخالفوا أمر النبي ﷺ وما دُعُوا  
إليه من الصُّلح ؛ فظهر لهم بعد ذلك أن الأصلح كان فيما رآه النبي ﷺ ،  
فقد شرع لهم الصُّلح .

○ ويقول أيضاً بعض أهل العلم <sup>(٢)</sup> : كَأَنَّ الْقُرَّاءَ اتَّهِمُوا سَهْلَ بْنَ  
حُنَيْفٍ بالتَّقصير في القتال حيثُ ؛ فقال لهم : « بل اتَّهِمُوا أَنْتُمْ رَأْيَكُمْ » ؛

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب : صلح الحديبية في الحديبية (٩٥/٣) ، والطبراني في الكبير  
(٥٦٠٥/٦) .

(٢) الحافظ ابن حجر « الفتح » (٢٨٩/١٣) .

فإني لا أَقْصُرُ في القتال ؛ كما لم أكن مُقْصِرًا يومَ الحديبية من أجل أني لا أخالف حكمَ رسول الله ﷺ كذلك أتوقَّف اليوم عن القتال ؛ لأجل مصلحة المسلمين . أي : كما توقفت عن القتال يوم الحديبية .

○ وهكذا أيها الأحبة ؛ بهذه الروايات يتبين لنا أن الخوارج فرقة خرجت من جيش عليٍّ ، ( قيل : كانوا اثني عشر ألفًا ، وقيل : كانوا ستة عشر ألفًا ؛ وقيل : كانوا عشرين ألفًا ) <sup>(١)</sup> ، فتنوا بهذه الفتنة ، وانطلقوا يرددون : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ 》 !!

ثم كفَّروا عليًّا ﷺ ؛ لأنه أذعن لحكم الرِّجال ، زعموا !! بل وانطلقوا يكفِّرون كلَّ مسلمٍ يَقْبَلُ حُكْمَ عليٍّ ويقتلونه بزعم أنه خرج من الإسلام ؛ لموافقته عليًّا ﷺ ، وراحوا يُفسدون في الأرض ، ويتَّهمون كلَّ مسلمٍ لا يقول بقولهم .. بالكفر البواح !

○ فماذا يفعل عليٌّ أمام هذه الفتنة الشعواء ؟ مع هؤلاء الجهلاء ؟! لقد اختار عليٌّ ﷺ أحدَ أصحاب النبي ﷺ الكبار الفقهاء العقلاء البلغاء العلماء ؛ لينطلق إلى الخوارج ؛ ليقيم حُجَّةَ الله عليهم ؛ ليقارعهم الحُجَّةَ بالحُجَّةِ ، والبرهان بالبرهان ؛ فيا تُرى مَنْ يختار عليٌّ ﷺ ؟!

(١) «تاريخ بغداد» (١/ ١٦٠) ، و«مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٥٧، ١٦٠) ، و«تاريخ خليفة»

(ص ٤٤) ، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٠، ٢٨١) ، و«مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٥) .

لم يجد عليٌّ - رضوان الله عليه - أمامه في هذه اللحظات الصعبة الحالكة غير ابن عباس رضي الله عنه ، حبر الأمة ، وترجمان القرآن ، والفقيه الكبير ؛ بل والغواص الماهر على التقاط الدرر ، الذي دعا له رسول الله ﷺ أن يفقهه الله في الدين وأن يعلمه التأويل <sup>(١)</sup> .

○ فتدبر معي هذا الحوار البديع الذي دار بين ابن عباس رضي الله عنه وبين الخوارج ورؤوسهم وزعمائهم .

لما رأوه أكرموه ؛ بل بالغوا في إكرامه ، وكانوا يحبُّون ابن عباس ؛ بل لما قام فريقٌ من الخوارج ؛ لينكر على ابن عباس ، وليقول : إننا لن نسمع منه ؛ فهذا بمن أنزل الله في حقهم : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] قام الفريق الأكبر على هؤلاء ، فأسكتوهم وأخرصوا ألسنتهم ، وقالوا : لا ؛ بل نسمع لابن عباس ؛ فإن رأينا حقاً معه اتبعناه ! فتكلَّم ابن عباس حينما سألوه : لماذا جئت يا ابن عباس ؟ قال <sup>(٢)</sup> : جئتُ أحدثكم : نزل الوحي على رسول الله ﷺ ، وأصحابه هم أعلم بتأويله ؛ فأخبروني ما تنقمون على ابن عمِّ رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ننقمُ عليه ثلاثاً - بها كفَّروا عليّاً ! - فقال ابن عباس : ما هي ؟ فقالوا :

(١) انظر : «صحيح البخاري» (٧٥) ، وصحيح مسلم (٢٤٧٧) .

(٢) سيأتي سردُ الحديث بطوله وقامه - إن شاء الله .

• الأولى : أنه حَكَمَ الرِّجَالُ في دين الله ؛ والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ  
الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧، يوسف: ٤٠، ٦٧] .

مَكْمَنُ الخطر في كُلِّ زمان ومكان : سوءُ الفهم عن الله ورسوله ،  
أرجو أن تتدبروا هذا .

■ يقول ابن القيم - في كلامٍ نفيس : « وهل أوقعَ القدرية والمرجئة  
والخوارج والمعتزلة والجهمية والروافض وسائر طوائف أهل البدع  
فيما وقعوا فيه إلا سوءُ الفهم عن الله ورسوله ؟! » <sup>(١)</sup> .

فقد يستدل أحدهم بآيةٍ صريحة ، ولكنه يؤوّلها تأويلًا متعسفًا باطلاً ،  
أو بحديث صحيح ، لكنه لا يفهم مراد الله تعالى ورسوله ﷺ .

نعم .. نحن لا ننكر أن أحد هؤلاء قد يستدل بالدليل الصحيح ،  
لكنه يتأول الدليل ، ولا يفهمه ! ، ولا يقف على مراتب الدليل ، ولا  
يفهم مناطاته الخاصة والعامة !!

ومن ثم ؛ فإنه يستشهد بالدليل حتمًا في غير محله ، وفي غير موضعه ،  
ومن ثم يقع في هذه الفتنة الصِّمَاء ، فيشعل نارًا متأججة ، وهو يعتقد  
أنه على الحقِّ والصَّواب ، وهو غارق في الباطل والضلال ؛ لسوءِ  
فهمه عن الله وعن سيّد الرِّجال ﷺ .

(١) «الروح» لابن القيم (٦٣ ط الكتب العلمية) .

فما من مصيبة وقعت ، وستقع إلا بسبب هذا الفهم السيئ  
للنصوص القرآنية والنبوية .

○ فتدبر أخي الكريم ؛ فالخوارج يُكفِّرونَ عليًّا عليه السلام !! الذي قال له  
النبي صلى الله عليه وسلم : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ  
لَا نَبِيَّ بَعْدِي » <sup>(١)</sup> .

يكفرون من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :

« لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،  
يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ... » <sup>(٢)</sup> .

يكفرون عليًّا لتأويل فاسد ، وفهم باطل ضال ، ويرددون دليلاً من  
كتاب الكبير المتعال . وأنا أسوق لفظ القصة بطولها من روايتين في  
غاية الأهمية :

○ فتدبر معي هذا الحوار البديع الذي دار بين ابن عباس - رضي الله عنهما -

وبين الخوارج وزعمائهم من خلال هاتين الروايتين :

○ الأولى : عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَاضٍ بْنِ عَمْرِو الْقَارِيَّ قَالَ : جَاءَ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها وَنَحْنُ عِنْدَهَا جُلُوسٌ مَرَجَعُهُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي  
الحسن رضي الله عنه (٣٧٠٦) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
(٣١) .

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب : مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٧٠١) وغيره .

مِنَ الْعِرَاقِ لَيْلًا قُتِلَ عَلِيٌّ فَقَالَتْ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَادٍ ، هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ؟ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ ، قَالَ : وَمَا لِي لَا أَصْدُقُكَ ؟

قَالَتْ : فَحَدِّثْنِي عَنْ قِصَّتِهِمْ ؟ قَالَ : فَإِنَّ عَلِيًّا لَمَّا كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه وَحَكَمَ الْحُكَمَانِ خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ مِنْ قُرَاءِ النَّاسِ فَتَزَلُّوا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : حُرُورَاءُ مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ ، وَإِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : انْسَلَخْتَ مِنْ قَمِيصِ الْبَسَكَةِ اللَّهُ تَعَالَى وَاسْمُ سَمَّاكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، ثُمَّ انْطَلَقْتَ فَحَكَّمْتَ فِي دِينِ اللَّهِ ، فَلَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ، فَلَمَّا أَنْ بَلَغَ عَلِيًّا رضي الله عنه مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ ، وَفَارَقُوهُ عَلَيْهِ : فَأَمَرَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا أَنْ امْتَلَأَتِ الدَّارُ مِنْ قُرَاءِ النَّاسِ ، دَعَا بِمُصْحَفٍ إِمَامٍ عَظِيمٍ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ : أَيُّهَا الْمُصْحَفُ ، حَدِّثِ النَّاسَ ، فَنَادَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ مِدَادٌ فِي وَرَقٍ ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رَوَيْنَا مِنْهُ ، فَمَاذَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَصْحَابُكُمْ ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ اللَّهِ تعالى .

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥] .

فَأَمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمُ دَمًا وَحُرْمَةً مِنْ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ ، وَنَقَمُوا عَلَيَّ أَنْ كَاتَبْتُ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : وَقَدْ جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَّةِ حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشًا فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فَقَالَ سُهَيْلُ : لَا تَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ : « كَيْفَ نَكْتُبُ ؟ » . فَقَالَ : اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَاكْتُبْ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ » فَقَالَ : لَوْ أَعْلَمَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أُخَالِفْكَ ، فَكَتَبَ : « هَذَا مَا صَالَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قُرَيْشًا » يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ؓ فَخَرَجْتُ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ يُخْطِبُ النَّاسَ فَقَالَ : يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ؓ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أُعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ ، هَذَا يَمُنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ : ﴿ قَوْمٌ خَصْمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ اللَّهِ ؛ فَقَامَ خُطْبَاؤُهُمْ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنُوَاضِعَنَّ كِتَابَ اللَّهِ فَإِنْ جَاءَ بِحَقِّ نَعْرِفُهُ لَتَتَّبِعَنَّهُ ، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بِبَاطِلِهِ ، فَوَاضِعُوا عَبْدَ اللَّهِ الْكِتَابَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ ، فِيهِمْ ابْنُ الْكَوَّاءِ حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ الْكُوفَةَ فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى بَقِيَّتِهِمْ فَقَالَ : قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ فَقِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً ،  
فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمْ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْخَائِنِينَ .

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ ؓ : يَا ابْنَ شَدَادٍ فَقَدْ قَتَلَهُمْ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا بَعَثَ  
إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ ، وَسَفَكُوا الدَّمَ وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ ،  
فَقَالَتْ : اللَّهُ ؟ قَالَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ ، قَالَتْ : فَمَا شَيْءٌ  
بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَتَحَدَّثُونَهُ يَقُولُونَ : ذُو الثُّدِيِّ وَذُو الثُّدِيِّ ؟ قَالَ : قَدْ  
رَأَيْتُهُ وَقُمْتُ مَعَ عَلِيٍّ ؓ عَلَيْهِ فِي الْقَتْلِ ، فَدَعَا النَّاسَ .

فَقَالَ : أَتَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ جَاءَ يَقُولُ : قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ  
بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي ، وَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي ، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِشَيْءٍ  
يُعْرِفُ إِلَّا ذَلِكَ ، قَالَتْ : فَمَا قَوْلُ عَلِيٍّ ؓ حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ  
الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَتْ : هَلْ سَمِعْتَ  
مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا ، قَالَتْ : أَجَلْ ، صَدَقَ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ يَرْحَمُ اللَّهُ عَلِيًّا ؓ ، إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا  
قَالَ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ  
وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ <sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه أحمد (١/٨٦، ٨٧)، وأبو يعلى (٤٧٤)، وابن عساكر (٢٧/١٠٤)، (٢٩/١٤٣)، وقال  
الهيثمى في «المجمع» (٦/٣٥٣): «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات»، وإسناده حسن؛ كما قال الشيخ  
شعيب في «المسند» .

○ الرواية الثانية : روى النسائي رحمه الله في « الخصائص » <sup>(١)</sup> عن عبد الله ابن عباس قال : لما خَرَجَتِ الحُرُورِيَّةُ اعْتَزَلُوا فِي دَارِهِمْ ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ ، فَقُلْتُ لَعَلِّي ﷺ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبْرِدْ بِالصَّلَاةِ لَعَلِّي أَكَلِمَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، قَالَ : إِنِّي أَخَافُهُمْ عَلَيْكَ ، قُلْتُ : كَلَّا ، قَالَ : فَلَبِسْتُ وَتَرَجَلْتُ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ فِي نَصْفِ النَّهَارِ ، وَهُمْ قَائِلُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ .

فَقَالُوا : مَرَحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؛ فَمَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ لَهُمْ : أُتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَصِهْرِهِ ، وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ لَا بُلْغُكُمْ مَا يَقُولُونَ ، وَتُخْبِرُونَ بِمَا يَقُولُونَ فَانْتَحَى لِي نَفَرٌ مِنْهُمْ ، قُلْتُ : أَخْبِرُونِي مَاذَا نَقِمْتُمْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَابْنِ عَمِّهِ ؟ !

قَالُوا : ثَلَاثُ .

قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟

قَالُوا : أَمَّا إِحْدَاهُنَّ ؛ فَإِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٤٠] .

(١) أخرجه النسائي في « الخصائص » (١٨٥) وهو في « السنن الكبرى » (٥ / ١٦٥ ، ١٦٧) وسنده حسن .

ما شأن الرجال والحكم؟ فقلتُ: هذه واحدة.

قالوا: وأما الثانية: فإنه قاتل ولم يسب سباهم ولم يغنم؛ فإن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحل سبيهم ولا قتالهم، قلتُ: فما الثالثة؟

قالوا: محاً نفسه عن أمير المؤمنين؛ فهو أمير الكافرين.

قلتُ: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قلتُ: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله - جل ثناؤه - ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترضون - أترجعون - قالوا: نعم.

قلتُ: أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربيع درهم، فأمر الله الرجال أن يحكموا؛ قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ تَحَكُّمٌ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥].

فأنشدتكم بالله تعالى أحكم الرجال في أرزب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاحيات بينهم، وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحكم، ولم يصير ذلك إلى الرجال؟ قالوا: بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ  
اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴿النساء: ٣٥﴾.

فَأَنْشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ حُكْمَ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَحَقِّنِ دِمَائِهِمْ  
أَفْضَلَ أَمْ حُكْمُهُمْ فِي بَضْعِ امْرَأَةٍ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.  
قُلْتُ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتِلْ وَلَمْ يَنْسِبْ وَلَمْ يَغْنَمْ، أَفَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ  
وَتَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا، وَهِيَ أُمَّكُمْ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا  
نَسْتَحِلُّ مِنْهَا مَا نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَلَيْسَ قُلْتُمْ: لَيْسَتْ  
بَأُمَّنَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿الْنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ  
أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فَأَنْتُمْ تَدُورُونَ بَيْنَ  
ضَلَالَتَيْنِ فَأَتُوا مِنْهُمَا بِمَخْرَجٍ؟

قُلْتُ: أَفَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.  
وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: مَحَا اسْمُهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَنْ تَرْضَوْنَ،  
وَأَرَاكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَقَالَ:  
لِعَلِّي ﷺ: «اكَتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» فَقَالَ  
الْمُشْرِكُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ  
مَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَا طَعْنَاكَ؛ فَاكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«امْحُ يَا عَلِيٌّ، وََاكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»؛ فَوَاللَّهِ  
لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدْ مَحَا نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يَمْحُوهُ مِنْ

النُّبُوَّةُ . أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ .

وعاد عددٌ كبيرٌ جدًّا من الخوارج بعد هذه المناظرة من ابن عباس إلى عليٍّ عليه السلام ، وبقيت فرقةٌ تحمل هذا الفكرَ العَفَنَ لحكمةٍ ، وهي أن تكون هذه الفرقة علامةً جديدةً من علامات النبوة ؛ فلقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن ظهور هذه الفرقة !! بل ووصفها وصفًا دقيقًا بليغًا ؛ فكيف لا يتحقق وَعْدُ النبيِّ الصادق عليه السلام ؟ ! .

فتدبر معي جيدًا هذه الأحاديث التي أخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عن فرقة الخوارج ؛ لنعود بعد ذلك إلى عليٍّ عليه السلام ؛ لتتعرف على ما فعله بهذه الفرقة الضالة المضلة ؟ !

● ففي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :  
بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الْيَمَنِ بِذُهِبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تَرَابِهَا <sup>(١)</sup> قَالَ : فَقَسَمَهَا صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ وَأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعُ إِمَّا عُلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله ؛ فَقَالَ :

« أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً » .

(١) أي : بقطعة من الذهب في جلد مدبوغ لم تميز وتخلص من ترابها .

قال : فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ - عَيْنَاهُ إِلَى الدَّخْلِ وَلَهُ وَجْتَانِ بَارِزَتَانِ - نَاشِزُ الْجُبْهَةِ ، كَثُّ اللَّحْيَةِ ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى اللَّهَ - أَهْذِهِ تَقَالُ لِلْمُصْطَفَى ﷺ ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« وَيْلَكَ ، أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ تَعَالَى ؟! » .

ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أَضْرِبُ عَنْقَهُ ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي » .

فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ؛ فَقَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ :

« إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَنْقَبَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشُقُّ بُطُونَهُمْ » .

قال : ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٌّ ؛ فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ رَأَى الْخَوَارِجَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الْغَيْبِ بَعْدَمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَيْهِمْ وَعَلَى صِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ - كَمَا سَأَلْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - قَدْ وَصَفَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ وَصْفًا عَجَبِيًّا - نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ وَهُوَ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ ، وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

« إِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » .  
 قَالَ : أَظْنُهُ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَئِنْ أَذْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهَمْ قَتْلَ ثُمُودَ » <sup>(١)</sup> .

● وفيها أيضًا <sup>(٢)</sup> من حديث أبي سعيد ﷺ - في رواية أخرى جميلة -  
 قَالَ : « بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا آتَاهُ ذُو الْخَوِصِرَةِ -  
 هذا هو اسم الرجل الذي ذكرناه في الرواية السابقة - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ  
 بَنِي تَمِيمٍ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اْعْدِلْ - أَي : فِي الْقِسْمَةِ - قَالَ رَسُولُ  
 اللَّهِ ﷺ :

«وَيْلَكَ ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ اْعْدِلْ ؟! قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ اْعْدِلْ »  
 فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ ؛  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُهُ ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا » .

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : بعث علي بن أبي طالب ﷺ وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٣) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٠) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤/١٤٨) وقوله : « خبت وخسرت » . قال النووي في « شرح مسلم » (١٩/٤) : « روي بفتح التاء وبضمها فيها ، ومعنى الضم ظاهر ، وتقدير الفتح : خبت أنت أيها التابع إذا كنت لا أعدل لكونك تابعًا ومقتديًا بمن لا يعدل ، والفتح أشهر ، والله أعلم » .

وهذه لفظة مهمة : « يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ ، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَصِيهِ <sup>(١)</sup> ، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ - وَهُوَ الْقِدْحُ - ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ <sup>(٢)</sup> فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ . سَبَقَ الْفَرْثُ وَالْدِّمُّ » .

ثم قال - عليه الصلاة والسلام : « آيَتُهُمْ » أي : علامة هذه الفرقة الضالة « رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ » وصف عجيب « مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبُضْعَةِ تَدَرَدَرُ » يعني : تضطرب وتتحرك تذهب وتجيء . « يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ » .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَالْتَمَسَ - فَوُجِدَ - فَأُتِيَ بِهِ ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي نَعَتْ .

○ تدبروا رواية ثالثة عجيبة - من أعجب الروايات في هذا الباب -

(١) قد فسر في الحديث بالقِدْح « أي : عود السهم قبل أن يراش وينصل . وقيل : هو ما بين الريش والنصل . قاله الخطابي . (الفتح ٧١٥/٦) .

(٢) يعني : ريش السهم .

وهي في «صحيح مسلم» قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ابْنُ هَمَّامٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ كَهَيْلٍ ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ : أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ ﷺ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ . فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

« يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ . لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ . يَحْسِبُونَ أَنَّهُ هُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ ، لَا تَجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ » .

الأولى : « قِرَاءَتِهِمْ » وهذه « صَلَاتُهُمْ » زيادات كلها في غاية الأهمية . « يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَا تَكَلُّوا عَنِ الْعَمَلِ » .

يعني : لو يعلمون ما سيحصلون من الأجر والفضل في قتالهم لَا تَكَلُّوا عَلَى ذَلِكَ ، وَكَفُّوا عَنِ الْعَمَلِ بَعْدَ ذَلِكَ ، لَمَا سَطَرُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ وَالْفَضْلِ .

« وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عِصْدٌ ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ . عَلَى رَأْسِ

عُضْدِهِ مِثْلَ حَلَمَةِ الثَّدي . عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بِيضٌ .

يا إلهي ! يصف النبي ﷺ الشعرات ! تدبروا في كل لفظة « عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بِيضٌ ، فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ ، وَتَتْرَكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلِفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ » .

يَقُولُ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ ! إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ .  
قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ : فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهَبٍ مِنْزِلًا . حَتَّى قَالَ :  
مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ ، فَلَمَّا التَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمِيذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ الرَّاسِبِيُّ . فَقَالَ لَهُمْ : أَلْقُوا الرِّمَاحَ ، وَسَلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حُرُورَاءَ .

فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ ، قَالَ : وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمِيذٍ إِلَّا رَجُلَانِ ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ : « التَّمَسُّوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ » أي : قتلى الخوارج ، والمخدج أي : الرّجل الناقص أو المبتور الذراع ، عليٌّ يأمر جيشه أن يبحثوا عن هذا الرّجل الذي وصفه النبي ﷺ ؛ ليتأكد أن هذه الفرقة هي الفرقة الضالة التي أخبر عنها الصادق ، الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ يقول : « فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ : ارْجِعُوا ؛

فَوَالله ! مَا كَذَبْتُ ، وَلَا كُذِّبْتُ - مرتين أو ثلاثاً - فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ عليه السلام - لِيُبْحَثَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الْمَخْدُجِ فِي صُفُوفِ قَتْلِ الْخَوَارِجِ - بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . قَالَ آخِرُهُمْ . فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ - فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ صِفَتَهُ الَّتِي وَصَفَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَبَّرَ - قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ . ثُمَّ قَالَ : « صَدَقَ اللهُ وَبَلَغَ رَسُولُهُ » ! قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِي . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ! لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ؟ فَقَالَ : إِي وَالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا . وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ « <sup>(١)</sup> ، <sup>(٢)</sup> .

وسوف تعجب إذا علمت أن الصادق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن الذي سيقا تل المتأولين المارقين هو عليٌّ عليه السلام .

● ففي « مسند أحمد » و « السنن الكبرى للنسائي » وغيرهما <sup>(٣)</sup> من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَانْقَطَعَتْ نَعْلُهُ ، فَرَمَى بِهِ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ يَحْصِفُهَا ، فَمَشَى

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة . باب : التحريض على قتل الخوارج (٥٦/١٠٦٦) .

(٢) وفي رواية أحمد في « المسند » (١٠٧/١) : « فخررنا سجودًا ، وخرَّ عليٌّ معنا ساجدًا » .

ولترك عليًّا ساجدًا لله - جل وعلا - يشكر الله سبحانه الذي منَّ عليه بقتال هذه الطائفة المارقة الخارجة التي أخبر عنها الصادق المصدوق عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى لنعود إليه ريثما ينتهي من سجوده ؛ لتعرف على سير هذه الأحداث المؤلة !!

(٣) أخرجه أحمد (٣٣، ٣١/٣) ، والنسائي في الكبرى (٨٥٤١) ، وابن أبي شيبة (٣٦٧/٦) ، والحاكم

(٣/١٣٢) ، وأبو يعلى (١٠٨٦) ، وصححه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (٢٤٨٧) .

قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ ، كَمَا قَاتَلَ عَلَى تَنْزِيلِهِ » فَاسْتَشْرَفَ هَا الْقَوْمُ ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَا هُوَ ؟ ! قَالَ : « لَا » قَالَ : عُمَرُ : أَنَا هُوَ ؟ ! قَالَ : « لَا » قَالَ : « وَلَكِنْ خَاصِفُ النَّعْلِ » يَعْنِي : عَلِيًّا فَبَشَّرَنَاهُ ، فَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسَهُ ، كَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .





مقتل عليؓ  
رضي الله عنه





تركنا علياً - رضوان الله عليه - ساجداً شاكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ ، يحمده الله سبحانه وتعالى ، أن وفقه لقتال أشد الخلق ، كما قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .

• كما في « صحيح مسلم » من حديث أبي سعيد الخدري عليه السلام أن النبي ﷺ ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ ، يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، سِيَاهُهمُ التَّحَالُقُ .

قال : « هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ - يَقْتُلُهُمْ أَذْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ » <sup>(١)</sup> .

• وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي سعيد عليه السلام - في رواية أخرى - قال : قال رسول الله ﷺ :

« تَمَرُّقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ » <sup>(٢)</sup> .

• وفي لفظ آخر من حديث أبي سعيد في « صحيح مسلم » أنه عليه السلام قال :

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (١٥٠ برقم ١٠٦٥) .

« تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ . فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنَهُمَا مَارِقَةٌ . يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَاهُمْ بِالْحَقِّ » <sup>(١)</sup> .

• وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ - في لفظ آخر : أنه ﷺ قال :

« تَمَرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَيَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ » .

• وفي رواية : « يَقْتُلُهُمْ أَقْرَبُ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْحَقِّ » <sup>(٢)</sup> .

وهذه شهادة نبوية من الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ لعليّ ﷺ وطائفته بأنهم أدنى وأولى الطائفتين بالحق .

وهكذا قاتل عليّ الخوارج ، وقضى على رؤوسهم في النهروان ، وظنَّ أنه قد قضى على فتنهم الخطيرة ، لكن بقي الحقدُ الأعمى يدمرُ ويحرق قلوب هؤلاء الذين وصفهم النبي ﷺ بأنهم شر الخلق ؛ بل لقد أخبر أنه لو لقيهم - عليه الصلاة والسلام - لقتلهم !! .

• روى ابن أبي شيبة في « مصنفه » بسنده إلى عمرو بن سلمة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم (١٥١/١٠٦٥) .

(٢) أخرجه مسلم في المصدر السابق (١٥٢/١٠٦٥) .

(٣) مسلم (١٥٣/١٠٦٥) .

قال <sup>(١)</sup>: « كنا جلوساً عند باب عبد الله بن مسعود ننتظر أن يخرج إلينا ، فخرج ، فقال : إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم . يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم . فقال عمرو بن سلمة : فرأينا عامّة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج . انطلق هؤلاء ليعيثوا في الأرض الفساد ؛ بل - كما ذكرت - كانوا يقابلون المسلمين ، فيسألونهم عن اعتقادهم في عليٍّ ؛ فإن كان المسلم على مثل رأيهم - أي : من يكفر عليًا - نجا من شرهم ، وإن قال المسلم قولاً طيباً في حق عليٍّ قتلوه ! »

فلقد لقيهم عبد الله بن خباب بن الارت عليه السلام وكان مع امرأته - وكانت حاملاً - فلما عرفوه ؛ قالوا له : حدثنا حديثاً سمعته من أبيك ، سمعه أبوك من رسول الله ﷺ ، فحدثهم عبد الله بن خباب بن الارت - وكلّكم يعرف خباب بن الارت عليه السلام - والد عبد الله - ذلك الرجل السابق ، الصّابر ، المجاهد العَلَم ، الذي جاء إلى النبي ﷺ يوماً من شدّة العذاب والابتلاء في مكّة ليقول : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَدْعُو لَنَا ، أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ فغضب رسول الله ﷺ وقعد وقد احمرّ وجهه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٥٥٣/٧) ، والدارمي (٧٩/١) وصححه العلامة

الألباني في « الصحيحة » (٢٠٠٥) .

وجلس • وقال - عليه الصلاة والسلام :

« قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيهَا ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لَيَتَمَنَّاهُ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ - أَي : هَذَا الدِّينَ - حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » <sup>(١)</sup> .

هذا هو خَبَاب بن الأرت ﷺ . وهذا ابنه عبد الله بن خَبَاب ﷺ يقصُّ على الخوارج حديثاً سمعه عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال : سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ :

« سَتَكُونُ فِتْنٌ ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي » <sup>(٢)</sup> .

فأخذوه واقتادوه مع امرأته ، وكانت امرأته حاملاً - كما ذكرت - أرجو أن تتدبر معي هذا الورع الباهت ، وهذا الفهم العقيم السقيم !!  
• فعن أبي مجلز ﷺ قال :

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه • باب : من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٦٩٤٣) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (١١٠ / ٥) ، والطبراني في « الكبير » (٣٦٣١ / ٤) ، وقال الألباني في « الإرواء » (٢٤٥١) : « إسناده جيد » .

« بينما عبد الله بن خَبَّاب في يد الخوارج إذ أتوا على نخل ، فتناول رجلٌ منهم ثمرة ، فأقبل عليه أصحابه ؛ فقالوا له : أخذت ثمرة من تمر أهل العهد ؟ ! وأتوا على خنزير فنفخه رجلٌ منهم بالسَّيف ؛ فأقبل عليه أصحابه فقالوا له : قتلت خنزيرًا من خنازير أهل العهد ؟ ! قال : فقال عبد الله : ألا أخبركم مَنْ هو أعظم عليكم حقًّا من هذا ؟ !

قالوا : مَنْ ؟

قال : أنا ، ما تركتُ صلاة ، ولا تركتُ كذا ، ولا تركتُ كذا !

قال : فقتلوه . قال : فلمَّا جاءهم عليٌّ قال : أقيدونا بعبد الله بن خَبَّاب ! ، قالوا : كيف نقيدك به وكلُّنا قد شارك في دمه ؟ ! فاستحلَّ قتالهم» <sup>(١)</sup> .

فهم في طريقهم ، يقتادون عبد الله وامرأته ، امتدت يدُ أحدهم على ثمرة سقطت من نخلة ، فلما أراد أن يرفعها إلى فمه ، قال له أحد إخوانه : ويحك ويحك !! أأأكل التَّمرة من غير أن تستحلها من صاحبها ؟ ! فألقاها على الفور ، وهو يستغفر الله نادمًا على ما كان قد

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » ( ٧ / ٥٥ ، ٥٦٠ ) ، والدارقطني ( ٣ / ١٣١ ) ، والبيهقي في « الكبرى » ( ٨ / ١٨٤ ) ، وانظر : « معجم الطبراني الكبير » ( ٤ / ٦٠ ) ( ٣٦٣١ ) ، و« الفتح » ( ١٢ / ٢٩٧ ) وهو صحيح .

بدر منه أن يفعلـه ، وبعد خطوات قليلة ذبحوا عبد الله بن خبّاب مع امرأته !

• قال الإمام البخاريّ ﷺ: «وكان عبد الله بن عمر ﷺ يراهم شرار خلق الله ، وقال : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين» <sup>(١)</sup> .

واشتد بلاؤهم حينما جلسوا يوماً من الأيام وتذاكروا إخوانهم في النهروان ، ممن قُتلوا فترحموا عليهم ؛ وقالوا <sup>(٢)</sup>: « ماذا نصنع بالبقاء بعد قتل إخواننا ؟ لا قيمة للحياة بعد هؤلاء ، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال ؛ فقتلناهم أرحنا منهم البلاد والعباد ! » .

مَنْ أئمة الضلال عند هؤلاء الضلال ؟ عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص - رضي الله عنهم جميعاً !

قالوا : لو أتينا أئمة الضلال فقتلناهم أرحنا منهم البلاد والعباد ،

(١) « صحيح البخاري » كتاب استتابة المرتدين ، باب : قتل الخوارج والملحدين ، وقال ابن حجر : « وسنده صحيح » . راجع « فتح الباري » (١٢/٢٩٨) .

(٢) والرواية بطولها ؛ أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩٧/١) (١٦٨) ، والطبري في « تاريخه » (٣/١٥٦) من طريق : إسماعيل بن راشد قال : « كان من حديث ابن ملجم - لعنه الله - وأصحابه أن عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التيمي اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس ، وعابوا عمل ولا تهم ، ثم ذكروا أهل النهروان ، فترحموا عليهم وقالوا : .... » ، وانظر : « فتح الباري » (١٢/٢٩٧) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/١٩٢) : « رواه الطبراني » وهو مرسل ، وإسناده حسن ، وضعف الألباني سنده في « الإرواء » (٦/٧٥، ٧٦) .

وأخذنا بثأر إخواننا - أي: في النهروان - فانبعث أشقى الآخرين !  
فأشقى الأولين عاقر ناقة صالح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام -  
وأشقى الآخرين قاتل علي عليه السلام !!

فانبعث أشقى الآخرين : رجل يقال له : عبد الرحمن بن ملجم  
التميمي ، وقال : أنا أكفيكم علي بن أبي طالب !

وقام رجل آخر يُقال له : البرك بن عبد الله التميمي وقال : أنا  
أكفيكم معاوية ! .

وقام رجل ثالث يُقال له : عمرو بن بكر التميمي . فقال : وأنا  
أكفيكم عمرو بن العاص .

وتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجلٌ منهم عن صاحبه الذي  
توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه . فأخذوا أسيافهم فسمّوها - أي  
وضعوها في السم .

وكانت هذه الليلة الموعودة التي اتَّفَقَ عليها هي ليلة السابع عشر  
من رمضان لسنة أربعين من هجرة النبي ﷺ ، وانطلق الثلاثة ، كلُّ  
ذهب إلى وجهته وطريقه ؛ ليقوم بمهمته الخبيثة الشنيعة .

وقدّر الله - جلّ وعلا - ألا يفلح من الثلاثة في مهمته إلا أشقى  
الآخرين : عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل علياً عليه السلام بطعنة حادة في

رأسه بعد ما سنَّ سيفه أربعين يومًا ، وأغرقه في السَّم أربعين يومًا كذلك ، وكان قتلُ عليٍّ عليه السلام ميسورًا ؛ لأنه كان ينطلق في ظلِّ هذه الأزمة الحالكة وحده بدون حرس ، فاخْتَبَأَ له عبد الرحمن بن ملجم - عليه من الله ما يستحقه - وانتظر حتى يخرج عليٌّ كعادته ليوَقظ المسلمين للصَّلاة وهو أمير المؤمنين عليه السلام !

وانقَضَ عليه ، وضربه بالسَّيف في رأسه ضربة حادة ، فسقط عليٌّ ، وهرب ابن ملجم ، لكنَّ القوم أمسكوا به ، وحملوا عليًّا إلى داره بدلًا من أن يذهب ليؤم المسلمين في صلاة الفجر !! حَمَلَ الأسدُ إلى داره - رضي الله عنه وأرضاه - ودماؤه الشَّريفة تنزف من جسده الطَّاهر ؛ فلمَّا أفاق أمر المسلمين من حوله أن ينطلقوا ؛ ليؤدوا صلاة الفجر ، قبل أن يخرج وقتها !! .

فلَمَّا صَلَّى المسلمون الفجر عادوا إليه ، وقد أمسكوا بعبد الرحمن بن ملجم ، فلما نظر إليه عليٌّ - رضوان الله عليه - قال له : يا عدوَّ الله ، ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال : بلى ؛ فقال عليٌّ - رضوان الله عليه : فما الذي حملك على ذلك ؟

قال عبد الرحمن بن ملجم : والله لقد شحذتُ سيفي أربعين يومًا ، وأغرقت سيفي في السَّم أربعين يومًا وسألت الله تعالى أن يقتل بهذا

السَّيْفَ شَرَّ الْخَلْقِ ؛ فقال علي عليه السلام : « والله ما أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شر الخلق !! » .

فمن العجب - كما ذكرت - أن هؤلاء الموتورين يقتلون باسم الله ، ويعلنون أنهم ما يفعلون هذا الضَّلال إلا من أجل الله ! .

فما قَتَلَ ابنُ ملجم علياً وما طعنه إلا وهو يقول : الحكم لله لا لك يا علي ، ولا لأصحابك !!! .

نظر علي بفقهه وبصيرته الحادة ، فرأى الغيظ والألم يتفجر في أعين الصحابة وأهله وأولاده ممن يحيطون به على فراش الموت ، ويقيدون إلى جواره قاتله أو طاعنه : عبد الرحمن بن ملجم - عليه من الله ما يستحقه وقبَّحه الله في الدنيا والآخرة .

فنظر علي إلى الغيظ يتفجر في أعين هؤلاء ، وظن أن انتقاماً مُروَّعاً سيحقيق بهذا الطَّاعن الظَّالم ، ولكنَّ علياً الرَّجل الذي علَّم الدنيا العدل والورع بعد عمر - رضي الله عنهم جميعاً - يلتفت إلى أصحابه وأولاده - رضي الله عنهم جميعاً - ويقول لهم كلمات رقراقة عادلة ، ليست كثيرة على علي عليه السلام ؛ بل إن شئتَ فقل : لا يقوله في هذه اللحظات الحالكة إلا علي عليه السلام .

التفت إليهم خشية أن يتجاوز أهله وأصحابه وأولاده في القصاص

العاذل الذل حده الله - جلّ وعلا - مع هذا القاتل ، فبن لهم  
وذكرهم فقال <sup>(١)</sup>: « أحسنوا إليه - لعبد الرحمن بن ملجم - أحسنوا  
إليه وأكرموا مثواه ، فإن أعش ، فأنا أولى بدمه قصاصاً أو عفواً !!  
وإن متُّ فألحقوه بي أخاصمه عند ربّ العالمين » - رضي الله عن عليّ -  
فألحقوه بي أي : اضربوه بسيفه كما ضربه بالسيف ، فالجروح قصاص  
❦ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ❦  
[البقرة: ١٧٩] . فألحقوه بي أخاصمه عند ربّ العالمين ، ولا تقتلوا بي  
سواه !! ❦ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ❦ [البقرة: ١٩٠] .

هل يحتاج هذا المشهد المثير تعليقاً بكلمات من عندنا ؟! لا والله ؛  
فلندع المشهد بكلمات عليّ ؑ يتألق سموّاً وروعة وعظمة وجلالاً ؛  
فإن هذه الكلمات لا يقولها في مثل هذه اللحظات إلا عليّ - رضي الله  
عنه وأرضاه .

وفي هذه اللحظات وعليّ في ساعاته الأخيرة لا يزال يتكلّم ، ولا  
يزال يذكّر وينصح ، دخل عليه أصحابه ، وقالوا : استخلف علي  
الأمّة من بعدك الحسن بن عليّ ؟ فأبى عليّ ، وقال : « لا آمركم ولا  
أنهاكم - أي باستخلاف الحسن - أنتم بأموركم أبصر .

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد « فضائل الصحابة » (٢/ ٥٦٠) ، وابن سعد في  
« الطبقات » (٣/ ٣٥) .

فأرادوا أن يحملوه حملاً على استخلاف الحسن ، فوضعوا أناملهم على الوتر ، الذي يحرك قلب علي ، والذي يخيف علياً عليه السلام ؛ فقالوا له : فماذا تقول لربك - جلّ وعلا - إن لقيته غداً ولم تستخلف علينا ؟ فقال علي العنبري الفقيه عليه السلام : « أقول له : يا رب ، تركتهم دون أن أستخلف عليهم ، كما ترك رسول الله ﷺ أمته دون أن يستخلف عليهم ! ».

والحديث رواه أحمد في « مسنده » وابن أبي شيبة وغيرهما (١) من حديث عبد الله بن سبع قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : « لتخضبن هذه من هذا ، فما ينتظر بي الأشقى ؟ »

قالوا : يا أمير المؤمنين ، فأعلمنا مَنْ هو ؟ حتى نبير عترته ، والله لنبیرن عترته .

قال : إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي ! أنشدكم بالله أن لا يقتل غير قاتلي .

قالوا : إن كنت قد علمت فاستخلف علينا .

قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ .

(١) أخرجه أحمد (١/١٣٠، ١٥٦)، وابن أبي شيبة (٧/٤٨٥، ٤٤٤)، وابن سعد في « الطبقات » (٣/٣٤)، وابن عساکر (٤٢/٥٣٧-٥٣٩)، وقال الشيخ شعيب : « حسن لغيره ».

قالوا : فما تقول : لربك إذا أتيته ؟

وفي رواية : - إذا لقيتهم - قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم .»

● وفي مصنف عبد الرزاق و « الطبقات » لابن سعد <sup>(١)</sup> عن عبيدة - السلماني قال : قال علي : « ما يجلس أشقاهم أن يجيء فيقتلني ، اللهم قد سئمتهم وسمئوني . فأرحهم مني . وأرحني منهم » .

وقد كان علي رضي الله عنه يعلم أنه سيموت شهيداً ، كما أخبر رسول الله ﷺ ؛ ففي « صحيح مسلم » <sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ ، هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« اهْدَأْ . فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ » .

ثم دعا علي أولاده - وهو على فراش الموت : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿ [إبراهيم: ٢٧] - وقال : ادعوا لي أبنائي - وعلى رأسهم الحسن رضي الله عنه فالحسن أكبر أبناء علي - رضي الله عنهم جميعاً

(١) (٣/٣٤) وعبد الرزاق (١٠/١٥٤) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما (٢٤١٧) .

- فدخلوا عليه - ﷺ - وراح يُملي عليهم وصية رائعة غالية <sup>(١)</sup> ؛ فقال :

«أوصيكم بتقوى الله ﷻ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾»  
[آل عمران: ١٠٢] ، وقال ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ﴾  
[آل عمران: ١٠٣] ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إِنَّ صَلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ أَعْظَمُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ » .

الله في القرآن ؟ لا يسبقنكم إلى العمل سابق ، لا تغتروا بأنكم أبناء عليٍّ ، وأنكم أبناء بنت رسول الله ، لا تغتروا بأن جدَّكم المصطفى ﷺ ، الله الله في الفقراء والمساكين أشركوهم في معاشكم ، لا تخافوا في الله لومة لائم ، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم ، لا تدعوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقولوا للناس حسناً ، كما أمركم الله تعالى وعليكم بالتواصل ، وإياكم والتدابروا والتقاطع والتفرق . وتعاونوا على البرِّ والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

أسألكم بالله هل يمكن لأحدٍ في هذه اللَّحظَات أن يقول هذه الكلمات بهذا الثَّبات ؟! والله لا يكون هذا إلا لمن ثَبَّتَهُ الله ؟

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٧/١) (١٦٨) وضعفه الألباني سنده في «ضعيف الجامع» (١٨٧٤) ، و«الضعيفة» (٥١٩٨) .

ثم أمرهم أن ينصرفوا وأن يخرجوا من مجلسه ، وظلَّ عليٌّ - رضوان الله عليه - يردد قوله : لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، حتى لقي ربَّه - جلَّ وعلا - في فجر يوم السبت أي : في فجر اليوم التالي لطعنه ﷺ .

وهكذا - أيها الأحبة - أبَّ المسافر إلى وطنه الخالد ، وعاد إلى منزله ، ورحل ابن أبي طالب ﷺ ، لكنَّ حياته والأيام التي عاشها على الأرض تحولت إلى شمس مشرقة ، أخذت مكانها العالي في حياة البشرية ، وتاريخها ، وراحت تجذب إليها على مدار التاريخ كلَّ قِيمٍ الحقِّ والبطولة ، والإيمان والشَّرف .

فهو الفدائيُّ العظيم الذي علم الدُّنيا حقيقة الفداء ، وشرف البطولة والتضحية .

وهكذا رحل الإمام ، ووالله ما رحل ؛ إن رحل بجسده ؛ فلقد بقيت مناقبه ، وبقيت فضائله ، وبقيت أخلاقه ، ظعن وما ظعن ! فهو الرَّاحِلُ المقيم الذي خطَّ على جبين الزَّمان ، وعلى صفحات الأيام خلودًا بأخلاقه وأتباعه لحبيبه المصطفى ﷺ .

ولله درُّ ضرار بن ضمرة الكناني الذي وصف عليًّا ﷺ وصفًا بليغًا ؛ فقال : وهو يصف عليًّا ﷺ : « كان بعيد المدى ، شديد القوى ،

يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطلق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهوتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، كان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلّب كفيه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشِب ، وكان فينا كأحدنا ، يحيننا إذا سألناه ، ويتدوّننا إذا أتينا ، ويأتينا إذا دعونا ، وكنا - والله - مع قربه منّا لا نكاد نكلّمه لهيته ، ولا نبتدؤه لعظّمته ، وكان إذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظّم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تملل السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأنّي أسمعه يقول : يا دنيا إليّ تعرضت ، أم إليّ تشوقت ، هيهات هيهات ، غري غري ، قد أبنتك - أي طلقتك - ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق !<sup>(١)</sup> .

وهكذا رحل الفدائي العظيم ، رحل الذي جعله النبي ﷺ منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام ، رحل الرجل الذي أحبّ الله ورسوله ،

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/٨٤، ٨٥) ، وابن عبد البر في « الاستيعاب » (١/٣٤١) ، وابن عساکر (٢٤/٤٠١، ٤٠٢) .

وأحبه الله ورسوله، رحل تلميذ المصطفى؛ وكفى! رحل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وأرضاه.

ولما فرغ الصحابة من دفن علي، تقدمت جموع المسلمين لبيعة الحسن بن علي.

وأوقف قليلاً مع سرد بعض المناقب للحسن، فأنا أعلم أن كثيراً من الناس لا يعرفون إلا القليل من سيرة هذا الصحابي الجليل.

فمن هو الحسن بن علي؟!.

الحسن ابن بنت رسول الله ﷺ وحبيبه بل وريحانة<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ الذي طالما حمله النبي ﷺ يشمه، بل ويمتص لسانه، ويخرج رسول الله ﷺ لسانه للحسن، ليمتص الحسن لعابه<sup>(٢)</sup>.

الحسن الذي طالما حمله النبي على عاتقه، بل وعلى ظهره.

نقف عند قليل من مناقبه وفضائله قبل أن نواصل الحديث عن بيعته وحكمته وعن فضله وكرامته التي امتن بها على أمة النبي ﷺ تحقيقاً لبشارة نبوية للمصطفى ﷺ.

■ ففي الحديث الذي رواه مسلم من حديث عائشة قالت: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله (٥٩٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٩٣/٤) وصححه سننه الشيخ شعيب.

عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] « (١) .

يا لها - والله - من كرامة ! .

ونزلت الآية - بعد - لتسطر في كتاب الله - جلَّ وعلا - لتتلى إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

• وفي الحديث الذي رواه أحمد - ورواه الترمذي مختصراً - وهو حديث حسن من حديث أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن عليٍّ لعنت أهل العراق ، فقالت : قتلوه قتلهم الله ، غرُّوه وذُلُّوه - لعنهم الله - فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ رضي الله عنها غَدِيَّةً - أي : في وقت الصُّباح - بِرُزْمَةٍ قَدْ صَنَعَتْ لَهَا فِيهَا عَصِيدَةٌ - وهو الطَّعام الذي يصنع من الدَّقِيق والعسل - تَحْمِلُهُ فِي طَبَقٍ لَهَا ، حَتَّى وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ :

« أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ ؟ » - يعني : أين عليٌّ ؟

قَالَتْ : هُوَ فِي الْبَيْتِ .

قَالَ : « فَادْهَبِي فَادْعِيهِ وَاتَّبِعِي بَابْنِيهِ » - أي : بالحسن والحسين .

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل أهل بيت النبي ﷺ (٢٤٢٤) .

قَالَتْ : فَجَاءَتْ تَقُودُ ابْنَيْهَا ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدٍ ، وَعَلَى يَمِينِي فِي إِثْرِهِمَا ، حَتَّى دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَجْلَسَهُمَا فِي حِجْرِهِ - أَجْلَسَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فِي حِجْرِهِ - وَجَلَسَ عَلِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ ، وَجَلَسَتْ فَاطِمَةُ عَنْ يَسَارِهِ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَاجْتَبَدَ مِنْ تَحْتِي كِسَاءً خَيْرِيًّا - أَيِ مِنْ خَيْرٍ - كَانَ بِسَاطًا لَنَا عَلَى الْمَنَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ ، فَلَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ، فَأَخَذَ بِشِمَالِهِ طَرَفِي الْكِسَاءِ ، وَأَلَوَى بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى رَبِّهِ ﷻ ، ثُمَّ قَالَ :

« اللَّهُمَّ أَهْلِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرْهُمْ تَطْهِيرًا ، اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرْهُمْ تَطْهِيرًا ، اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرْهُمْ تَطْهِيرًا » .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ ؟

قَالَ : « بَلَى ، فَادْخُلِي فِي الْكِسَاءِ »

قَالَتْ : فَدَخَلْتُ فِي الْكِسَاءِ بَعْدَمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ دُعَاءَهُ لِابْنِ عَمِّهِ عَلِيٍّ وَابْنَيْهِ وَابْنَتَيْهِ فَاطِمَةَ ﷺ (١) .

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/ ٢٩٢، ٢٩٦) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ومن سورة الأحزاب (٣٢٠٥ مختصرًا) ، والحاكم في « المستدرک » (٢/ ٤١٦) ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط البخاري » . ووافقه الذهبي . والطبري في « التفسير » (للسورة الأحزاب : ٣٣) ، وصححه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » (٢٢٢١) .

• وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ، بسند حسن أن النبي ﷺ قال :  
« الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » <sup>(١)</sup> .

• وفي الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال :  
أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَسَأَلَهُ عَنْ دَمِ الْبُعُوضِ - انظر إلى الورع الباهت - فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مِمَّنْ أَنْتَ ؟  
فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ .

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ : انظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبُعُوضِ ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ - فِي حَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ : « هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا » <sup>(٢)</sup> .

• وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنُ وَيَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا ، فَأَحِبَّهُمَا » <sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : مناقب الحسن والحسين ﷺ (٣٧٦٨) ، وأحمد في مسنده (٣/٣) ، وابن أبي شيبة (١٢٢٢٥) ، والنسائي في « فضائل الصحابة » (٦٦) ، والطبراني في « الكبير » (٣/٢٦١١) ، والحاكم في « المستدرک » (٣/١٦٦، ١٦٧) ، وقال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح » وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣١٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب الحسن والحسين ﷺ (٣٧٤٧) .

يدعو النبي ﷺ رَبَّهُ بأن يحبَّ الله أسامة والحسن ﷺ .

• وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال : رأيتُ النبي ﷺ والحسن بن عليٍّ على عاتقه والنبي ﷺ يقول :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ » <sup>(١)</sup> .

• وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أَكَلِّمُهُ ، حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، فَجَلَسَ بِفَنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ ، فَقَالَ : « أَتُمْ لُكْعُ أَتُمْ لُكْعُ ؟ » - اللعك : المراد به هنا الولد الصَّغير - يعني ها هنا لُكْعُ أي ها هنا الحسن ؟ : « أَتُمْ لُكْعُ أَتُمْ لُكْعُ » وظل النبي ﷺ يكررها ، يقول : فَحَبَسَتْهُ شَيْئًا - أي فحبسته فاطمة - فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ سَخَابًا أَوْ تُغَسِّلُهُ ؛ فَجَاءَ - الحسن - يَشْتَدُّ ، وَفِي رَوَايَةٍ : فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى - حَتَّى عَانَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَبَّلَهُ ، وَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « اللَّهُمَّ أَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ » <sup>(٢)</sup> .

فلو وجدت في قلبك حبًّا للحسن ﷺ فأبشر؛ فإن دعوة النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة . باب : فضائل الحسن والحسين ﷺ (٣٧٤٩) ،

ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل الحسن والحسين ﷺ (٢٤٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب : ما ذكر في الأسواق (٢١٢٢) ، ومسلم في كتاب

فضائل الصحابة . باب : فضائل الحسن والحسين ﷺ (٥٧ / ٢٤٢١) .

لا ترد ؛ فإن النبي ﷺ قد دعا الله أن يحبَّ كلَّ من أحبَّ الحسن بن علي عليه السلام اللهمَّ إِنَّا نشهدك أَنَا نحبُّ الحسنَ والحسينَ وعليًا وفاطمةَ وجميعَ أصحاب النبي ﷺ ، بل وجميع آل بيت النبي ﷺ ممن ماتوا على التَّوحيد ، ونسألك أن تجمعنا بهم في جنَّات النِّعيم ، بحبنا لهم لا بأعمالنا ، يا أرحم الرَّاحمين .

• وفي الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة والنسائي في «الكبرى» ، وأبو يعلى بسندٍ حسنٍ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي ؛ فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْنَعُوهُمَا أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ أَنْ دَعُوهُمَا ، فَإِذَا قَضَى الصَّلَاةَ وَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ ، وَقَالَ : « مَنْ أَحْبَبَنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ » <sup>(١)</sup> .

• وفي الحديث الذي رواه أحمد - وهو حديث صحيح - من حديث عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرم قال :

« بَيْنَمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَخْطُبُ بَعْدَ مَا قُتِلَ عَلِيٌّ إِذْ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ آدَمُ طَوَّالٌ - رَجُلٌ طَوِيلٌ - ؛ فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضَعُ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢١٧٤) ، والنسائي في «الكبرى» (٨١٧٠) ، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٠١٧ ، ٥٣٦٨) ، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٨٧) ، وابن حبان (٦٩٧٠) ، والطبراني (٢٦٤٤) ، والبيهقي في «سننه» (٢/٢٦٣) ، وقال الألباني في «الصحيحه» (٣١٢) : «وهذا إسناد حسن» .

الحَسَنَ فِي حَبْوَتِهِ، وَيَقُولُ : « مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ » <sup>(١)</sup> .

يقول الرَّجُلُ : وَلَوْلَا عَزْمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَي أَنْ يَبْلُغَ الشَّاهِدُ مِنَ الْغَائِبِ - مَا حَدَّثْتُكُمْ بِهَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

• وفي الحديث الذي رواه البخاري <sup>(٢)</sup> من حديث عقبة بن الحارث قال : « رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْمِلُ الْحَسَنَ - وَذَلِكَ بَعْدَ دَفْنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ يَقُولُ : بِأَبِي شَبِيهٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَلَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيٍّ وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ ! » .

فمعلوم أن الحسن - رضوان الله عليه - كان أشبه الخلق برسول الله ﷺ ، كان وجهه حسناً كوجه المصطفى ﷺ ويقال : إن الحسين كان يشبه النبي ﷺ في نصفه الأسفل <sup>(٣)</sup> أي : في فخذه ، وفي ساقه ، وفي قدميه ؛ لكن وجه الحسن كان أشبه الوجوه بوجه المصطفى ﷺ ؛ ولذلك كان النبي ﷺ إذا رأى الحسن يقول :

« الْحَسَنُ مِنِّي ، وَحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيٍّ » <sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٦٦/٥) ، وابن أبي شيبه (١٢٢٣٦) ، والبخاري في « خلق أفعال العباد » (٥٢) ، والحاكم في « المستدرک » (١٧٤/٣) ، وصححه الشيخ شعيب في تعليقه على المسند .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة « باب : فضائل الحسن والحسين » (٣٧٥٠) .

(٣) « الطبقات » لابن سعد (٢٤٨، ٢٤٧/١) .

(٤) أخرجه أحمد (١٣٢/٤) وأبو داود ، كتاب اللباس ، باب في جلود النمر والسباع (٤١٣١) من حديث المقدم بن معد يكرب وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

● وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث أنس عليه السلام أنه قال : « لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ » <sup>(١)</sup> .

لو ظلمت أتمدن من مناقب الحسن ربما تحتاج إلى كتاب كامل ، لكن هذا جرياً على المنهج الذي اتبعته قبل ذلك حينما توقفت مع مناقب بعض الصحابة ممن تحدثنا عنهم في هذه الفتنة الحالكة ؛ كما ذكرت بعض مناقب عثمان ، وبعض مناقب علي ، وبعض مناقب معاوية ، وبعض مناقب أبي موسى ، وبعض مناقب عمرو رضي الله عنه ؛ فكان حتماً لازماً ، أن أقف مع بعض مناقب الحسن عليه السلام .

لنقف الآن على عظمة الحسن الحقيقية ، وعلى أعظم وأجل هدية قدمها الحسن للأمة ، وتدبر ماذا قال النبي ﷺ ؟ فالذي فعله الحسن ، إنما هو تحقيق لبشارة نبوية قالها الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

فلعلكم عرفت في ثنايا ما سبق أن هذه الفتنة قد أخبر عنها المصطفى ﷺ وجلاها ؛ فماذا قال النبي ﷺ ؟ والحديث رواه البخاري من حديث أبي موسى عليه السلام عن الحسن عليه السلام أن أبا بكر

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهم

ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ على المنبر - والحسن إلى جنبه - يقول :

« ابني هذا سيّد ، وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » <sup>(١)</sup> .

فالنبي ﷺ يشهد للفتن - أي لفئة عليّ وفئة معاوية - بأنهما من المسلمين .

تدبروا هذا حتى لا يخوض أحد بالباطل ، في حقّ عليّ أو في حق معاوية ؛ فقد بيّنا أن الطائفتين قد اجتهدتا ، لكنّ الطائفة التي جانبت الصّواب هي طائفة معاوية ﷺ وأولى الطائفتين بالحقّ - بموعد كلام الصّادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى - هي طائفة عليّ ﷺ وغفر الله لأصحابه ولأصحاب معاوية ، وجمعنا بهم جميعاً في جنّة النّعيم ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

نعم - أيها الأُحبة - في هذا اليوم الذي دفن فيه عليّ ﷺ تولى الخلافة من بعده الحسن بن علي ، بعد بيعة المسلمين له ، وخطب بعد مقتل أبيه ؛ وقال : لقد فارقكم رجلٌ أمس ، ما سبقه الأوّلون بعلم ، ولا أدركه الآخرون ، إن كان رسول الله ﷺ ليعثه ويعطيه الرّاية ، فلا ينصرف حتّى يُفتح له ، وما ترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب : فضائل الحسن والحسين (٣٧٤٦) .

من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله» (١).

ولما أتى خبر مقتل علي عليه السلام لمعاوية عليه السلام جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه، وقد قاتلته؟ فقال: «ويحك، إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم» (٢).

وأضحى معاوية في قلقٍ شديد، وهمٌّ عظيم، إذ لا زالت الحرب قائمة، فخشى أن يستمر القتال، وأن تتجدد الشارات، وأن تزحف الجيوش من جديد بعد استخلاف الحسن بن علي عليه السلام، فانطلق معاوية لبيث مخاوفه وألمه لعمر بن العاص عليه السلام؛ فقال معاوية - حينما لقي عمرًا -؛ كما قال الحسن البصري (٣):  
استقبل - والله - الحسن بن علي معاوية بكتائب كأمثال الجبال -  
ناس ثارت لقتل علي، وراحت تباع الحسن بقوة، وانضم  
تحت لواء الحسن جيش جرار ضخمة جدًا -، فقال عمرو ابن  
العاص - لما رأى هذه الكتائب: «إني لأرى كتائب لا تُؤلي حتى

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/١٩٩)، وابن أبي شيبة (٦/٣٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٣٦) وصححه الشيخ شعيب .

(٢) «البداية والنهاية» (٨/١٣٣).

(٣) كما عند البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: «ابني هذا سيد» (٢٧٠٤).

تقتل أقرانها ، فقال له معاوية - وكان - والله - خير الرجلين - أي : عمرو ، وإن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء - أي : إن قتل فريق الحسن بهذه الآلاف وقتل فريقي - أي : فريق معاوية - فمن لي بأمور الناس ؟! من لي بنسائهم ؟ من لي بضيعتهم ؟! .

فبعث معاوية ﷺ إلى الحسن ﷺ برجلين من قريش من بني عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز - ليفاوضا الحسن ﷺ وليعرضا عليه الصلح ، وطلب ما يريد الحسن - فقال معاوية : اذهبا إلى هذا الرجل - الحسن - فاعرضا عليه ، وقولا له واطلبا إليه ؛ فأتياه فدخلا عليه - على الحسن - فتكلما ؛ وقالوا له : وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن بن علي ﷺ : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال - أي لا حاجة لنا في المال - وإن هذه الأمة قد عاشت في دمائها . قالوا : فإن - معاوية - يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ، ويسألك ؛ فقال الحسن : فمن لي بهذا ؟ قالوا : نحن لك به ، فما سألهما شيئاً إلا قالوا : نحن لك به ، فصالحه . فصالح الحسن معاوية ﷺ .

• قال الإمام الخطابي - أرجو أن تدبروا هذا الكلام : « قد خرج مصداق هذا القول فيه - أي : الحسن - بما كان من إصلاحه بين أهل العراق والشام ، وتخلية عن الأمر خوفاً من الفتنة ، وكرهية لإراقة الدّم ، ويسمى هذا العام بعام الجماعة - أي : العام الذي اجتمعت فيه

الدِّم ، ويسمى هذا العام بعام الجماعة - أي : العام الذي اجتمعت فيه كلمة المسلمين .

• يقول الخطابي : « وفي الخبر - ( ابني هذا سيّد .. ) دليلٌ أن واحداً من الفريقين لم يخرج - لما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل - عن ملة الإسلام ، إذ جعلهم النبي ﷺ آخر الأمر من المسلمين .  
« وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

ألم أقل لكم : إن الطائفتين قد اجتهدتا ، والمجتهد المصيب له أجران والمجتهد المخطئ له أجر واحد ، والله الحمد والمنة ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ ، هم يقتتلون ، ومع ذلك لم يخرجهم ربُّنا تعالى من مسمّى الإيمان .

﴿ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] ، سماها الله فئة باغية ، ومع ذلك لم يخرجها الله تعالى من مسمّى الإيمان ، ولم يخرجهم النبي ﷺ في حديثه من مسمّى الإسلام .

• وقال ابن كثير <sup>(١)</sup> : « قد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام ؛ فمن كفرهم أو كفر واحداً منهم لمجرد ما وقع فيه ؛ فقد أخطأ وخالف النصّ النبويّ المحمدي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو

(١) « ( البداية والنهاية » ٦ / ٢٢٠ ط المعارف ) .

إلا وحي يوحى .

■ وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : قلت للحسن بن علي عليه السلام - تدبر معي - إن الناس يقولون : إنك تريد الخلافة ! .

وهكذا نلاحظ أن الناس لم يتركوا علياً ولا ولده ؛ بل أساءوا لعليٍّ وللحسن من بعده ؛ فقال الحسن - وأرجو أن تتدبروا - : « لقد كانت جماجم العرب في يدي ، يحاربون من حاربتُ ، ويسالمون من سالمْتُ ، تركتها ابتغاء وجه الله ، وحقناً لدماء أمة محمد ﷺ ، ثم أثيرها ثانياً من أهل الحجاز » - يعني أطلب الخلافة بعد ذلك بعدما تنازلت عنها ؟ !

والحديث رواه الحاكم في مستدركه ، وقال : « صحيح على شرط الشيخين » ، وأقره الذهبي في « تلخيصه » <sup>(١)</sup> .

وتنازل الحسن بن علي عليه السلام عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في الخامس من شهر ربيع الأول ، سنة إحدى وأربعين من هجرة النبي الأمين ﷺ ، سلمها له وتنازل عنها حقناً لدماء المسلمين ، ولتجتمع كلمة الأمة تحت راية خليفة أو إمام واحد ، ودخل الناس جميعاً في طاعة معاوية ، ودخل معاوية الكوفة فبايعه الناس .

وقد بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء ، ثم طلب معاوية رضي الله عنه من الحسن بن

(١) أخرجه الحاكم (٣/١٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٧) ، والمزي في « في تهذيب الكمال » (٦/٢٥٠) ، وابن عساكر (١٣/٢٨٠ و٢٨١) .

علي عليه السلام أن يخطب في المسلمين في الكوفة ، لما تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية ؛ فقام الحسن عليه السلام فخطب الناس فقال : « الحمد لله الذي هدى بنا أولكم ، وحقن بنا دماء آخركم - يقصد المصطفى ﷺ ويقصد نفسه - ألا إن أكيس الكيس : التقى ، وأعجز العجز : الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون - أي : معاوية - هو أحق به مني . وإما أن يكون هذا الأمر حقي ، فتركناه لله ، ولصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم .

قال : ثم التفت الحسن إلى معاوية ، وقال : ﴿ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء: ١١١] <sup>(١)</sup> ، ثم نزل الحسن - رضوان الله عليه .

○ هذه - أيها الأجابة - هي نفسية الحسن ، وهذا ورعه وإيمانه ، وتلك تقواه ، إنها نفسية المسلم الذي تربى في بيت المصطفى ﷺ وكفى ! ماذا تريدون بعد ذلك ؟ ! .

يتنازل عن الدنيا ، وعن الخلافة والبيعة ، حقناً لدماء الأمة ، وصلاًحاً لأمرها ؛ لتجتمع كلمة الأمة ، ليس عن عجز .. لا - والله - ولا عن ضعف !! فلقد كانت جماجم العرب - كما قال عليه السلام - بين : « يديه » يحاربون من حارب « ويسالمون من سالم » ، ولكنه ﷺ يتنازل

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٥/٦) و(٤٧٨/٧) ، والحاكم (٤٨١٣) ، والبيهقي في «الكبرى» (١٧٣/٨) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٧/٢) ، وابن عساكر (٢٧٣/١٣) ، (٢٧٤) .

عن كل هذا ؛ إصلاحاً لأحوال الأمة ، ولتجتمع كلمة الأمة على قلب رجل واحد .

ولقد لقيه رجلٌ يوماً ؛ فقال للحسن : السَّلام عليك يا مُذِلَّ المسلمين !  
انظروا إلى سوء الأدب ! فأجابه الحسن بأدب : « لا تقل ذلك يا أبا عامر ،  
والله لم أذل المؤمنين ، ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك ! » <sup>(١)</sup> .

وهكذا تنتهي هذه الفتنة بتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ، ويتولى  
الأمر من بعد الحسن معاوية بن أبي سفيان ؓ لتمتد الفتوح  
الإسلامية العظيمة امتداداً كبيراً في عهده .

ولا يتسع المجال للتعرض لهذا ؛ فليس هذا هو محلُّ بحثنا .  
وأتوقف عند هذا القدر ، وأرجو الله ﷻ أن أكون بذلك قد جليتُ  
الفتنة الصَّماء البكماء العمياء ، التي وقعت بين الصَّحابة ، واستخرجت  
الحقَّ من وسط هذا الرُّكام الهائل من الباطل الذي سُحنت به كتبُ  
الأسفار والتَّاريخ ، وأرجو الله أن أكون وفَّقت في ذلك ، وأرجو الله  
أن أكون قد أزلت هذه الغمامات السَّوداء التي خيَّمت على كثيرٍ من  
العقول والقلوب طيلة السَّنوات الماضية .

ووالله ما تعمدت أن أتعرض للحديث عن هذه الفتنة - في هذه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٧٦/٧) ، والحاكم (١٩٢/٣) ، والخطيب في « تاريخه »

(٣٠٥/١٠) ، وابن عساكر (٢٧٩/١٣) و (١٥١/٥٩) .

الأيام - وأنا الذي كنت أهرب منها دومًا - ليس خوفًا من الحديث عنها ، وإنما خوفًا من أن أزلَّ فيها ، وخوفًا من أن أُفسدُ من حيث أريد الإصلاح .

وأخشى ما كنت أخشاه أن تترك كلمةً مني - من غير قصدٍ - أثرًا سيئًا في قلب رجلٍ مسلمٍ واحد ، فاجتهدت قدر استطاعتي ، وتضرعتُ إلى الله أن يستخرج الحقَّ من قلبي على لساني للذبِّ والذودِ عن أصحاب النبي ﷺ بما يليق بمكانتهم وجلالتهم ، وبما يليق بحبنا لهم - رضوان الله عليهم أجمعين .

فوالله ما دفعني للحديث عن هذه الفتنة إلا كلماتٌ خبيثةٌ أوجعتني سمعتها هنا ، وقرأتها هناك في حقِّ أطهر وأشرف الخلق بعد الرسل والأنبياء ، فأردتُ أن أرفع من خسيستي بالدِّفاع عنهم ﷺ ، وأسأل الله تعالى ألا يجرمنا صحبتهم في الآخرة ، بحبنا لهم وإن قصرت أعمالنا ، وأن يجزيهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء ، إنه وليُّ ذلك ومولاه .

وأسأله سبحانه ألا يجعل حظَّنَا من ديننا قولنا ، وأن يحسِّن نياتنا وأعمالنا ، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال والأحوال ، وألا يفضحنا بخفي ما اطلع عليه من أسرارنا ، ولا بقبيح ما تجرأنا به عليه في خلواتنا ؛ إنه وليُّ ذلك ومولاه .





واجبنا نحو  
الصحابة رضي الله عنهم



## واجبنا نحو الصحابة

○ وأختم هذه الأبواب بفصلين في غاية الأهمية :

- الفصل الأول: واجب المسلم نحو الصحابة رضي الله عنهم.

- الفصل الثاني: منهج المسلم في الفتن .

○ وإليك تفصيل ذلك :

أما عن واجبنا تجاه أصحاب نبينا ﷺ فهو حبهم ، والترضي عنهم ،  
والسكوت عما شجر بينهم ، وسلامة القلوب من الحقد عليهم ، أو  
بغضهم ، أو الوقعة فيهم ؛ قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ  
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ  
فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

● وقال قبيصة بن عقبة (١) رضي الله عنه : « حبُّ أصحاب النبي ﷺ كلُّهم  
سنة » .

وعائشة رضي الله عنها تتعجب من هؤلاء الضالين الذين يقعون بالسننهم في  
الصحابة ، فتقول لابن أختها عروة بن الزبير : « يا ابن أختي أمروا أن  
يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبواهم » (٢) .

(١) الحجة للتيمي (٢/ ٣٦٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢٢) .

■ وقال السفاريني <sup>(١)</sup> «بل يجب ذكر محاسنهم ، والترضي عنهم ، والمحبة لهم ، وترك التحامل على أحد منهم . واعتقاد العذر لهم . وإنما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفرًا ، ولا فسقًا ؛ بل ربما يثابون عليه لأنهم اجتهدوا ابتغاء الحق والصواب ، وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله ينكر على من خاض ، ويسلم أحاديث فضائلهم وقد تبرأ ممن ضللهم ، أو كفرهم ، وقال : السكوت عما جرى بينهم أولى وأحرى .»

■ وسئل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - عن القتال الذي حصل بين الصحابة ، فقال : « تلك دماء طهر الله يدي منها ، أفلا أظهر لساني منها ، مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ، ودواء العيون ترك مسّها <sup>(٢)</sup> .

■ قال البيهقي معلقًا على قول عمر بن عبد العزيز رحمته الله : هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب <sup>(٣)</sup> .

وسئل الحسن البصري - رحمه الله تعالى - عن قتال الصحابة فيما بينهم ، فقال : قتال شهدته أصحاب محمد ﷺ وغنا ، وعلموا وجهلنا ،

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٩٩ / ٢) .

(٢) الإنصاف للباقلاني ص ٦٩ ، والطبقات (٣٩٤ / ٥) .

(٣) مناقب الشافعي ص ١٣٦ .

واجتمعوا فاتَّبِعْنَا ، واختلفوا فوقفنا <sup>(١)</sup> .

ومعنى قول الحسن هذا : أن الصَّحَابَةَ كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه ، ونقف عند ما اختلفوا فيه . ولا نبتدع رأياً منا ، ونعلم أنهم اجتمعوا وأرادوا الله ﷻ إذ كانوا غير متَّهَمِينَ فِي الدِّينِ <sup>(٢)</sup> .

• وسئل جعفر بن محمد الصادق عَمَّا وقع بين الصَّحَابَةِ ، فأجاب بقوله : أقول ما قال الله : ﴿ قَالَ عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ <sup>(٣)</sup> [طه: ٥٢] .

• قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - بعد أن قيل له : ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية ؟

قال : ما أقول فيهم إلا الحسنى <sup>(٤)</sup> .

○ وعن إبراهيم بن آزر الفقيه قال : حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين عليٍّ ومعاوية ؟ فأعرض عنه ، فقليل له : يا أبا عبد الله هو رجلٌ من بني هاشم فأقبل عليه فقال : اقرأ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الإنصاف للباقلاني (ص ٦٩) .

(٤) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي (ص ١٦٤) .

مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ<sup>ط</sup> وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿البقرة: ١٣٤﴾ .  
 • وقال أبو عبد الله بن بطة - أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة :  
 ومن بعد ذلك نكفَّ عَمَّا شَجَر بين أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد شهدوا  
 المشاهد معه ، وسبقوا النَّاسَ بالفضل ، فقد غفر الله لهم ، وأمرَك  
 بالاستغفار لهم ، والتقرب إليه بمحبتهم ، وفرض ذلك على لسان نبيه ،  
 وهو يعلم ما سيكون منهم ، وأنَّهم سيقْتَلون ، وإنَّما فُضِّلوا على سائر  
 الخلق ؛ لأنَّ الخطأ والعمد وضع عنهم ، وكلُّ ما شَجَر بينهم مغفور  
 لهم<sup>(١)</sup> .

• وقال أبو بكر بن الطَّيْب الباقلاني : يجب أن يُعْلَمَ : أنَّ ما جرى  
 بين أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم من المشاجرة نكفَّ عنه ،  
 وترحم على الجميع ، ونشني عليهم . ونسأل الله تعالى لهم الرضوان  
 والأمان والفوز والجنان ، ونعتقد أنَّ عليًّا ؑ أصاب فيما فعل وله  
 أجران ، وأنَّ الصحابة ؓ ما صدر منهم كان باجتهاد ؛ فلهم الأجر ،  
 ولا يفسقون ، ولا يبدعون ، والدليل عليه ؛ قوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ  
 السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] .

وقوله ﷺ « إِذَا اجْتَهِدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا اجْتَهِدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » (١) .

فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده ، فما ظنك باجتهدا من - رضي الله عنهم ورضوا عنه - ويدل على صحة هذا القول : قوله ﷺ للحسن :

« إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَسَيُضْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (٢) .

فأثبت العظمة لكل واحد من الطائفتين ، وحكم لهما بصحة الإسلام ، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] .  
إلى أن قال : ويجب الكف عما شجر بينهم ، والسكوت عنه (٣) .

• وقال ابن تيمية - في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة : « ويمسكون عما شجر بين الصحابة » ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساوئهم ، منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون ، إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون » (٤) .

(١) سبق تخريجه .

(٢) البخاري « كتاب الفتن رقم (٧١٠٩) .

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص ٦٧ - ٦٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤، ١٥٥) ، والعقيدة الوسطية (٢٦) .

○ وقال ابن كثير <sup>(١)</sup> : « أمّا ما شجر بينهم بعده ﷺ ، فمنه ما وقع من غير قصد ، كيوم الجمل ، ومنه ما وقع عن اجتهاد ، كيوم صفّين ، والاجتهاد يخطئ ، ولكن صاحبه معذور ، وإن أخطأ ومأجور أيضًا ، وأما المصيب فله أجران » .

○ قال ابن حجر <sup>(٢)</sup> : « واتفق أهل السُّنة على وجوب منع الطعن على أحد الصّحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحقّ منهم ؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد ؛ بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا ، وأن المصيب يؤجر أجرين » .

■ فأهل السُّنة مجمعون على وجوب السُّكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصّحابة ﷺ بعد مقتل عثمان والتّرحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم — رضي الله عنهم وأرضاهم <sup>(٣)</sup> .



(١) كما في الباعث الحثيث (ص ١٨٢) .

(٢) « الفتح » (٣٤ / ١٣) .

(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢ / ٧٤٠) .



منهج المسلم  
في الفتن



## ﴿منهج المسلم في الفتن﴾

○ أولاً : الاعتصام بالله جلّ وعلا والصدق في طلب العون منه ،  
ليعينك الله وليثبتك في هذه الفتن المتلاطمة الأمواج . فالمعصوم من  
عصمة الله ، والمخذول من خذل ، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله .

فمن أعانته الله فهو المعان ، ومن تخلّى عنه بستره وتوفيقه فهو المخذول ،  
قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾  
[آل عمران: ١٠١] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾  
[آل عمران: ١٠٣] ومدار النجاة على التمسك بهاتين العصمتين ، وقال تعالى :  
﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[فصلت: ٣٦]

فاستعن بالله على هذه الفتن التي تواجهها في بيتك ، وفي وظيفتك ،  
وفي الشارع ، وفي الجامعة ، وفي كل مكان .

قم أيّها العبد الغارق في مستنقع الفتن ، قم بالليل ، واطرح قلبك بذل  
وانكسار بين يديه جلّ وعلا واعترف له بعجزك وضعفك وفقرك .

بك أستجير ومن يجير سواك      فأجر ضعيفاً يحتمي بحماك  
إني ضعيف أستعين على قوي      ذنبي ومعصيتي ببعض قواك

أذنبت يا رب وقادتني ذنوب مالهامن غافر إلاك  
ربّاه ها أنذا خلصت من الهوى واستقبل القلب الخليّ هداك  
رباه قلب تائب ناجاك أترده وترد صادق توبتي حاشاك  
حاشاك ترفض تائبًا حاشاك

فليرض عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسمى لغير رضاك  
قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ  
يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

○ ثانيًا : تجديد الإيمان ، اعلم بأن الإيمان يضعف ويقوي ، يزيد  
وينقص ، يضعف في بيئة الفتن والمعاصي ، ويقوى في بيئة الطاعات ..  
فعرّض قلبك على قدر الاستطاعة لبيئة الطاعة ... قد تكون طيبًا ... قد  
تكون مهندسًا ... قد تكون أستاذًا في الجامعة ... ضابطًا في الجيش ...  
لكنني أقول مع كلّ هذا الزخم الضّاعط مهما كان عملك اجعل  
لنفسك ساعة لتسمع عن الله ورسوله ﷺ ... لتجلس فيها في مجلس  
علم ، لعالم رباني أو داعية صادق ؛ ليزداد إيمانك ؛ ففي الحديث الذي  
رواه الحاكم والطبراني <sup>(١)</sup> عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن  
رسول الله ﷺ قال :

(١) أخرجه الحاكم (٤/١) وقال : « رواه مصريون ثقات » ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في  
المجمع (٥٢/١) : « رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن » ، وصححه الشيخ الألباني في  
الصحيحة (١٥٨٥) .

« إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ » .

فملازمتك لمجالس العلم بنية خالصة ، توفّق للخروج من البدعة إلى السنة ، ومن الحرام إلى الحلال ، ومن الباطل إلى الحق ، ومن الشر إلى الخير ، ومن الضلال إلى الهدى .

فالإيمان يتجدد بالطاعة كالذكر وملازمة مجالس العلماء الربّانيين ، والاستغفار ، والصّدق ، وقيام الليل ، وزيارة المقابر ، وقراءة القرآن ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الرّحم ... إلى غير ذلك .

○ ثالثاً : التمسك بالكتاب والسنة ، والعمل بهما . يجب علينا أن نحوّل القرآن والسنة في بيوتنا ووظائفنا ومصانعنا وشوارعنا وحياتنا إلى واقع عملي ومنهج حياة قال تعالى : ﴿ طه ﴾ مَّا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢﴾ [طه: ١-٣] .

فما أنزل الله القرآن إلا ليقيم النبي ﷺ به أمة ... إلا ليربي به النبي ﷺ القلوب والعقول والضمائر والأخلاق ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠] .

فلنرجع إلى القرآن ، لنطبق أحكامه حكماً حكماً ، وآية آية ، وتكليفاً

تكليفاً ، وأمرًا أمرًا ، ونهيًا نهيًا ، وحذرًا حذرًا ، وكلمة كلمة ، وحرفًا حرفًا ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩] .  
فإن من أعظم صمامات الأمان في الفتن أن تجعل لك وردًا يوميًا مع كتاب الله لا تتخلى عنه .

○ وأقول لك : احرص على هذا الورد كحرصك على تناول الطعام والشراب وتنفس الهواء ؛ لأنك تقرأ كلام رب الأرض والسماء !  
● قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: ٦٦] .

ولنرجع إلى السنة النبوية لامثال أمر النبي ﷺ واجتناب نهيه ، والوقوف عند حدّه ، واتباعه وتبليغ دعوته ورسالته ، إذ لا يمكن أن نفهم القرآن إلا من خلال سنة النبي - عليه الصلاة والسلام .

● قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

● وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

• وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

فما احوجنا في زمن الفتن إلى التمسك بالكتاب والسنة ، فورب الكعبة لا مخرج للبشرية عامة وللأمة خاصة من هذه الفتن الحالكة إلا بالعودة الصادقة إلى القرآن والسنة .

○ رابعاً : الثقة في وعد الله ورسوله ، وفهم السنة الربانية ؛ لأن شبابنا إن لم يفهموا السنن وقعوا في محنة حالكة ، ألا وهي محنة القنوط واليأس من التغيير ، بل ربما وقعوا في محنة الشك بالله وفي وعده ، وفي وعد رسوله ﷺ ، فلا بد أن نفهم السنن الربانية لأن الله سنناً في الكون لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي تلك السنن أحداً من الخلق بحال مهما ادّعى لنفسه من مقومات المحاباة ، فالله لا ينصر ولا يُمَكِّن ولا يَسْتَخْلِفُ ولا يُعْزِّزُ إلا من حقق الإيمان وهنا تزول هذه الفتنة التي تعصف بكثير من القلوب .

• قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] .

• قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ [الحج: ٤٠] .

○ خامساً : التحصن بالعبادة في وقت الفتن ، إن أقوى سلاح يستعين به المسلم وقت الفتن والبلاء أن يجتهد في العبادة ؛ ويبدل

قلبه وقاله وروحه - وقت غفلة كثير من الناس - في عبادة سيده ومولاه ليعيش بعيداً عن تلك الأمور العظام التي تعصف بالقلب وتغشاه ؛ كما في صحيح مسلم <sup>(١)</sup> عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ ، كَهَجْرَةِ إِلَيَّ » .

● قال النووي <sup>(٢)</sup> رحمته الله : « والمراد بالهرج هنا : الفتنة واختلاط أمور الناس ، وسبب كثرة فضل العبادة فيه : أن الناس يغفلون عنها ، ويشغلون عنها ، ولا يتفرغ لها إلا أفراد » .

● وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٧٩﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩] .

○ سادساً : المحافظة على الصلوات في جماعة ، قال تعالى :

﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] ..

● وفي «صحيح البخاري» <sup>(٣)</sup> عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَرَعَا ، يَقُولُ :

(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشرط الساعة باب فضل العبادة في الهرج (٢٩٤٨) .

(٢) مسلم بشرح النووي (٣١٣/٩) ط الحديث .

(٣) أخرج البخاري كتاب الفتن باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (٧٠٦٩) ، وانظر : أطرافه في (١١٥) .

« سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ ؟ وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يريد أزواجه - لِكَيْ يُصَلِّينَ ؟ رَبِّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ . »

○ أخي : لا تتخل عن هذه السفينة ؛ فأمواج الفتن تتلاطم من حولك ... لا تقل : ﴿ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ [هود: ٤٣] بل بادر إلى ركوب هذه السفينة - سفينة النجاة - إنها بيوت الله في الأرض .. إنها المساجد . فأنت إذا جلست في بيت الله ساعة أو ساعتين - حتى إن جلست لا تتكلم - فأنت في مأمن من الفتن .

● ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلًا فِي الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ » <sup>(١)</sup> .

● قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ ﴾ [التوبة: ١٨] .

○ سابعاً : ذكر الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ ، فالذكر من أعظم وسائل الثبات في الفتن ؛ قال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا

(١) أخرجه البخاري كتاب الأذان ، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح (٦٦٢) « ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المثني إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (٦٦٩) .

اللَّهُ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ [الأَنْفَال: ٤٥].

فكن ذاكرًا في كل نفسٍ من أنفاس حياتك ؛ كن مباركًا حيثما كنت ، فذكر الله فيه حياة القلوب والقرب من علام الغيوب ، ذكر الله فيه زوال الهموم ، وتفريج الكروب ، وطمأنينة القلوب ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وهو خير الأعمال وأزكاها وأفضلها ، روى أحمد والترمذي وابن ماجه <sup>(١)</sup> عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :

« أَلَا أَنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ ». قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : « ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى » .

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه : مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

والذاكر لله حيٌّ وإن توقفت منه الأعضاء ، والغافل عن ذكر الله

(١) أخرجه أحمد (١٩٥/٥) ، والترمذي كتاب الدعوات باب منه (٣٣٧٧) ، وابن ماجه كتاب الأدب باب فضل الذكر (٣٧٩٠) . والحاكم (٤٩٦/١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب (٥١٩) . وقال الهيثمي في المجمع (٧٣/١٠) : « رواه أحمد وإسناده حسن » . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٩) ، والمشكاة (٢٢٦٩) .

ميت وإن تحرك بين الأحياء ؛ ففي «الصحيحين» <sup>(١)</sup> من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» .

قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦] .

○ ثامناً: الاستعاذة بالله من الفتن ، فعلى العبد أن يستعين بالله من الفتن عند ورودها ، بل وقبل ورودها عليه ؛ ليحصن نفسه ؛ فقد روى مسلم <sup>(٢)</sup> من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » .

وكان النبي ﷺ يتعوذ في صلاته من فتنة المحيا والممات ، وفتنة المسيح الدجال ، وفتنة المغرم والمأثم ؛ كما في «الصحيحين» من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما . <sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله ﷻ (٦٤٠٧) ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته (٧٧٩) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٢٨٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام (٨٣٢) ، وانظر أطرافه هناك ، ومسلم كتاب والمساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٩) ، من حديث عائشة رضي الله عنها والبخاري (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والاستعاذه هي لجوء العبد إلى الله ﷻ بصدق لينجيه من هذه الفتن  
الحالكة المظلمة ، وليرفع عنه هذه الغمامة الكثيفة .

ولا تغفل عن الدعاء ؛ فالله جلّ وعلا حيّ كريم يستحي إذا رفع  
الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين <sup>(١)</sup> .

فتضرع إلى الله مع كلّ محنة وفي كلّ فتنة أن يثبتك الله ﷻ ولقد كان  
النبي ﷺ أكثر ما يقول :

« يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » . <sup>(٢)</sup>

○ تاسعاً : الصُّحبة الطَّيِّبة الصَّالحة ، فالصُّحبة قد تؤثر في الإنسان  
تأثيراً يتضاعف على تأثير البيت نفسه ؛ فالصاحب ساحب إمّا للثرى  
وإمّا للثريا .

○ لذا أقول : إن صحبة الصّالحين من أعظم وسائل الثبات في الفتن ،  
فاصحب الأخيار الذين تذكرك وجوههم بالعزير الغفار .

(١) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب الدعاء (١٤٨٨) ، والترمذي كتاب الدعوات (٣٥٥٦) .  
وابن ماجه كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء (٣٨٦٥) وصححه الشيخ الألباني في  
صحيح سنن أبي داود (١٣٢٠) ، وابن ماجه (٣١١٧) ، وصحيح الجامع (١٧٥٧) .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن  
(٢١٤٠) ، وقال : حديث حسن ، وابن ماجه كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله ﷺ  
(٣٨٣٤) من حديث أنس ؓ ، ورواه الترمذي (٣٥٢٢) ، عن أم سلمة ؓ وقال حديث  
حسن ، وانظر : (٣٥٨٧) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٧ - ٧٩٨٨) ،  
والمشكاة (١٠٢) .

أصبح من تذكرك رؤيتهم بالله ؛ فإن هناك قومًا إذا رأيت وجوههم ذكروك بالطاعة وفعل الخير والبعد عن المعصية .

فالصحة تعينك على الطاعة وعلى الثبات على الإيمان . قال تعالى : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠] .

• وفي «الصحيحين» <sup>(١)</sup> من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ : إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ : إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » .

○ عاشرًا : الفرار من الفتن ، ابتعد عن أماكن الفتن ، ولا تقف في وجهها ، وتظن أن هذه هي الشجاعة والثبات وأنك قد بلغت من الإيمان مبلغًا عظيمًا بحيث أنك تستطيع أن تقف وأن تواجه هذه الشبهات وتلك الشهوات ؛ لا فلقد حثَّ نبينا ﷺ على اعتزال مواطن الفتن ، والفرار منها ، روى البخاري <sup>(٢)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن

(١) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك (٢١٠١ ، ٥٥٣٤) ، ومسلم

كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (٢٦٢٨) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان ، باب من الدين الفرار من الفتن (١٩) ، وانظر أطرافه هناك =

رسول الله ﷺ قال :

« يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ ».

فَصِمَامُ الْأَمَانِ وَطُوقُ النَّجَاةِ بَعْدَ الْاِعْتَصَامِ بِاللَّهِ وَاللَّجُوءُ إِلَيْهِ أَنْ يَجْتَنِبَ الْإِنْسَانُ الْفِتْنَ وَأَنْ يَنْأَى عَنْهَا .

• وروى أبو داود <sup>(١)</sup> بسندٍ حسنٍ عن المقداد بن الأسود أن رسول الله ﷺ قال :

« إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ . إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ . إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ . وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا ».

• وفي «الصحيحين» <sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال :

« سَتَكُونُ فِتْنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاهِي ، وَالْمَاهِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، وَمَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ .

= وانظر الصحيحين: البخاري (٢٧٨٦) ، ومسلم (١٨٨٨) .

(١) أخرجه أبو داود كتاب الفتن والملاحم باب في النهي عن السعي في الفتنة (٤٢٦٣) ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٩٧٥) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠١) ، وانظر طرفاه هناك ، ومسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر (٢٨٨٦) .

وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلَجًا أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ .»

○ قال النووي <sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى :

« قوله : تشرف هو من الإشراف للشيء وهو الانتصاب والتطلع إليه والتعرض له ، ومعنى تستشرفه : تقلبه وتصرعه .

وقيل : بمعنى الإشفاء على الهلاك .»

○ أيها الأحبة ؛ هذه بعض الخطوات على طريق الخروج من الفتن إن حققناها قوي الإيمان وثبت ؛ قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

ولا ننسى أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ... يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، فيا أيها الفاضل إن حوّلت هذا المنهج الذي أصلته لك إلى منهج عملي تجدد إيمانك وقوى ، وحينئذ تكون أهلاً بإذن الله لأن يثبتك الله في بحور فتن الشهوات والشبهات .

● قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

أسأل الله أن يَجْنِبَنَا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ، وألا يجعل حظنا من ديننا قولنا ، وأن يحسن نيّاتنا وأعمالنا ،

(١) مسلم بشرح النووي .

وأن يجنّبنا الزّيف والزّلل ، وأن يرزقنا السّداد والرشاد ، وأن يجمعنا مع  
 نبينا الأمين وأصحابه الغرّالميامين وآل بيته الطّيبين الطّاهرين في  
 جنّات النّعيم .

○ هذا ؛ وما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من خطأ أو  
 نسيان فمنيّ ومن الشيطان ، وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون عليه  
 إلى الجنّة ويُرْمى به في نار جهنم ، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .  
 وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسام .

**وكتبه**

**الفقير إلى عفو الرّحمن**

**محمد بن حسان**

**القاهرة ١٤٢٧هـ**



أولا  
فهرس الأحاديث



## فهرس الأحاديث

الصفحة

الحديث

[ أ ]

- اِئذَن لَهُ وَبَشَرَهُ بِالْجَنَّةِ «أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِي» ..... ١٠٤
- ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ عَمْرُو وَهَشَامُ «أَبُو هَرِيرَةَ» ..... ٢٦٤
- ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ «أَبُو بَكْرَةَ» ..... ٣٣٠
- اثْبِتْ أَحَدَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ «أَنْسٌ» ..... ١٠٧
- أَثِمَ لَكَعْ ، أَثِمَ لَكَعْ «أَبُو هَرِيرَةَ» ..... ٣٢٦
- أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ لِلَّذِينَ يَلُونَهُمْ «عَمْرُ بْنُ
- الْخَطَّابِ» ..... ٢٥
- احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي «عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ..... ٢٦
- أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ «حَذِيفَةُ» ..... ٧٩، ٧٨
- ادْعُوا إِلَيَّ بَعْضُ أَصْحَابِي «عَائِشَةُ» ..... ١٥٩
- إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتِهِدْ «عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ» ..... ٢٦٣
- ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي «عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ» ..... ٣٣
- أَسْلَمَ النَّاسُ وَأَمَّنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ «عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ» ..... ٢٦٤..

الحديث

الصفحة

اقتدوا بالذين من بعدي من أصحاب «عبد الله بن

مسعود»..... ٣٥

أكرموا أصحابي «عمر بن الخطاب» ..... ٢٥

ألا إني أبرأ إلى كل خلٍّ من خله «عبد الله بن مسعود» ٢٩٠٠

ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة «عائشة» ..... ٣٢، ١٠٧

ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة «علي بن أبي

طالب»..... ١٠٧

ألا إن الفتنة ها هنا «عبد الله بن عمر» ..... ٥٥

ألا أنبئكم بخير أعمالكم «أبو الدرداء» ..... ٣٥٦

ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء «أبو سعيد الخدري» ٢٩٧٠

البيئة على من ادعى «عبد الله بن عمر» ..... ١٤٧

أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى

«سعد بن أبي وقاص» ..... ١٩٣، ٢٨٩

امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك «أبو هريرة» ..... ١٩١

أمّا صاحبكم هذا فقد غامر «أبو الدرداء» ..... ٣٠

إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم «عبد الله بن عمرو

ابن العاص» ..... ٣٥١، ٤٩

إن الحسن والحسين هما ریحانتاي من الدنيا «عبد الله بن

عمر» ..... ٣٣

إن السعيد لمن جنب الفتن «المقداد بن الأسود» ..... ٣٦٠

إن العبد إذا أخطأ خطيئة «أبو هريرة» ..... ٣٧

إن الله جعل الحق على لسان عمر «عبد الله بن عمر» ..... ٣٢

إن الله وضع الحق على لسان عمر «أبو ذر» ..... ٣٢

إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا «عمر بن الخطاب» ..... ١٣٩

إن آمنَّ الناس علي في مالي وصحبته «أبو سعيد

الخدري» ..... ٢٩

إن بين يدي الساعة فتنة «أبو موسى الأشعري» ..... ٤٥

إن تطعنوا في إمرته «عبد الله بن عمر» ..... ٣٤

إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا «عبد الله بن مسعود» ..... ٣٠٩

إن صلاح ذات البين أعظم «علي» ..... ٣١٩

إن عثمان بن عفان في حاجة الله «أنس» ..... ١١٣

إن لكل أمة أمينًا «أنس» ..... ٣٤

الحديث

الصفحة

- إن منكم رجلاً يقاتل على تأويل القرآن «أبو سعيد الخدري» ..... ٣٠٣
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى «سعد بن أبي وقاص» ..... ٣٢
- أنت مني وأنا منك «البراء بن عازب» ..... ١٨٩
- أنتن صواحب يوسف «علي بن أبي طالب» ..... ١٨١
- إنما مثل الجليس الصالح «أبو موسى الأشعري» ..... ٣٥٩
- إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس «عائشة» ..... ٣٢٢، ٣٢٣
- إنه ستكون هنات وهنات «عرفجة» ..... ١٢٨
- إنه سيكون بينك وبين عائشة «علي بن أبي طالب» ..... ٢٢٥
- إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً «عبد الله بن عمرو بن العاص» ..... ٤٨
- إنه يخرج من ضئضى هذا قوم «أبو سعيد الخدري» ..... ٢٩٨
- إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم «أسامة بن زيد» ..... ٤٢
- إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس «أبو سعيد» ..... ٢٩٧
- اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ «جابر» ..... ٣٥

## الصفحة

## الحديث

- أهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق «أبو هريرة» ٣١٨.....
- أوصيكم بأصحابي «عمر بن الخطاب» ٢٥.....
- أوصيكم بتقوى الله «العرباض بن سارية» ٣٦.....
- أيتكن صاحبة الجمل الأدب «عبد الله بن عباس» ٢٠٩.....
- أين ابن عمك ؟ «أم سلمة» ٣٢٣.....
- إيها يا ابن الخطاب «سعد بن أبي وقاص» ٧٧.....

## [ب]

- بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل «أبو هريرة» ٤٤.....
- بشر قاتل ابن صفية بالنار «علي بن أبي طالب» ٢٢٤.....
- بينما أنا نائم إذ أتيت بقدر لبن «عبد الله بن عمر» ٧٦.....
- بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي «أبو سعيد
- الخدري» ٧٦.....

## [ت]

- تعرض الفتن على القلوب «حذيفة» ٦٥.....
- تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها «زيد بن ثابت» ٣٥٧.....
- تقتلك الفئة الباغية «أبو سعيد وأم سلمة» ٢٤٧.....

الحديث الصفحة

تكون في أمتي فرقتان «أبو سعيد الخدري» ..... ٣٠٧، ٣٠٨

تلك أعظم وأطم «عصمة بن قيس السلمي» ..... ٥٩

تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين «أبو سعيد الخدري» ..... ٣٠٧

تمرق مارقة عند فرقة من الناس «أبو سعيد الخدري» ..... ٣٠٨

[ح]

الحسن مني وحسين من علي «المقداد بن معد يكرب» ..... ٣٢٨

الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة «أبو سعيد

الخدري» ..... ٣٣

[خ]

خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرط «أبو سعيد الخدري» ..... ٣٢٢

خير الناس قرني «عبد الله بن مسعود» ..... ١٨

خير أمتي قرني «عمران بن حصين» ..... ١٨

خيركم قرني «عمران بن حصين» ..... ١٨

[د]

رأس الكفر من ها هنا «عبد الله بن عمر» ..... ٥٥

[س]

سئل رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ «عبد الله بن

الصفحةالحديث

مسعود»..... ١٨

سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن «أم سلمة»..... ٣٥٥

ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم «خباب بن

الأرت»..... ٣١٠

ستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي «أبو هريرة»..... ٣٦٠

سيأتي على الناس سنوات خداعات «أبو هريرة»..... ٦٣

[ص]

صنفان من أهل النار لم أرهما «أبو هريرة»..... ٤٧

[ط]

طلحة شهيد يمشي على الأرض «جابر»..... ٢٣٧، ٢٣٦

[ع]

العبادة في الهرج كهجرة إلى «معقل بن يسار»..... ٣٥٤

عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي «سعد بن أبي

وقاص»..... ٧٧

عشرة من قريش في الجنة «سعيد بن زيد»..... ١٨٩

عمرو بن العاص من صالحى قريش «طلحة بن عبيد

الله» ..... ٢٦٤

[ف]

فتنة الرجل في أهله وماله وجاره «حذيفة» ..... ٧١

[ق]

قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا «حذيفة» ..... ٧٨

قد كان مَنْ قَبْلَكُمْ ، يُؤْخَذُ الرجل «خباب بن الأرت» ..... ٣١٠

قرني ثم الذين يلونهم «عبد الله بن مسعود» ..... ١٨

[ك]

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير «حذيفة» ..... ٨٢

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته «عبد الله بن عمر» ..... ١٧٧

[ل]

لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأني «وائل بن

الأسقع» ..... ٢٤

لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق «أبو سعيد

الخدري» ..... ٢٠

لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي «أبو هريرة» ..... ٢٠٢، ٢١

الصفحةالحديث

- لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم «أبو ذر» ..... ٧٣
- لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل «أبو هريرة» ..... ٥٠
- لا يتمنين أحدكم الموت «أنس» ..... ٥١
- لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء «أبو الدرداء» ..... ٢٦٧
- لأعطين الراية غداً «سهل بن سعد» ..... ٢٨٩
- لقد كان فيما قبلكم من الأمم «أبو هريرة» ..... ٧٥
- لكل نبي حوارى وحوارى الزبير «جابر» ..... ٣٤
- الله الله فى أصحابي «عبد الله بن مغفل» ..... ٢٠٢
- اللهم اجعله هادياً مهدياً «عبد الرحمن بن أبي عميرة» ..... ٢٦٩
- اللهم أحبه وأحب من يحبه «أبو هريرة» ..... ٣٢٦
- اللهم امض لأصحابي هجرتهم «سعد بن أبي وقاص» ..... ٢٤٠
- اللهم إني أحبه فأحبه «أبي هريرة» ..... ٣٣
- اللهم إني أحبه فأحبه «البراء بن عازب» ..... ٣٢٦
- اللهم إني أحبهما فأحبهم «أسامة بن زيد» ..... ٣٢٥
- اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس «أم سلمة» ..... ٣٢٤

الصفحة

الحديث

- اللهم بارك لنا في شامنا «ابن عمر»..... ٥٦
- اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا «ابن عباس»..... ٥٦
- اللهم علمه الكتاب وقه العذاب «العرباض بن سارية»..... ٢٦٩
- اللهم لا يدركني زمان قوم لا يتبعون العليم «أبو هريرة»..... ٦٢
- اللهم لا يدركني زمان ولا تدركوا زماناً لا يتبع فيه العليم «سهل بن سعد»..... ٦٢
- ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان «عبد الله بن مسعود»... ٢٦٨

[م]

- ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء «أسامة ابن زيد»..... ٤٢
- ما زلتم ها هنا؟ «أبو بردة»..... ٢٢
- ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم «عبد الرحمن بن سمرة» ١١٤
- ما على عثمان ما عمل بعد هذا «عبد الرحمن بن خباب» ١١٥
- ما من القلوب قلب إلا وله سحابة «علي بن أبي طالب» ٦٦
- ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة «حذيفة»..... ٧٩

## الصفحة

## الحديث

- ما من عبد يسترعيه الله رعية «معقل بن يسار» ١٧٦.....
- ما نفعتني مال قط «أبو هريرة» ٣٠.....
- مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه «أبو موسى» ٣٥٧...
- من أتاكم وأمركم جميع «عرفجة» ١٢٨.....
- من أحبني فليحب هذين «ابن مسعود» ٣٢٧.....
- من أحبني فليحبه ١ فليبلغ الشاهد «رجل من أزد» ٣٢٨، ٣٢٧.....
- من رجل يقوم فينظر «حذيفة» ٨٨.....
- من سب أصحابي فعليه لعنة الله «عطاء بن أبي رباح» ٢١...
- من غدا إلى المسجد أو راح «أبو هريرة» ٣٥٥.....
- من كنت مولاه فعلي مولاه «علي بن أبي طالب» ١٨٩.....
- من لعن مؤمناً فهو كقتله «ثابت بن الضحاك» ٢٦٧.....
- من نجا من ثلاث فقد نجا «عبد الله بن حوالة الأزدي» ١٥٧.
- من هاهنا جاءت الفتن «ابن مسعود» ٥٥.....
- من يشتري بئر رومة «عثمان بن عفان» ١٠٩.....
- منهن ثلاثاً لا يكدن يذرن شيئاً «حذيفة» ٥٠.....

[ن]

نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله «طلحة بن

عبيد الله» ..... ٢٦٤

### [هـ]

هذا غلق الفتنة «عثمان بن مظعون» ..... ٧٣

هذان سيدا كهول أهل الجنة «أنس» ..... ٣٠

هل انتم تاركولي صاحبي «أبو الدرداء» ..... ٣٠

هل ترون ما أرى ؟ «أسامة بن زيد» ..... ١٠٢

هم شر الخلق «أبو سعيد» ..... ٣٠٧

هما ريجائتاي من المدينة «ابن عمر» ..... ٣٢٥

### [و]

والله ما الفقر أخشى عليكم «عمرو بن عوف» ..... ٤٤

والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة «حذيفة» ..... ٧٩

والله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة «المسور ومروان» ..... ٢٨، ٢٧

وإن بني إسرائيل تفرقت «عبد الله بن عمرو بن

العاص» ..... ٢٤

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة «العرباض» ..... ٣٥

ويلك أو لست أحق أهل الأرض «أبو سعيد» ..... ٢٩٧

ويلك ومن يعدل إن لم أعدل «أبو سعيد» ..... ٢٩٩

[ي]

يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم «المسور ومروان» ..... ٣٧

يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة «أبو ذر» ..... ١٧٦

يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني «سهل بن

حنيف» ..... ٢٨٣

يا عثمان ، أفطر عندنا «ابن عمر» ..... ١٦٢ ، ١٦١

يا عثمان إنك مقتول مستشهد «عائشة» ..... ١٦٠

يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصًا «عائشة» ..... ١٦٠

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك «أنس وأم

سلمة» ..... ٣٥٨

يأتي على الناس زمان «أبو سعيد» ..... ٢٣

يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن «علي بن أبي طالب» ..... ٣٠٠

يقتل فيها المقتنع يومئذ مظلومًا «ابن عمر» ..... ١١٩

يقتل هذا فيها مظلومًا «ابن عمر» ..... ١١٨

يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم «أبو سعيد» ..... ٣٦٠





ثانيًا  
فهرس الآثار



## فهرس الآثار

### الصفحة

### الآثار

- أحسنوا إليه وأكرموا مثواه «علي» ..... ٣١٦
- أخاف عليكم فتناً كأنها الليل «ابن مسعود» ..... ٦٥
- أخبروني ماذا نقيمت على أصحاب رسول الله «ابن عباس» ..... ٢٩٣
- أخرج فقاتلهم فإن معك من قد نصر الله بأقل منهم
- «عبد الله بن الزبير» ..... ١٥٤
- أدعوك إلى تقوى ربك «بشير بن أبي مسعود» ..... ٢٤٠
- إذا أحب أحدكم أن يعلم إذا أصابته الفتنة «حذيفة بن اليمان» ..... ٦٨
- أرسل يدي يا قفل الفتنة «أبو ذر» ..... ٧٣
- استقبل والله الحسن بن علي معاوية «الحسن البصري» ..... ٣٣١
- أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة لي «عثمان ابن عفان» ..... ١٥٤ ، ١٥٣

الأثر الصفحة

- أعزم عليكم أن ترجعوا «عثمان بن عفان» ..... ١٥٤
- أقاتله على دم عثمان «معاوية» ..... ٢٤٤
- أقسم بالله الذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون  
«عائشة» ..... ١٥١
- أقول ما قال الله : علمها عند ربي في كتاب «جعفر بن  
محمد الصادق» ..... ٣٤٣
- أقيدونا بعبد الله بن خباب بن الأرت «علي بن أبي  
طالب» ..... ٣١١، ٣١٠
- ألا إني قدمت بلدًا وفيه أهلي فأقمت «عثمان بن عفان» .. ١٢٩، ١٣٣
- ألا لا يقر لي عامل أكثر من سنة «عمر بن الخطاب» ..... ٢٦١
- إلى الله أشكو عجري وبجري «علي» ..... ٢٢٣
- أما إنَّه كيِّس ولا تسمعها إيَّاه «عمر» ..... ٢٦١
- أما حبي لأهل بيتي «عثمان بن عفان» ..... ١٤٠
- أما الذي نريد وننوي فالإصلاح «علي بن أبي طالب» ... ٢١٥

الآثار الصفحة

- أما القتال فلا «عثمان بن عفان» ..... ١٥٥
- أماه ما أقدمك إلى هذه البلاد «الققعقاع بن عمرو» ..... ٢١٧
- أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد «عائشة» ..... ٣٤١
- إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال «الحسن بن علي» ..... ٣٣٢
- انتهى القضاء في أصحاب النبي إلى ستة «مسروق» ..... ٢٦٢
- أنشدك الله يا حذيفة «حذيفة» ..... ٨٢، ٨٠
- إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك «عامر بن مطر» ..... ٢١٥
- إن عثمان مات مظلومًا والله لأطالبن بدمه «عائشة» ..... ٢٠٨
- إن الغوغاء من أهل الأمصار «عائشة» ..... ٢١١
- إن الفتنة تعرض على القلوب «حذيفة» ..... ٦٨
- إن قتل النعمان فليتوكل القيادة «عمر بن الخطاب» ..... ٩٣
- إن قتلة عثمان لهم مدد وأعوان «علي» ..... ٢٤١

الأثر الصفحة

إن كنت صادقاً فامكنا من قتلته «معاوية» ..... ٢٤١

انظر ما يقول هؤلاء القوم «عثمان» ..... ١٥٨

إنك صاحب رسول الله وأنت أسن مني «عمرو بن

العاص» ..... ٢٥٥

إنكم كنتم تسألون رسول الله عن الخير «حذيفة» ... ٧٩

إن الله بعث محمداً دعا الناس من الضلال إلى الهدى

«حذيفة» ..... ٨٥ ، ٨٤

إن الله نظر في قلوب العباد «ابن مسعود» ..... ١٥٢ ، ٢٦

إن لكل نبي وصياً «ابن سبأ» ..... ١٢١

إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني «عائشة» ..... ٢١٣

إنه كان مني في عثمان شيء «طلحة» ..... ٢٠٨

إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار «ابن عمر» ..... ٣١٢

إني أعطيت ابن أبي السرح ما أفاء الله عليه «عثمان» ..... ١٤٠

إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل «عمرو بن العاص» ..... ٣٣١

- أوصيكم بتقوى الله عز وجل «علي» ..... ٣١٩
- أي ماء هذا ؟ فقالوا : ماء الحواب «عائشة» ..... ٢٠٩
- أيها الناس إن القرآن واحد «عثمان» ..... ١٣٦
- أيها الناس إن القصر سنة نبيكم «عثمان» ..... ١٣٢، ١٣٠
- أيها الناس إن هذا فتح «علي» ..... ٢٨٤
- بأبي شبيه بالنبي وليس شبيهها بعلي «أبو بكر» ..... ٣٢٨
- بعثني أبو موسى إلى عمر «أنس» ..... ٢٦١
- بل اكفف عنا أربعة آلاف سيف «علي» ..... ٢١٦
- بل نغفو ونقبل ونبين لهم الحق «عثمان» ..... ١٢٩
- بينما عبد الله بن خباب في يد الخوارج «أبو مجلز» ..... ٣١١، ٣١٠
- بينما عثمان يخطب إذ قام إليه رجل «ابن عمر» ..... ١٦٣
- تعوذت بالله من يوم البلاء ويوم العورة «أبو ذر» ..... ٥٩
- تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أظهر لساني «عمر بن
- عبد العزيز» ..... ٣٤٢

- جاء زيد بن ثابت إلى عثمان «ابن سيرين» ..... ١٥٥
- جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة «عبيد الله بن عياض» ..... ٢٨٩
- جئت أحدثكم • أنزل الوحي على رسول الله وأصحابه هم أعلم بتأويله «ابن عباس» ..... ٢٨٧
- حب أصحاب النبي سنة «قيصة بن عقبة» ..... ٣٤١
- الحمد لله الذي هدى بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم «الحسن» ..... ٣٣٥
- الحمد لله • والله إنها يدٌ خطت المفصل «عثمان» ..... ١٦٦
- خرجت مع عائشة إلى مكة «عمرة بنت أرطاة» ..... ١٦٣
- خرجنا لنستنهض الناس ليدركوا دم عثمان «الزبير» ..... ٢٠٨
- خطب عمر الناس بالجالية «جابر بن سمرة» ..... ٢٥
- خلّ ! لا أم لك «علي بن أبي طالب» ..... ١٧٩، ١٧٨
- ذكرني علي بحديث سمعته من رسول الله «الزبير» ..... ٢١٠

الآثار الصفحة

- ذهبت المعارف وبقيت المناكير «الحسن البصري» ١٩.....
- رحم الله عائشة «عروة» ٢٠.....
- سلام عليك ! فإني أحمد إليك الله «عائشة» ٢١٢.....
- صبغ في العلم صبغة «علي» ٢٦١.....
- صحبت عمرو بن العاص فما وجدت رجلاً أبين
- «قيصة بن جابر» ٢٦٥.....
- طالما جلى الزبير بهذا السيف الكرب «علي» ٢٢٤.....
- عزيز عليّ - أبا محمد - أن أراك مجتدلاً «علي» ٢٢٣.....
- عليّ أول من أسلم «زيد بن أرقم» ١٨٧.....
- فوالله ! مازال عمر يكلمني «أبو بكر» ١٣٦.....
- قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة «محمد بن كعب
- القرظي» ٨٧، ٢٧.....
- قتال شهده أصحاب محمد وغننا «الحسن البصري» ٣٤٢.....
- قتل أمير المؤمنين عثمان مظلوماً «الحسن» ١٧٩.....

قد كنا نقول ورسول الله حيّ «ابن عمر» ..... ١٤٠، ١٤١

القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر «حذيفة» ..... ٨٥

كان بعيد المدى شديد القوى «ضرار بن ضمرة» ..... ٣٢٠

كان عبد الله بن سبأ «يزيد» ..... ١٢١

كان الناس يسألون رسول الله عن الخير «حذيفة» ..... ٨٢

كان بين أبي بكر وعمر محاورة «أبو الدرداء» ..... ٢٩

كنا بصفين فلما استحرّ القتل «أبو وائل» ..... ٢٨٢

كنا جلوساً عند باب عبد الله بن مسعود «عمرو بن

سلمة» ..... ٣٠٨، ٣٠٩

كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر

الفتن «حذيفة» ..... ٦٤

كنت أطوف بالكعبة فإذا برجل «محمد بن سيرين» ..... ١٦٣

كُفّا عما يغلني عنكما «علي» ..... ٢٦٨

كلمة حقّ أريد بها باطل «علي» ..... ٢٨٢

الأثر الصفحة

كيف حالك يا أمّاه «علي» ..... ٢٢٦

لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة «عمران» ..... ١٨

لا آمركم ولا أنهاكم «علي» ..... ٣١٦

لا أكون أول من خلف رسول الله في أمته بسفك الدماء

«عثمان» ..... ١٥٦

لا أنازعه في الخلافة وإني لأعلم أنه أفضل مني

«معاوية» ..... ٢٤١

لا تقل ذلك يا أبا عامر ، والله لم أذل المؤمنين «الحسن» ..... ٣٣٦

لا تقولوا ذلك ، نبينا ونبههم واحد «عمار» ..... ٢٤٦

لا حاجة لي بذلك ، فكفوا «عثمان بن عفان» ..... ١٥٥

لتخضبن هذه من هذا «علي» ..... ٣١٧

لست أدعي أني مثل علي في الفضل «معاوية» ..... ٢٤٢

لقد أدركنا أقوامًا كنا في بينهم لصوصًا «الحسن

البصري» ..... ١٩

لقد فارقكم رجل أمس «الحسن بن علي» ..... ٣٣٠

الأثر الصفحة

- لقد قال الناس في ذلك ما قالوا «عمر بن العاص» ..... ٢٧٣
- لقد كانت جماجم العرب في يدي «الحسن بن علي» ..... ٣٣٤
- اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان «علي بن أبي طالب» ..... ١٧٤
- اللهم إني قد كرهتهم وكرهوني «علي بن أبي طالب» ..... ١٧٥، ١٧٦
- اللهم تركتني فيهم ما بدا لك «علي» ..... ٣١٨
- اللهم ليس هذا ما أردت «علي» ..... ٢٢٣
- لم أرب الكوفة أعلم من علي وأبي موسى «الأسود بن يزيد» ..... ٢٦٢
- لم يكن يفتي في المسجد في زمن رسول الله ﷺ غير هؤلاء «صفوان بن سليم» ..... ٢٦٢
- لما قدم علي البصرة في إثر طلحة «الحسن البصري» ..... ١٨٠
- لم يكن أحد أشبه بالنبي من الحسن «أنس» ..... ٣٢٩
- لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دارهم «ابن عباس» ..... ٢٩٣
- لو حدثكم بكل ما أعلم ما قد ثم في الليل «حذيفة» ..... ٨٠
- لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة «علي» ..... ٢٢٣

- لو رأنا أصحاب محمد ﷺ لقالوا «الربيع بن خثيم» ١٩.....
- ما أنا إلى طريق من طرقكم «حذيفة» ٧٩، ٨٠.....
- ماذا تنقمون علي؟ «عثمان بن عفان» ١٢٩.....
- ما علمته أحدًا أشرك في دم عثمان ولا أعان عليه إلا قتل
- «الحسن البصري» ١٦٤.....
- ما من صاحب فتنة يبلغون «حذيفة» ٧٩.....
- ما هذا لي بكفن «حذيفة» ٩٥.....
- ما يجلس أشقاهم أن يجيء فيقتلني «علي» ٣١٨.....
- مرحبًا بالموت - حبيب جاء على شوق «حذيفة» ٩٥.....
- مني يطلبون دم عثمان «علي» ٢٤٠.....
- هذا ما تقاضى عليه علي ومعاوية «عمر بن العاص» ٢٧٤، ٢٧٥.....
- وافقت ربي في ثلاث «عمر» ٣١.....
- والذي خلق الحبة وبرأ النسمة «علي بن أبي طالب» ١٨٩.....
- والله إني لأعلم الناس بكل فتنة «حذيفة» ٧٨.....

- والله لا أخير بين أمرين «معاوية» ..... ٢٦٩
- والله لقد قدمت على كسرى وقيصر والنجاشي «عروة  
ابن مسعود» ..... ٨٨
- والله لم أستعمل إلا مرضيا «عثمان» ..... ١٣٩
- والله ما أحب أن ألقى الله وفي عنقي قطرة دم «عثمان» ... ٢٠٣
- والله ما أدري أنسي أصحابي «حذيفة» ..... ٧٩
- والله ما أراك إلا مقتولاً به «علي» ..... ٣١٥
- والله ما أكون أول كاذب على رسول الله «علي» ..... ١٨٠
- والله ما أنا بالطريق إلى قرية من القرى «حذيفة» ..... ٨٠
- وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي «عائشة» ... ٢٢٥
- وددت أني كنت غصناً رطباً «عائشة» ..... ٢٢٥
- ويحك إنك لا تدريين ما فقد الناس «معاوية» ..... ٣٣١
- يا أبا الحسن أنت أولى بهذا الأمر «طلحة» ..... ١٧٨
- يا أبا عبد الله ! رأيتم رسول الله وصحبتهموه «محمد بن

الأثر الصفحة

كعب القرظي « ..... ٨٧، ٢٧

يا أبا محمد إن الناس قد اجتمعوا إلى في البيعة «علي» ..... ١٧٨، ١٧٧

يا أبت أعزم عليك ألا تخرج «الحسن بن علي» ..... ٢١٤

يا ابن أخي أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد

«عائشة» ..... ٣٤١

يا أم المؤمنين دعي المدينة «طلحة والزبير» ..... ٢٠٧

يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أمنعك من القوم «علي» ..... ١٥٥

يا أمير المؤمنين أبعث إليكم جنداً ليقم معك «معاوية» ..... ١٥٦

يا أمير المؤمنين إذا خلعتها أمخلد أنت في الدنيا «ابن

عمر» ..... ١٥٨

يا أمير المؤمنين ألا أقاتل «الصحاب» ..... ١٦٠

يا أمير المؤمنين الأنصار بالباب «زيد بن ثابت» ..... ١٥٥

يا أمير المؤمنين لا تخرج من مدينة رسول الله ﷺ «عبد الله

ابن سلام» ..... ٢١٤

يا أمير المؤمنين ما زلت أصليها ركعتين «أعرابي» ..... ١٣٠

- يا أهل الكوفة أنتم وليتم «علي» ..... ٢١٦
- يا أيها الناس أنصتوا «طلحة» ..... ٢٢٣
- يا حسن ليتني مت قبل هذا اليوم «علي» ..... ٢٢٥
- يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي «عائشة» ..... ٢٩٠
- يا عدو الله ! ألم أكن أحسن إليك؟ «علي» ..... ٣١٤
- يا غلق الفتنة «عثمان بن مظعون» ..... ٧٣
- اليوم طاب الضرب معك يا أمير المؤمنين «أبو هريرة» ... ١٥٤
- يا ويح لبيد حيث يقول «عائشة» ..... ١٩



**ثالثا**  
**فهرس الموضوعات**



## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء .....	٥
مقدمة .....	٧
فضائل الصحابة <small>عليهم السلام</small> .....	١٣
فضائل الصحابة في السنة .....	٢٩
ظهور الفتن .....	٤١
مصدر الفتن ومنبعها .....	٥٥
كيف يعرف المرء هل أصابته الفتنة ؟ .....	٦٧
بداية الفتنة .....	٧١
فضائل لعمر بن الخطاب <small>عليه السلام</small> .....	٧٤
التعريف بحذيفه .....	٧٨
نبوءة المصطفى <small>صلى الله عليه وسلم</small> بمقتل عثمان <small>رضي الله عنه</small> .....	٩٩
لماذا خص النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> عثمان بذكر البلاء مع أن عثمان قتل كما	
قتل عمر ؟ .....	١٠٢
من هو عثمان بن عفان ؟ .....	١١٦

الموضوع	الصفحة
ابن سبأ يشعل نار الفتنة .....	١٢٥
إجابة عثمان بن عفان ﷺ على الأمور التي نقمها الثوار عليه	١٢٩
طوائف تدوين التاريخ .....	١٣١
حصار عثمان ومقتله ﷺ .....	١٤٥
أين كان الصحابة ﷺ والثوار يحاصرون بيت الخليفة ؟ .....	١٥٣
هل كان عثمان عاجزاً عن الفرار إلى الشام أو إلى أي بلد ؟ ..	١٥٦
هل شارك في قتل عثمان ﷺ أحد من الصحابة ﷺ؟ «هامش»	١٦٥
مبايعة علي ﷺ .....	١٧٣
فضائل علي بن أبي طالب .....	١٨٥
موقعة الجمل .....	١٩٩
كيف بدأت الفتنة ؟ .....	٢٠٩
أقوال أهل العلم في موقعة الجمل .....	٢٢٧
موقعة صفين .....	٢٣٥
أقوال العلماء في حديث « تقتلك الفئة الباغية » .....	٢٤٧
قضية التحكيم .....	٢٥٣

الموضوع	الصفحة
رواية الإمام الطبري المكذوبة في قضية التحكيم .....	٢٥٤
تبين كذب الرواية سنداً وامتناً .....	٢٥٨
فضائل أبي موسى الأشعري (ع) .....	٢٦٠
فضائل عمرو بن العاص (ع) .....	٢٦٣
فضائل معاوية (ع) .....	٢٦٨
التفصيل في قضية التحكيم .....	٢٧٣
فتنة ظهور الخوارج .....	٢٨١
مناظرة ابن عباس (ع) للخوارج .....	٢٨٧
أحاديث أخبر فيها رسول الله (ص) عن فرقة الخوارج .....	٢٩٦
مقتل علي (ع) .....	٣٠٧
فضائل الحسن بن علي (ع) .....	٣٢٢
تنازل الحسن (ع) عن الخلافة لمعاوية (ع) .....	٣٣٢
واجبنا نحو الصحابة .....	٣٤١
منهج المسلم في الفتن .....	٣٤٩
فهارس الأحاديث .....	٣٦٣

الموضوع	الصفحة
فهارس الآثار .....	٣٧٩
فهرس الموضوعات .....	٣٩٥